٥ شاقل

الكاتب ١٠٨

للثقافة الانسانية والتقدم

العدد
الثامن بعدالمئة
نيسان ١٩٨٩

- محطات - محطات - محطات

- سياسة التجهيل تحت المجهر ...

- اثر الانتفاضة على الأطفال ومسؤوليات المستقبل !!

- بريطانيا والحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨

- القصة القصيرة في الاراضي الفلسطينية المحتلة (١٩٦٧-١٩٨٨)

- أبنية الصور الشعرية في مقاليع

- قراءة في "موتى بلا قبور"

- ملحق الكاتب لشؤون الفكر وقضايا السلم والاشتراكية

لا جديد لدى شامير

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

● اعتقالات في بيت لحم، امس الاحد، عقب تعرض جندي اسرائيلي لعملية طعن بالسكين! ●

(صورة خاصة)

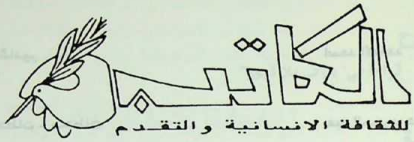

108

المحرر المسؤول
رئيس التحرير
أسعد الاسعد

هاتف: ٢/٨٥٦٩٣١
ص.ب ٢٠٤٨٩
القدس

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	أوروبا	بلدان أخرى
للافراد	٣٠	٦٠	٧٥
للمؤسسات	٥٠	١٠٠	١٥٠

العدد (١٠٨) نيسان ١٩٨٩ - السنة العاشرة No.(108)April 1989

Digitized by Birzeit University Library

سياسة

٤	لا جديد لدى شامير	أسعد الأسعد
٧	محطات - محطات - محطات	عبد المجيد حمدان أبو وديدة
١٩	قائمة بأسماء شهداء الشهر السادس عشر للأنتفاضة	الكاتب

دراسات وأبحاث

٢٢	سياسة التجهيل تحت المجهر ...	نورما مصرية
٣٢	أثر الانتفاضة على الأطفال ومسؤوليات المستقبل !!	اعتلاء المشني
٣٦	بريطانيا والحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨	آفي شلايم تعريب: د. محمد أبو زيد

أدب

٥٧	القصة القصيرة في الأراضي الفلسطينية المحتلة (١٩٦٧ - ١٩٨٨)	ابراهيم جوهر
٦٨	أبنية الصور الشعرية في مقاليع	د. الهام أبو غزالة
٨١	حوار خاص مع سكرتيرة اتحاد الكتاب في تشيكوسلوفاكيا	حوار : محمود شقير

Digitized by Birzeit University Library

مسرح

٨٤ قراءة في" موتى بلا قبور" — صافي صافي

قصة

٨٨ يوم غائم — حليمة جوهر

٩٠ طقوس عادية جدا — محمد رجب

شعر

٩٢ عاج الشقي على شعبي يغالبه — علي الجريري

٩٣ الحلم العنيد — مالك قطينة

٩٤ أصداء ثقافية

٩٦ ملحق الكاتب لشؤون الفكر وقضايا السلم والاشتراكية

Digitized by Birzeit University Library

لا جديد لدى شامير!

أسعد الأسعد

عشية توجهه الى الولايات المتحدة، في زيارة تعتبر فاتحة لزيارات متعددة، من المقرر أن يقوم بها عدد من ملوك ورؤساء الدول العربية أيضا وفي مقدمتهم الرئيس المصري حسني مبارك، والملك حسين، لا يزال رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق شامير، يطلق التصريحات، منوها بأهمية هذه الزيارة، مشيرا الى "جديد" سوف يحمله الى الادارة الامريكية، موضحا أن هذا "الجديد"، لم يسبق لأحد أن قدمه.

واذا كنا لا نرغب في استباق الأحداث، الا أننا نستطيع أن نقرأ "المكتوب من عنوانه"، فدعونا نقرأ العنوان.

في حديث لرئيس وزراء اسرائيل اسحق شامير، مع صحيفة "معاريف" نشر بتاريخ ١٩٨٩/٣/٢٤، أشار شامير، الى مواقفه التي رددها في مناسبات عديدة، وهي عدم الاعتراف بمنظمة التحرير، وعدم القبول بمبدأ الانسحاب من الأراضي المحتلة، ورفض المؤتمر الدولي، وفي الوقت نفسه، عاد شامير الى التلويح بالعودة الى الحوار مع الملك حسين من أجل " التوصل الى سلام رسمي مع الأردن، ومستوى من التعاون بسبب الحدود المشتركة، ولأن جزءا من سكان الأردن فلسطينيون..." لذا وحول سؤال عن خطط رئيس الوزراء الاسرائيلي "لتغير الأجواء في الناطق" قال شامير "بالامكان تغيير الأجواء في المناطق خلال يوم أو يومين، يجب أن يوقفوا أعمال العنف وحينذاك تسود أجواء جيدة، وكل ما نقوم به هو نتيجة للعنف الذي يمارس ضدنا، ولن تكون هناك أعمال عنف" وفي تصريح آخر، قال شامير في احتفال حزبه بنتائج الانتخابات للسلطات المحلية، يوم ٨٩/٣/٢٧، لا مكان لدولة -فلسطينية- في أرض اسرائيل... ومن يقرأ شامير هنا يستطيع أن يقرأ العنوان، فشامير، يعتبر الشعب

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطيني هو المعتدي، فالشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة -حسب شامير- هو الذي يمارس العنف ضد الجيش الاسرائيلي. وان كان هناك من قول، فانني أحسد رئيس الوزراء على قدرته هذه، على قراءة الواقع بالمقلوب، ومعذرة ان لم يكن بمقدوري أن أحسده على شيء آخر.

ويتفق شامير مع وزراء التكتل في حكومته، وعلى رأسهم وزير خارجيته موشيه أرنس في لاءاتهم التي باتت حجر الزاوية في السياسة الاسرائيلية، وعليه فاننا نتساءل، عن جديد شامير الذي سيحمله معه الى واشنطن في زيارته أوائل نيسان الحالي.

من جانب آخر، فان شركاء التكتل في الحكومة الاسرائيلية، وعلى رأسهم شمعون بيريس، ورابين، لا يبتعدان كثيرا في طرحهما لأسس الحل التي يجب الاستناد اليها، اذ أن بيريس ، ورابين كذلك، يعارضان اقامة دولة فلسطينية، ويعارضان التحدث الى منظمة التحرير الفلسطينية، كما يعارضان عقد مؤتمر دولي باشتراك منظمة التحرير الفلسطينية، ولا يزالان يحلمان بدور للأردن، ويجهدان -عبثا- نفسيهما في البحث عن ممثلين من المناطق المحتلة للتحدث اليهم، رغم تصريحاتهما المختلفة، بأن أحدا في هذه المناطق ، لا يمكن أن يخطو خطوة دون موافقة منظمة التحرير الفلسطينية.

وعليه، فان التأرجح في سياسة حزب العمل، سوف يؤدي الى تراجعه، وانحساره، ولعل في نتائج الانتخابات للسلطات المحلية ما يؤكد ذلك، اذ أن الشارع الاسرائيلي أخذ في بلورة اتجاهين رئيسيين، وعدم حسم حزب العمل لموقفه من موضوع السلام بشكل واضح، سوف يؤدي الى ضعفه، وفقدانه لموقفه المعارض لسياسة التكتل، وهذا ما تثبته الأيام يوما بعد يوم.

ولعل ما نشر من مقتطفات عن بحث "لمركز الأبحاث الاستراتيجية في جامعة تل أبيب" استغرق العمل فيه ستة أشهر، وشارك فيه أساتذه وأخصائيون من الجامعات الاسرائيلية الخمس، بالاضافة الى باحثين أميركيين، ما يدفعنا الى التساؤل عن جدوى الاستمرار في التغاضي عن الحقائق، وخاصة، تلك التي يراها ذوو رئيس الوزراء اسحق شامير وكذلك شركاؤه، فالبحث المذكور، يخلص الى نتيجة مفادها "أن أي اتفاق لحل النزاع القائم، يجب أن يقوم أساسا على اتفاق بين اسرائيل وممثلي الشعب الفلسطيني -منظمة التحرير الفلسطينية- وليس مع أية دولة عربية أو أجنبية.

ان الطريق الى انهاء الوضع القائم، لن يتم بغير الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، والتفاوض من أجل تحقيق السلام، لن يتم الا بالتوجه الى ممثل هذا الشعب منظمة التحرير الفلسطينية، عبر مؤتمر دولي، ذلك ما قلناه مرارا، وما يقوله اليوم، أصدقاء اسرائيل، وكثير من الاسرائيليين أنفسهم، وعلى شامير ادراك أنه ما من جديد لديه، ان لم يدرك هذه الأساسيات، -حينما يطرح ما في جعبته أمام حلفائه في البيت الأبيض. وعلى بيريس وحزب العمل-، ادراك الحقائق المترتبة على عدم وضوح

Digitized by Birzeit University Library

الموقف من موضوعة السلام في سياسة حزب العمل، ان الطريق الى السلام، لا يمكن أن يمهد له، بغير الاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني، والاستعداد للانسحاب من الأراضي التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧، والتوجه الى منظمة التحرير الفلسطينية للتفاوض معها لاقامة سلام عادل وثابت ومقيم في هذه المنطقة، عبر مؤتمر دولي تشارك فيه الأطراف ذات العلاقة كافة، ذلك هو الجديد، والجديد فقط الذي ننتظره، وغير ذلك ليس أكثر من اجترار لمواقف مرفوضة سلفا، ولن تقنع أحدا.

جنديان يقومان باعمال الدورية في احد شوارع القدس

Digitized by Birzeit University Library

محطات

... محطات ...

محطات

أبو وديدة / عبد المجيد حمدان

مقدمة

منذ لقائنا الاخير، في العدد ١٠٦، من سلسلة محطات، حدث الكثير . وتلاحقت الاحداث بسرعة، جعلت من الصعب، على غير من يتفرغ لملاحقتها، رصدها واستخلاص ما يلزم من نتائج وعبر. ومع ذلك برزت، حتى للعين غير الخبيرة، سمات عامة وعبر ونتائج اهم . من بينها استمرار اتساع وتزايد وتعمق الاهتمام العالمي، والمساندة والتضامن، مع القضية الفلسطينية، وبضرورة العمل على حل سريع للنزاع الفلسطيني والعربي الاسرائيلي . وشكلت النجاحات في حل نزاعات اقليمية اخرى، وفي مصلحة الشعوب، كما في جنوب القارة الافريقية واستقلال شعب ناميبيا، وفي افغانستان واميركا الوسطى، واهتداء بسياسة التفكير الجديد في حل النزاعات الاقليمية، شكلت حافزا قويا للتقدم لحل نزاع الشرق الاوسط، اعقد الصراعات الاقليمية. وقد اثبتت معركة جلال اباد، وانتزاع ناميبيا للاستقلال، وصيانة امن انغولا من التدخلات الخارجية فشل النهج الاميركي في حل النزاعات الاقليمية، هذا النهج المعتمد على هدر المزيد من دماء

Digitized by Birzeit University Library

الشعوب والحسم به لصالح طرف على حساب الاخر بالقوة العسكرية وحدها .

على الصعيد الفلسطيني تتوالى الانجازات والمكاسب. الابواب الاوروبية التي ظلت مغلقة اخذت تنفتح امام عرفات ومنظمة التحرير واخرها ابواب قصر الاليزيه في باريس . والانتفاضة تتواصل واحترام الشعب الفلسطيني والتضامن مع قضيته العادلة يتعمق ويتسع باستمرار . والمؤسسة الاسرائيلية الحاكمة توقفت عن الانتفاضة . وتقصر امالها الآن على تخفيف حدتها استنادا الى دعم اميركي يمارس ضغوطا على أصدقائه العرب .

في الشارع الاسرائيلي لم يتوقف تأثير الانتفاضة عند حدود احداث ما يشبه الانقلاب في تفكير قطاع يتسع من الشارع السياسي ومؤسسة الحكم ذاتها . بل ينخرط العلماء، من مجالات تخصص مختلفة. في دراسة تأثير الانتفاضة على قطاعات متعددة مثل الاطفال والشباب وعلى الاقتصاد والثقافة والقيم الروحية والاخلاقية وبما في ذلك الديمقراطية وحقوق الانسان وعدالة القضاء وغيرها وغيرها .

ويزداد عدد الساسة من داخل مؤسسة الحكم ومن خارجها، ومن رجال الاعلام الذين فرضت الانتفاضة عليهم النظر بواقعية للأمور . وهكذا واضافة الى تزايد عدد المطالبين بحل سياسي، واتساع صفوف الحركات المعارضة لاستمرار نهج القمع، مثل حركة السلام الآن، وكفى للاحتلال، وهناك حد ... الخ، التي تنادي بدولتين للشعبين، يزداد عدد الذين يتقدمون بخطط ومشاريع للحل، انطلاقا من القناعة بعدم امكانية قمع الانتفاضة بالوسائل العسكرية، وبانعدام فرصة الحفاظ على الوضع الراهن . كما ازداد عدد المطالبين بأن يحمل شامير أفكارا جديدة لعرضها على الادارة الاميركية لتسهيل الخروج من الطريق المسدود.

لقد أطلت على ما يبدو في المقدمة..عذرا عزيزي القاريء وتعال معي الى محطاتنا .

محطة ١

مسيرة الغباء

توقف الوزير اسحاق رابين، وكذلك قادة الجيش الاسرائيلي، عن تحديد الآجال، أو ضرب المواعيد لانجاز مهمة اطفاء الانتفاضة . وفي ردوده على أسئلة الصحفيين صار الوزير رابين يكتفي بأن يقول "لدينا ما يكفي من الصبر". وكالعادة يلحق هذه العبارة بتهديداته التقليدية عن قدرة الجيش الاسرائيلي واستعداده لما يسميه "مواجهة العنف بعنف أشد" أو "بما يلزم من القوة". مضيفا اليها النصائح المعتادة بالعدول عن الاستمرار في المشاركة بالانتفاضة وبأنها لن توصل الفلسطينيين لشيء سوى المزيد من المعاناة .

Digitized by Birzeit University Library

الجنرال دان شومرون رئيس الاركان الاسرائيلي فسر سبب عدول المسؤولين عن ضرب الآجال لاطفاء الانتفاضة بقوله، في مطلع شباط الماضي، أن "الانتفاضة عملية طويلة وتعكس تطلعات السكان - يرفض مثل غيره تسميتهم بالمواطنين أو الاهالي - العرب الى انشاء دولتهم". واوضح شومرون أن "الجيش لا يستطيع تغيير هذه التطلعات التي كانت موجودة أصلا قبل بدء الانتفاضة" والسبب ان قدرة واستعداد اهالي المناطق المحتلة على التحمل هي "اكبر مما توقعنا ومما سنتوقعه في المستقبل ولذلك فانه من غير الممكن تصفية الانتفاضة مرة واحدة".

وحين يقول الجنرال شومرون ما قاله، وهو ما أخذ يكرره في كل مرة واجه فيها وسائل الاعلام، فان المرء يتوقع أنه يستند الى دراسات واستخلاصات ميدانية مكثفة. ومثال ذلك ما قاله البريغادير جنرال في الاحتياط "ارييه شيلف" وهو يعمل حاليا كباحث في معهد الدراسات الاستراتيجية في جامعة تل ابيب. شيلف وفي الاسبوع الاول من شباط الماضي قال في محاضرة في بئر السبع "الانتفاضة التي تستمر منذ ١٤ شهرا لا تبدو لها نهاية في الافق المنظور". واوضح "اعتقد لا يمكن تصفيتها فقط باستخدام الاساليب العسكرية التي يتبعها الجيش الاسرائيلي". وأكد شيلف أن الانتفاضة ليست مجرد أعمال عنف كما يقول المسؤولون الاسرائيليون بل هي "معركة عسكرية وسياسية" والجيش الاسرائيلي "فقد الكثير من قدراته على ردع اهالي المناطق - المحتلة - وأن الزمن لا يعمل لصالح اسرائيل من الناحية السياسية ...

وفي نفس الفترة قال مصدر عسكري كبير، رفض الكشف عن اسمه، لصحيفة "الواشنطن بوست" أن الانتفاضة خلفت لاسرائيل مشكلة عدم توفير القوى البشرية لمواجهتها. ولخص المواجهة بعبارة بسيطة "نحن نخسر أما الفلسطينيون فيكسبون". ونتغلب على نقص القوى البشرية قال أن كبار الضباط يفكرون في استخدام وحدات متحركة منقولة جوا لمواجهة احداث الانتفاضة أو الانسحاب من المواقع المكتظة بالسكان والتركز في محاور رئيسية وعلى التلال المحيطة بهذه المراكز.

والمتابع لتصريحات الوزير رابين طوال الشهرين الماضيين يلاحظ أنها لا تخرج عن اطار ما ورد في التصريحات السابقة. لكنه مثل سائر المسؤولين يصر على أن عدم المواجهة مع الانتفاضة يشكل كارثة لاسرائيل. ويصر على أن الجيش لن يهرب من المواجهة.

وتلافيا للاخطار التي تتركها الانتفاضة على قدرة الجيش، ولحل مسألة القوى البشرية، وللخروج من المأزق الذي صنعته القيادة الاسرائيلية لنفسها بالزعم أن سبب عدم قدرة الجيش الاسرائيلي على اطفاء الانتفاضة، هو تقيده بالقانون وبالقيم الاخلاقية والانسانية ...الخ، دفعت القيادة الاسرائيلية بقوات جديدة من حرس الحدود تلقت تدريبات خاصة للقمع ... ولانجاز ما فشل الجيش في انجازه. واضافة اليه اقرت اجراءات قمعية وتنكيلية جديدة بينها تكثيف هدم البيوت بحجج مختلفة وقلع الاشجار والغرامات المالية وهدم بيوت المطاردين ومن يأويهم ... وتطوير سياسة العصا والجزرة .. وتشديد العقوبات الاقتصادية وغير ذلك كثير.

من المؤكد ان الاجراءات الجديدة لن تحقق أي نجاح والتصريحات الاسرائيلية أخذت تقر بذلك لأن الانتفاضة "مسيرة تاريخية ونهر متدفق ولن تغير البنادق والهراوات في قمعها. واذا ما وضعوا سدا هنا فان النهر سيتدفق من مكان لآخر" هو وصف ضابط الاحتياط رافض الخدمة روني بيرغمان. لقد اوضح بيرغمان رفضه للخدمة ركوب المخاطرة بتقديمه لمحاكمة عسكرية بقوله "

Digitized by Birzeit University Library

رفضي هو احتجاج ضد الغباء فلقد كنت أشعر أن استخدامنا للقوة في الضفة والقطاع هو جزء من مسيرة سلمية لانتابني شعور مغاير . لكنني لست مستعدا لذلك دون المسيرة السياسية ".

محطة ٢

رابين .. ذلك الجندي العنيد

وليس فقط مسألة تحديد امال وضرب المواعيد لاطفاء الانتفاضة هي ما تخلى عنه المسؤول الاول لتنفيذ هذه المهمة، فالوزير رابين، وكما تشير تصريحاته أخذ في التخلي التدريجي عن مقولة التعب، والتي بنى خطة مواجهة الانتفاضة بالاستناد اليها . والأمر نفسه لموضوع المشاركة في الانتفاضة وانتظار موعد تمرد شعب الانتفاضة على قيادته المحلية وعلى منظمة التحرير الفلسطينية .

لكن وقبل الاستشهاد بتصريحات الوزير رابين يتوجب التوقف قليلا للتعرف على بعض صفات هذا المسؤول الأول عن القمع في المناطق الفلسطينية المحتلة .

قال عن السفير الاميركي الاسبق في تل أبيب، صموئيل لويس، وفي معرض تحليله للاجراءات الموجهة لقمع الانتفاضة، خلال حديث مع شبكة "سي.أن.أن" الاميركية ما يلي: "ان اسحاق رابين، الجندي العنيد، هو رجل محبط للغاية، مثله مثل الكثيرين من زملائه . فمنذ عام كامل وهم يرون اساليبهم في قمع الانتفاضة تفشل الواحدة تلو الأخرى ، ومن غير الممكن منع الجيش المحتل، الذي يفشل، من الانجرار الى تكتيكات اصعب . وهذا في الحقيقة ما يجري في اسرائيل ".

والرجل المحبط، خصوصا الجندي العنيد، يكون عرضة للتخبط الدائم كما يستمر في محاولات جعل الوهم يبدو في صورة الحقيقة . والأهم يتوجه في تسويقه ليس الى الطريق الآخر بل الى شعبه نفسه .

ففي جلسة لمجلس الوزراء المصغر في ٢/١٩ قال رابين "انتقد قادة الانتفاضة رئيس منظمة التحرير ياسر عرفات لأنه لم يحقق لهم مكاسب ملموسة سوى مقابلات مع بعض وزراء أجانب". وقال أيضا "سكان المناطق الذين يرزحون تحت عبء اقتصادي ثقيل ومصاعب أخرى شعروا بأن عرفات خدعهم عندما اعتقدوا أنه سيضع حدا سريعا لشقائهم".

أليست هذه بالفعل خيالات وأوهام يبتدعها عقل رجل محبط ؟!

وأمام لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست أوائل آذار قال رابين نفسه "الانتفاضة واسعة جدا وتشمل كل السكان تقريبا الذين يتماثلون تماثلا كاملا مع هدف الانتفاضة وهو رفض العيش تحت الاحتلال الاسرائيلي". واضاف "سكان المناطق مستعدون للتحمل أكثر فقد انخفض مستوى معيشتهم بنسبة ٤٠٪ وعمليات الاعتقال من شأنها تقليص اعمال العنف ولكن لا يمكن القضاء عليها". يبدو أن الوزير رابين لم يلاحظ ما يقع فيه من تناقض وتحفظ بالانتقال من النقيض للنقيض والأهم أن ضحية هذا التخبط هو شعبه في هذه المرة .

لكن الجندي العنيد، وقد جرى تعديل اساسي على مهمته من اطفاء الانتفاضة واعادة الحال الى ما كان عليه من الهدوء الى ما قبل ٨٧/١٢/٩ ، الى تخفيف حدة الاحداث، وتخفيض مستوى

Digitized by Birzeit University Library

المشاركة الجماهيرية الواسعة فيها ، يواصل مهمته بدون تعب فلقد طرح رابين خطة للحل السياسي تتمثل أهدافها فيما يلي :

١) توفير المبررات الأخلاقية للجنود لمواصلة اداء مهمات قمع الانتفاضة بالاساليب الوحشية دون تعرضهم لوخز الضمير جراء تصادم ممارساتهم الوحشية مع ما تعلموه من قيم الأمر الذي يدفعهم الى رفض الخدمة العسكرية، كمثال ضباط الاحتياط روني بيرغمان الذي سبق الاشارة اليه .

٢) دق الأسافين بين الداخل والخارج ٣) تحييد قطاعات شعبية من خلال التأثير عليها نفسيا ومعاشيا ..

ففي مقابلة مع صحيفة معاريف لخص الوزير رابين الهدف الأول من خطته على النحو التالي : "بعد تحول مبادرة شولتز الى مبادرة غير واقعية وبعد فك الارتباط الاردني مع الضفة، وبعد الانتخابات الاسرائيلية والاميركية، وعقد اجتماع الامم المتحدة في جنيف، بعد كل ذلك وفي أعقاب بدء الحوار بين المنظمة والولايات المتحدة كان المفروض عرض توجهات سياسة عامة . والهدف من العرض هو أنه بعده يمكن أن تقول لهم : "انتم لا توافقون عليه وتستمرون في اعمال العنف أما نحن فسنستمر في قمع أعمال العنف هذه".

ما كان من الممكن لمثل هذا التبرير الاخلاقي الواهن أن يصمد للامتحان . فرغم أن رابين ابتدع الكثير من الاجراءات القمعية الجديدة، ورغم أن جنوده واصلوا تنفيذ مهماتهم مسلحين بتبريره الاخلاقي والسياسي السابق الا أنها ووجهت بادانة عالمية قوية ومتعاظمة . والأهم أنها لم تنفع في ثني جماهير الانتفاضة عن مواصلة طريقها . لقد ظن رابين أن تبريره السابق كاف لتغليف العقل العالمي ومنعه من فهم ما يجري من انتهاكات فظة لحقوق الانسان . وهكذا طور اجراءات هدم المنازل لتطول بيوت المطاردين وأقاربهم ... ورغم تباكي المؤسسة الاسرائيلية على القيم الحضارية والحفاظ على البيئة هدمت قواتهم معالم اثرية وحضارية هامة في نابلس وتستمر في قطع الاشجار ومحاربة الطبيعة .. وصارت المدن كالمخيمات مغلقة ببراميل الأسمنت المسلح ... وغيرها الكثير .

وللتوصل للاهداف الاخرى كثف ضباط رابين استدعاءات المواطنين وصوروا اللقاءت معهم في صورة حوار أو مفاوضات .. وذهب بهم الخيال حد استلطاع العالم بأن بالامكان وضع المتعاونين معهم، خونة شعبهم، قيادة للشعب الفلسطيني .

يقول رابين ان هذه اللقاءات، بما فيها لقاءات من اعضاء حزبه مع فلسطينيين ، يوم ٢٠/٢، أمام اجتماع لحزبه: "تستهدف دق اسفين بين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وبين سكان المناطق".

كما قال في اجتماع آخر ان "هدفه المركزي الحالي هو خلق هوة بين الفلسطينيين في الاراضي المحتلة وبين الفلسطينيين في الخارج ". واضاف "بقدر ما نشجع الخلافات بين الفلسطينيين الذين يعيشون هنا واولئك الذين يعيشون في الخارج، بقدر ما نستطيع دفع المفاوضات بين اسرائيل والفلسطينيين في المناطق".

ان الوصف الفعلي لخطة رابين هي أنها تخاريف رجل محبط رغم أنه جندي عنيد. وما كان لأحد أن يتوهم بامكانية نجاحها . وكثرة من زملائه، السابقين والحاليين، مثل ابا ايبان، حاييم

Digitized by Birzeit University Library

تصادوق ، افرايم سنيه، وعيزر وايزمان، موشيه شاحال...الخ يقرون بأن وضع خونة كممثلين للشعب الفلسطيني هو أمر مستحيل وغير ممكن التحقيق مهما تفنن رابين وشامير في اضفاء القاب عليهم .

كما أنهم يقرون بعدم امكانية الفصل بين الداخل والخارج ... والى نفس النتائج توصلت السيدة تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا والرئيس ميتران كما أن الادارة الاميركية تقترب حثيثا من الاقرار والتسليم بوحدة الشعب الفلسطيني وشرعية قيادته .

لقد كان ادق تلخيص لخطة الوزير رابين هو ما قدمته زيفا يريف في يديعوت احرونوت ٢/٣ الماضي . قالت أن خطة رابين تقول للفلسطينيين "اذا تنازلتم عن هويتكم وتقرير المصير ولم تكونوا فلسطينيين، واذا نددتم بعرفات وطيرتم منظمة التحرير الفلسطينية ودافعتم عن الخيار الاسرائيلي وعن زيادة وتيرة الاستيطان، ولم ترفعوا العلم الفلسطيني ولم تنشدوا الاغاني الوطنية، واذا صرتم أولادا طيبين ولا ترجمون الحجارة وتعملون كما نقول لكم ... اذا فعلتم كل هذا نسمح لكم باجراء انتخابات حره . وتستطيعون أن تنتخبوا قادة اصليين ممن نوافق على الحديث معهم بشرط أن لا تنتخبوا الزعماء القابعين في السجون أو اولئك القاعدين في الخارج او الذين طردوا أو سيطردون ". وبالطبع ليس هناك ضرورة للتذكير حتى أن خيال الرجل المحبط، الجندي العنيد لا يستطيع التصديق أن مثل هذا يمكن أن يحدث .

محطة ٣

مواطنون لا غزاة ؟

المسؤولون الاسرائيليون، وقد خفضوا نغمة الحديث عن مقولة "التعب" استبدلوها بالحديث المتكرر في كل تصريح ومن كل مسؤول عن المتاعب الاقتصادية وانخفاض مستوى المعيشة، وليس مرد ذلك دوافع انسانية، والى الحرص على تحسين معيشة الناس كما يزعمون . وانما يأمل أن يدفع ذلك الفئات الاكثر شعورا بالضرر والشاكين للخروج عن الانتفاضة ومعارضة استمرارها . أي العمل في اتجاه تفكيك وحدة الجماهر الصلبة في الاراضي المحتلة .. وهو ما تعمل له السلطات المحتلة بدأب ومثابرة مستخدمة العديد من الوسائل والأساليب .

وبات موضوع الازمة الاقتصادية، وانخفاض مستوى المعيشة موضوع تهديد سلطوي دائم . فالتلويح بتعميق هذه الازمة والحاق ضرر اكثر بمستوى المعيشة، تطبيقا لسياسة العصا والجزرة صار شغل المسؤولين الدائم، وآخرهم كان الجنرال شلومو غورين منسق شؤون المناطق. وفي برنامج لقائه التلفزيوني في يوم الارض، حيث لوح بامكانية منع العمال من العمل داخل اسرائيل . وقال انهم يحصلون على مليار شيكل في السنة لقاء عملهم واذا توقف - وهو امر نفكر فيه- فماذا سيكون البديل ؟!

الرد المباشر يقول أن الجنرال غورين مثل أي مستعمر يتصور أن رحيله عن المستعمر تسيلقي بأهلها في احضان الجوع والفاقه . وأن من الممكن مبادلة الهوية الوطنية بشيء من فتات مائدة السيد المستعمر .

Digitized by Birzeit University Library

لكن حقيقة هدف المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة تتجاوز ذلك . فلقد اوضح الوزير اسحاق رابين امام اجتماع انتخابي في بلدة بات يام يوم ٢/٢١ أن الهدف من تشديد معاناة اهالي الاراضي المحتلة هو دفعهم للهجرة . أي تنفيذ برنامج الترانسفير بدون اعلانات وبدون ضجة في ذلك الاجتماع قال الوزير رابين شاكيا "رغم المعاناة ورغم قتل ٣٦٠ منهم ، واصابة ٨ آلاف بجروح واعتقال ٢٢ ألفا لم يغادروا البلاد ولم يهربوا وعلى الجيش الاستمرار في مواجهة هؤلاء "أي مواصلة تضييق العيش عليهم لدفعهم للهجرة والبحث عن وطن آخر .

هذا التوجه المفلس جانب من الفكر الصهيوني الذي يوجه القيادة الحاكمة في معالجتها للموضوع الفلسطيني . فقد قال اسحاق شامير في معرض تعقيبه على لقائه بوفد الاشتراكية الدولية ٣/٨ الماضي :"يدور النزاع في الشرق الأوسط حول ارض اسرائيل الكاملة . فهي تعود لنا . ويدعي آخرون أنها تعود لهم . ويمكننا أن نسوي هذا النزاع بالقوة أو بالمفاوضات".

لاحظوا هذا "يدعي اخرون انها تعود لهم". هنا لا يستطيع المرء أن يرى أن المسألة مجرد مغالطة تاريخية أو انسانية . فمنها تفوح رائحة ما من الاستعلاء العنصري هو الاشد اثارة. فالسيد شامير ربما لا يحب أن يفهم أن للناس ذاكره . فلقد اسالت وسائل اعلامه الكثير من الحبر وهي تتحدث عن مشاعر سكان مستوطنة ياميت، وارتباط ذكرياتهم بشطآنها وبيوتها ...الخ وهم قد مكثوا فيها أقل من خمس سنوات قبل أن تهدمها القوات الاسرائيلية بعد قرار عودة سيناء لمصر . ولو تفضل السيد شامير بسؤال أي مواطن عن عمر قريته لأجابه بأنه على الأقل ألف سنة . وربما لصحبه لرؤية قبر جده العاشر . والسؤال اذا كان اليهودي يشكل من الروابط والمشاعر في خمس سنين مع مكان عاش فيه ما يجعله يشعر بانتمائه له .. أفلا تكون ألف سنة كافية لتشكيل روابط مماثلة عند الفلسطيني ؟ وهؤلاء الآخرون يصر السيد شامير وزملاؤه من رابين حتى أصغر ضابط أنهم ليسوا شعبا . وما دامت الأرض التي يعيشون عليها هي جزء من أرض اسرائيل الكاملة فهي ليست وطنا لهم، وهم مجرد سكان يمكن نقلهم والتصرف في حياتهم ومستقبلهم كما تشاء اسرائيل . وهم في تصور رابين نوع من حيوانات لا تنموا بينهم وبين الارض التي عاشوا فيها حقبا طويلا من الزمن روابط معينة تجعلهم يشعرون بأنها وطنهم الذي لا وطن لهم غيره وعليه وفي رأي شامير أن من يوجد منهم على ارض فلسطين فيمكن منحهم حكما ذاتيا، ومن باب كرم المسؤولين لا غير، يمكن أن يكون موسعا على أن لا يتطور الى دولة مستقلة . أما الاجزاء الأخرى، أي فلسطينيو الشتات فيجب توطينهم حيث هم ودمجهم في مجتمعات لم تنجح ٤٢ سنة في دمجهم فيها .

وهكذا فان الوزير رابين يعرف الفلسطيني ببساطة على انه "عربي يسكن الاراضي المحتلة وشرقي القدس". ويقول د. ميرون بنيفنستي أن "رابين يحاول اعادة تعريف اصطلاح فلسطيني وذلك في محاولة منه لأن يجعل المشكلة تقتصر على اؤلئك الموجودين في الاراضي المحتلة . ويعتقد أن هذه المحاولة أكبر بكثير من مجرد محاولة وضع حاجز بين الفلسطينيين في الداخل وبين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية "ويضيف بنيفيستي : ان ما تخشاه اسرائيل ليس سياسات منظمة التحرير، وليس حتى اقامة دولة فلسطينية مستقلة بل بالاحرى .. عودة الفلسطينيين ". وهنا فان المبدأ يخيفهم اكثر من تطبيق ".

والجهود التي تبذل لاثبات أن لا حقوق وطنية للشعب الفلسطيني ببساطة لأنه لا يوجد شعب

Digitized by Birzeit University Library

بهكذا اسم هي جهود كبيرة . وبداية ليس لهذا الشعب حق في وطن وبالتالي ليس له حق في تقرير المصير .

ففي اميركا ظهر مؤخرا كتاب عن تاريخ فلسطين لمؤلفه صهيونية اسمها جوان بيترز. ويقول بوعز عفرون في يديعوت احرونوت عن هذا الكتاب انه مكرس لاثبات الادعاء القائل بأن معظم الفلسطينيين قدموا عمليا الى فلسطين من البلدان العربية المجاورة . أما سبب مقدمهم فهو جاذبية رؤوس الاموال والتشغيل اللذين اتى بهما اليهود. وهكذا يحاول الكتاب أن يثبت أن اليهود سبقوا معظم الفلسطينيين على أرض فلسطين " ويضيف عوفرون ان اقوالا مثل هذه هي التي دفعت اسحاق شامير لوصف الفلسطينيين بأنهم "غرباء وغزاة برابرة " . وفي رأي شامير وشارون ورابين أن من الممكن اعادتهم بنفس الطريقة التي قدموا بها . والمسألة تتعدى أي تصور لحالة الاحباط التي يعيشها أصحاب هذا الرأي .

محطة ٤

التوطين

يكثر المسؤولون الاسرائيليون من القول أن قيام دولة فلسطينية هو الخطوة الأولى من برنامج الخطوة خطوة الذي تتبناه منظمة التحرير لتدمير اسرائيل. ويلوحون برفع حق العودة أو التعويض للاجئين الفلسطينيين حسب قرارات الأمم المتحدة بأنه الدليل العملي على نية تدمير اسرائيل.

واذا تجاوزنا حقيقة ان المؤسسة الحاكمة تراجعت عن أسس الدعاية الصهيونية قبل وعد بلفور بأن اليهود يبحثون عن مجرد ملجأ آمن لا يتعرضون منه للذبح والاضطهاد، فانهم يطالبون الفلسطينيين الآن بالتخلي عن مبدأ حق العودة اي تدمير الذات، اثباتا لحسن النية. وحتى المتنورون منهم من اليسار الاسرائيلي الذين يعترفون بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير. وفي وطن وفي دولة يرفعون هذا المطلب. ويفسر البعض هذا المطلب بأنه أحد نتائج عامل الخوف المترسب في أعماق النفس اليهودية جراء الاضطهادات الطويلة التي عاشها اليهود على مر العصور. مع أن التاريخ لم يسجل ان الفلسطينيين بالتحديد، من دون سائر شعوب الأرض مارسوا أي عمل عنيف ضد اليهود قبل أن يبادروا هم من خلال محاولاتهم لتجريد الفلسطينيين من وطنهم بعد صدور وعد بلفور.

وحقيقة المطلب الاسرائيلي تتلخص فيما يلي: من أجل ان نطمئن انكم لا تستهدفون تدمير دولة اسرائيل عليكم ان تبدأوا بتدمير انفسكم. ذلك هو جوهر المطلب بالتنازل عن حق العودة فالذين سيبقون هم فقط أهالي المناطق المحتلة أما الآخرون فليصبحوا كويتيين وعراقيين وسوريين..

وتحاول أجهزة الدعاية والفكر الاسرائيلي اقناع الرأي العام الغربي عموما والامريكي خصوصا بأن ذلك أمر طبيعي وممكن. وهو بالتحديد هدف كتاب جوان بيترز الذي سبق الاشارة اليه، وهو بالمناسبة ليس الوحيد فما داموا من غير أهل هذه البلاد وقدموا على شكل مجموعات

Digitized by Birzeit University Library

صغيرة بعد أن جذبهم رأس المال اليهودي يمكن ببساطة عودتهم الى الاماكن التي أتوا منها، واعادة توطينهم.

وربما على هذا الأساس عاد الوزير شارون يكرر اتهاماته للأنظمة العربية بالتقصير في توطين اللاجئين فيها. وبعض الأنظمة المذكورة مدينة باستقرارها لجيش السيد شارون ذاته. كما عاد يكرر ان اسرائيل استوعبت ووطنت مليون يهودي قدموا من البلاد العربية في حين لم تفعل الأنظمة العربية ذلك بالنسبة ل ٨٠٠ ألف فلسطيني.

ويحاول شارون قبل غيره من الوزراء ان يتجاوز الواقع والحقيقة وهي أن الشعب الفلسطيني متميز ولا يمكن ذوبانه في شعوب أخرى. والأردن حاولت ذلك بجدية وليس في المخيمات والأحياء الفقيرة لم يحدث الذوبان أو الدمج بل حتى في الأحياء الغنية قاعدة الحكم ظل الفلسطينون فلسطينيون والأردنيون أردنيون وحتى في داخل أجهزة الحكومة ذاتها.

كما أنه يحاول تجاوز حقيقة ان اليهود الذين قدموا من المغرب مثلا سكنوا مكان الفلسطينيين المطرودين واستولوا على ممتلكاتهم.. ومثلهم الذين قدموا من العراق واليمن وايران وأوروبا لكن الفلسطينيين حلوا بين أشقاء لم يهاجر منها يهود كالأدرن والكويت ولبنان وظلوا هكذا بلا ممتلكات وبلا أي شيء.

ومع ذلك يبدو أنه ما كان بدون الانتفاضة يمكن ان يتذكر شارون أو زملاؤه أن أوضاع اللاجئين داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة زادت بؤسا، وظلت بدون حل حتى داخل اسرائيل ذاتها. مشكلة أهالي اقرث وكفربرعم والبرودة وعشرات القرى الأخرى. وهكذا فطن شارون، بقوة الانتفاضة، أنه يتوجب ايجاد حل لعذاب سكان المخيمات الذي دام ٤٢ عاما متواصلة.

وبعد ان لم يكن لدى شارون في العام ٧٠ ما يقدم للاجئين في غزة غير تدمير اسطر من بيوت المخيمات وتشريد ساكنيها للمرة الثانية والثالثة، ولفتح شوارع عريضة تسهل حركة جيشه في مواجهة المقاومة المسلحة آنذاك فطن شارون انه يتوجب وضع حد للبؤس. فقد اقترح ان يعاد بناء قطاع غزة وتصنيعه.. ولكنه قال أن اسرائيل لا تتمكن وحدها من ذلك وأنه على أمريكا وأوروبا بالاضافة لاسرائيل المساهمة في هذا المشروع الكبير للقضاء على الازدحام وتوفير مستوى انساني لائق يحول دون ممارستهم للعنف.

وشارون "الرحيم" هذا لم يطرأ على باله ان يعيد بعضا منهم للسكن في مزرعته التي اغتصبها منهم بالقوة العسكرية في العام ٦٧. ومثله مثل شامير ربما يتصور ان شقة جديدة تنزع منهم الآمال والذكريات وتنسيهم قبور الأجداد. وربما في ظنه ان الفلسطينيين درجة دنيا من البشر لا يملكون مثل هذه الاحاسيس والمشاعر وان ملكوها فلا حق لهم في استمرار الاحتفاظ لها.

محطة ٥

الدولة الفلسطينية جارة وليست اداة تدمير

وفي الذكرى العاشرة لتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد، صرح مناحيم بيغن وفي أول خروج صمت اختياري دام خمس سنوات، أن قيام دولة فلسطينية يشكل خطرا ماحقا ليس على اسرائيل وحدها

Digitized by Birzeit University Library

بل على سائر دول المنطقة.

ولا يخلو تصريح لمسؤول اسرائيلي، وفي المقدمة اسحاق شامير وفي معرض تبرير معارضة قيام الدولة الفلسطينية، من تكرار نفس القول السابق. ويضاف الى ذلك تخويف الرأي العام الغربي وحتى الفلسطينيين من أنها قد تكون لبنان ثانية بدعوى ان الفصائل الفلسطينية المسلحة ستحاول تصفية خلافاتها بقوة السلاح. ولأنها ستكون مثل سائر الأنظمة العربية دولة دكتاتورية. ودموع التماسيح "الانسانية جداً" لا تتوجه الى المطالبة بأن تكون الجارة الفلسطينية دولة ديمقراطية ولا تفكر بالطلب من المؤتمر الدولي، توفير ضمانات لكي تكون، هذه الدولة ديمقراطية كما لا تشترط اسرائيل شرط الديمقراطية للاعتراف بالدولة الفلسطينية... لأن كل ذلك لا يعنيها في الحقيقة.

واذا أخذنا المعنى المباشر لمقولة أن الدولة الفلسطينية ستكون مصدر تهديد لاسرائيل والدول الخرى، فان من المتعذر على كل ذي تفكير سليم أن يفهم من أين وكيف سيأتي هذا التهديد.

فبعد تطور الأسلحة الصاروخية والنووية والكيماوية، أي اسلحة الابادة الجماعية وناقلاتها ذات المدى الطويل، يكون الحديث عن تهديد فلسطيني عسكري لاسرائيل مجرد هذر. فمساحة الأرض وطبيعة الدولة المجزأة بين الضفة والقطاع، وحقيقة ان فئة جنود اسرائيلية من ٤ وحتى اثنين ومسلحة بأسلحة خفيفة تقدر في كل وقت على فصل الجزئين عن بعضهما، كما تستطيع فصيلة مماثلة فصل جنوب الضفة عن شماله، ناهيك ان دولة فلسطين لا تستطيع في المدى المنظور امتلاك قوى عسكرية مماثلة للتي في حوزة اسرائيل، وهذه الحقيقة تفرض رفض الأخذ بهذا المعنى المباشر.

كذلك من الصعب تصور مصدر الخطر الذي تتحدث عنه اسرائيل مع معرفة ان الحل باقامة الدولة الفلسطينية المستقلة واقرار الحقوق الوطنية العادلة للشعب الفلسطيني سيجلب معه انهاء حالة الحرب القائمة بين اسرائيل والدولة العربية. وربما سيعقبه اعتراف متبادل وعلاقات طبيعية وانهاء حالة العداء وقيام علاقات تعاون، تصبح معه اسرائيل جسما مقبولا وجزءا من الشرق الأوسط بعد أن ظل غريبا ومرفوضا طوال أكثر من أربعة عقود. وبذلك يزول خطر التهديد بالأسلحة الصاروخية والكيماوية والنووية ويصبح من الصعب تصور قيام حروب بعد ذلك لانتفاء دوافعها.

ما هو الخطر اذن الذي يكرر اسحاق شامير، مثلما فعل مناحيم بيغن، والوزراء الآخرون التحذير منه، وليس على اسرائيل وحدها وانما سائر دول المنطقة، من قيام دولة فلسطينية مستقلة؟ ان المرء مهما اجتهد في التفكير لا يستطيع غير الحصول على جواب واحد لهذا السؤال وهو حلول السلام. فقيام الدولة الفلسطينية سيجلب معه السلام. والسلام يعني حدوث تغيير على كامل الوضع في المنطقة وربما على ادوار بلدانه وليس في نطاق المنطقة وحدها. السلام سيحتم اعادة نظر من قبل الدول الكبرى في الوسائل اللازمة لضمان مصالحها. واذا ما انتفت الحاجة للعدوان فان من المنطقي من قبل ان لا تستطيع اسرائيل مواصلة لعب دور كلب الحراسة للمصالح الامريكية... ويبدو ان هذا هو ما يشكل مصدر التهديد لمستقبل اسرائيل، لأن دفع أجور الحراسة سيتوقف ان عاجلا أو آجلا كما ستضطر اسرائيل للاعتماد على نفسها.

Digitized by Birzeit University Library

والسلام سيعيد حسابات كثيرة خاصة بالانظمة العربية وليس بالنسبة لأدوارها فقط. وبينها انتفاء المبررات لاستمرار الديمقراطية والحريات العامة... وانتفاء الحاجة لاستمرار سباق التسلح، والالتفات للتنمية... و...وكثير آخر من الصعب التنبؤ به حاليا. لكن الأمر المؤكد ان قيام الدولة الفلسطينية سيستهل حقبة السلام وسيفتح الطريق لتغيرات عاصفة لا أحد يقرر الان على التكهن بمداها أو بالصورة التي ستستقر عليها. ويبدو ان هذا أكثر ما تخشاه اسرائيل وأنظمة عربية أخرى مدينة ببقائها لعدوانية اسرائيل.

شيء آخر هام غير عهد التغيرات والتطور الذي سيفتتحه قيام الدولة الفلسطينية. فالدولة الفلسطينية يعني قبولها بتحديد الرابع من حزيران ٦٧ حدودا لها وبالملموس رسم حدود نهائية لدولة اسرائيل. وهذا يعني القضاء على حلم الصهيونية بالتوسع المستمر، والقضاء على شهية القيادة الحالية بالضم، هذه الشهية التي تفتحت على آخرها خلال ال٢٢ سنة الماضية. وهذا التحديد لحدود دولة اسرائيل مثل حقبة السلام هو مصدر الخطر الذي يستمر شامير بالتحذير منه. ولعل من المفيد ان نتذكر كلمات موشيه ديان في تخريج فوج من طلبة المدرسة العسكرية في اوائل السبعينات خاطبهم ديان آنذاك بالقول أن حدود الخط الأخضر هو ما كان رواد الصهيونية قد حققوه، أما الخطوة الحالية على نهر الأردن فهي ما حققه الجيل الحالي... أما هم فتنتظرهم مهمة تحقيق خطوط جديدة. وأطماع التوسع في الأغوار الشرقية وفي جبال البلقاء وعجلون وسهول اربد تبرز في التصريحات بين وقت وآخر وليس في تصريحات شارون وحده.

وبعد

لا تتورع المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة عن فعل أي شيء لكي تعيد أصدقاءها في العالم "الغربي الحر" لتبني مواقفها. ولكي تواصل الادارة الامريكية، عدم الاقرار بحقيقة مجرد حق الشعب الفلسطيني في الوجود وفي وطن وبالتالي حقه في تقرير المصير ودولة مستقلة وتطور حر وآمن وحقه في سلام عادل يضع حدا لمأساته وللكوارث التي توالت عليه لأكثر من أربعة عقود.

لكن المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية لا تستطيع فعل شيء مع الانتفاضة لأسباب عديدة وبينها انها اختارت أرض معركتها وأسلحتها لم ينجح جبروت القوة العسكرية الاسرائيلية في معالجتها. كما وضعت القيم التي طالما اغدقتها اسرائيل على نفسها، وزينت بها صورتها أمام أعين العالم، وضعت هذه القيم على المحك... الى غير ذلك.

ولذلك بأساليب تفتقر الى المنطق تحاول اسرائيل تشويه وجه الانتفاضة، فتصفها بالارهاب... لكن العالم وهو يرى بالصوت والصورة ما يجري في الأرض المحتلة ظل يكن أعمق التقدير ويتزايد تضامنه مع الانتفاضة التي يراها من خلال وجهها الديمقراطي العميق.. ويدين انتهاكات اسرائيل الفظة لحقوق الانسانية واساليبها الوحشية في معاملة الانسان الفلسطيني وحتى الطبيعة والبيئة والتراث الحضاري الذي هو ملك للانسانية جمعاء.

لقد ذهب اسحاق شامير في محاولات التحريض على الانتفاضة الى الحد الذي جعل نبش

Digitized by Birzeit University Library

ماضيه أمرا ضروريا فلم يتورع شامير عن مقارنة عرفات بأدولف هتلر بالزعم ان كليهما كرسا حياتهما من أجل ذبح اليهود. واذا كان شامير لم يدرك أنه وغيره باستمرار تركيزهم على هذا الجانب من جرائم هتلر انما يبرئونه من جرائم ابادة شعوب أخرى، لدرجة تجعل المرء يظن أنهم مستعدون لغض النظر عنها لو لم يكن اليهود أول ضحاياها، واعتبار ذلك عائقا امام رغبتهم في ذبح الشعب الفلسطيني، اذا كان شامير لم يدرك ذلك فانه لم يدرك أكثر أنه يفتح المجال للنبش في ماضيه شخصيا وماضي كثرة من زملائه، واتضح ان هذا النبش ليس في صالحه أبدا. فقد خرج أكثر من كاتب وصحفي ليذكره بماضيه في التعاون مع النازية. كما ذكره آخرون بماضيه الارهابي أيام كان يقود عصابة ليحي وشتيرن. وصار واضحا أن من مصلحة شامير ان يغلق هذا الباب. لكن ظل السؤال معلقا بعد ذلك. فاذا كانت اسرائيل قد أقامت الدنيا ولم تقعدها عندما نبشت ماضي مستشار النمسا كورت فالدهايم ولم تستطع اثبات تعاونه مع النازية... فلماذا هذا السكوت المريب على ماضي شامير؟! أم أن المسألة أنه يحق لليهودي ما لا يحق لغيره.. حتى ولو كان ذلك التعاون مع النازية التي أقامت المحارق لليهود ولغير اليهود؟!

لقد تجند كثيرون للدفاع عن ماضي شامير الارهابي. وطنش الكثيرون عن ماضي تعاونه مع النازية. وكان اغرب دفاع ذلك الذي قدمه تيدي كوليك في لقائه مع الوزير البريطاني وولدغريف الذي كان قد سبق وذكر بماضي شامير الارهابي. فان كوليك "صحح ان شامير كان ارهابيا لكنه ومنذ ٣٠ سنة يعيش الديمقراطية. أما كل ما يفعله عرفات فهو القاء خطاب أو اثنين. فكيف بالامكان المقارنة بين الحالتين".

والسؤال يا سيد كوليك لماذا لا يخطر ببالكم وببال المؤسسة الحاكمة الاشتراط على المؤتمر الدولي أن يضمن الديمقراطية للدولة الفلسطينية العتيدة؟! ولماذا لا تتاح لعرفات، كما اتيحت لشامير فرصته أن يعيش الميمقراطية، ليتخلص كما تخلص شامير من ماضيه الارهابي في حال التسليم جدلا بأن عرفات هو كذلك؟! وفوق هذا الا يحس واحد مثل السيد كوليك أو احد سامعيه بالرائحة الكريهة لمثل هذا الكلام العنصري؟!

Digitized by Birzeit University Library

قائمة باسماء شهداء الشهر السادس عشر للانتفاضة

تدخل الانتفاضة الشعبية مع صدور هذا العدد، شهرها السابع عشر. وقد بلغ شهداء الشهر الماضي (٢٩) شهيدا. بالاضافة الى مئات الجرحى والمعتقلين.

وبذلك يصل عدد شهداء الانتفاضة حتى ١٩٨٩/٣/٣١ (٥٠٩) شهيدا.

وفيما يلي قائمة بأسماء شهداء الشهر السادس عشر.

الخميس ١٩٨٩/٣/٢

- مروان حسين كراز (٢٤ عاما) حي التفاح/ غزة. أصيب بعيار ناري في رأسه.

الجمعة ١٩٨٩/٣/٣

- محمد أبو هنية (١٧ عاما) دار صلاح/ بيت لحم. استشهد جراء ضربه بالهروات على رأسه يوم ١/٢٥.

الاثنين ١٩٨٩/٣/٦

- أحمد رمضان العزامي (١٩ عاما) بيت لاهيا/ قطاع غزة. أصيب بعيار بلاستيكي في القلب.
- محمود يوسف عليان المصري (٣٥ عاما) رفح. استشهد جراء التعذيب في زنازين سجن غزة.

الثلاثاء ١٩٨٩/٣/٧

- حكم اسماعيل باكير (١٧ عاما) نابلس. أصيب بعيار ناري في الرقبة.

الخميس ١٩٨٩/٣/٩

- عاطف عليان علي الجندية (١٦ عاما) حي الشجاعية/ غزة. أصيب بعيار ناري في رأسه مما أدى الى كسرين في الجمجمة وتطاير دماغه الى الخارج.
- ابراهيم خالد علي (٢٦ عاما) قرية خربثا المصباح/ رام الله. أصيب بصعقة كهربائية بعد أن أرغمه الجيش على تسلق عمود كهرباء لانزال العلم الفلسطيني.

Digitized by Birzeit University Library

الجمعة ١٩٨٩/٣/١٠

- زهير لطفي الهمص (٢٤ عاما) مخيم رفح/ قطاع غزة. أصيب بعيار ناري في بطنه.

الأحد ١٩٨٩/٣/١٢

- محمد خالد خليل شريم (١٨ عاما) مخيم عايدة/ بيت لحم. أصيب بعدة عيارات نارية في بطنه قبل يوم من استشهاده.

السبت ١٩٨٩/٣/١٨

- فوزي محمد بخيث (٢٠ عاما) حي الشيخ رضوان/ غزة. أصيب بعيار ناري في صدره. وهو شقيق الشهيد عبدالحليم الذي استشهد يوم ١٢/٢٠/، ولهما أخ شهيد ثالث سقط في لبنان.

- عبدالناصر محمد الشريف (١٩ عاما) حي الشيخ رضوان/ غزة. أصيب بعيارات نارية في رأسه وصدره.

- مجدي محمد الغوراني (١٩ عاما) حي الشيخ رضوان/ غزة. أصيب بعيارات نارية في عنقه ورأسه.

الأحد ١٩٨٩/٣/١٩

- طلال سليم الأعرج (٢٦ عاما) حي الدرج/ غزة. أصيب بعدة عيارات نارية في الرأس والصدر والرقبة والفخذ الأيمن.

- أسعد طلال حمودة (١٥ عاما) حي الزيتون / غزة. اخترقت رصاصة قاتلة جبينه وخرجت من مؤخرة رأسه حاملة معها أجزاء من دماغه.

- سامر محمد عاروري (١٢ عاما) قرية السيلة الحارثية/ جنين. أصيب برصاصة في رأسه.

- نعمان طه جرادات (١٧ عاما) قرية السيلة الحارثية/ جنين. أصيب بعيار ناري في رأسه.

الاثنين ١٩٨٩/٣/٢٠

- عمر موسى حجاجلة (٤٥ عاما) قرية الولجة/ بيت لحم. صدمته سيارة عسكرية كانت تسير بسرعة جنونية في داخل المدينة.

الأربعاء ١٩٨٩/٣/٢٢

- أحمد عبدالفتاح احديد (١١ عاما) مخيم طولكرم/ طولكرم. أصيب بعيار ناري في قلبه.

الخميس ١٩٨٩/٣/٢٣

- ماهر شكيب رفيق سعيد (١٤ عاما) قرية أوصرين/ نابلس. أصيب بعيار ناري في صدره.

الجمعة ١٩٨٩/٣/٢٤

- مروان نايف حسين أبو تمام (١٩ عاما) مخيم طولكرم/ طولكرم. متأثرا بالجروح التي أصيب بها يوم الأربعاء ٣/٢٢ . (رصاصة في صدره).

Digitized by Birzeit University Library

السبت ١٩٨٩/٣/٢٥

- عدلي أبو ربيع (٢٠ عاما) مخيم خانيونس/ قطاع غزة. أصيب برصاصة في قلبه.
- أشرف حسن أبو جزر (٢٠ عاما) تل السلطان/ رفح/ قطاع غزة. أصيب برصاصة في بطنه.

الاثنين ١٩٨٩/٣/٢٧

- أمجد هشام أحمد نصار (٤ أعوام) قرية بيت قاد/ جنين. أصيب بعيار ناري في صدره.

الثلاثاء ١٩٨٩/٣/٢٨

- عمار جميل اشتية (١٩ عاما) قرية سالم/ نابلس. استشهد متأثرا بجراحه التي أصيب بها يوم ٣/١٣.

الأربعاء ١٩٨٩/٣/٢٩

- عبد العزيز ناجي عبيد الله (٣٥ عاما) حي الدوحة / بيت جالا . استشهد جراء انفجار عبوه داخل منزله .
- عبد المنعم يوسف عبدالله (٢٠ عاما) سلفيت / نابلس . أصيب بعدة عيارات نارية في صدره.

الخميس ١٩٨٩/٣/٣٠

- أكرم سيف الدين عيسى خويلد (١٨ عاما) قرية شويكة / طولكرم . أصيب برصاصة في قلبه استشهد على اثرها على الفور .
- محمد منصور عبد ربه (٢٢ عاما) قرية الجيب / رام الله. أصيب برصاصة في قلبه .
- نصر خالد نصر (٢٤ عاما) مخيم جباليا / قطاع غزة . أصيب بعيار ناري في قلبه .

وأسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة ، تتقدم من شعبنا الفلسطيني وأهل الشهداء بخالص العزاء.

Digitized by Birzeit University Library

سياسة التجهيل تحت المجهر !!!!

نورما مصرية

"من لا يريد الدراسة لا داعي لوجوده في المدارس"

هذا ما قاله الياهو بن اليسار - مساعد وزير الخارجية للامن القومي، في مقابلة له مع التلفزيون الاسرائيلي بتاريخ ١٩٨٩/١/٢٤ مبررا به عملية اغلاق المدارس الى اشعار آخر من قبل سلطات الاحتلال.(١)

يمكن أن يكون هذا الجواب لمستمع عادي لا يعلم شيئا عن المناطق المحتلة وما يجري فيها من ممارسات "منطقي جدا" ! لكن الامر غير ذلك، خاصة وان قرار الاغلاق شمل رياض الاطفال ايضا! من هنا ينبغي ان يكون تساؤلنا، اذا كان السبب الحقيقي وراء الاغلاق كما يزعمون "أعمال الشغب" التي يقوم بها الطلبة! فكيف يمكن ان نفسر القرار القاضي بأغلاق رياض الاطفال ؟! هل فعلا لقيت "أعمال الشغب" نهايتها بعد اغلاق المدارس ؟! .

في نظرة الى تلك السياسة التي تمارسها السلطات الاسرائيلية ضد الفلسطينيين وضد التعليم، نرى ان تلك السياسة ما هي الا حلقة في سلسلة من الممارسات والانتهاكات التي تقوم بها اسرائيل دون اي اعتبار للانسان وحقوقه في الارض المحتلة . ومن أجل معالجة موضوع الانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان، فقد قيل :

"لا يكفي من اجل تناول قضية الحقوق الفلسطينية بالشكل الصحيح، تصنيف قائمة بسلسلة الانتهاكات التي لا نهاية لها، بل يستلزم الأمر تفهم طبيعة دولة اسرائيل". (٢)

لا يمكن اعتبار سياسة التجهيل ومخططاتها نزوة عند بعض المسؤولين الاسرائيليين، بل هي من أسس المخطط الصهيوني القائم على الاضطهاد القومي الرامي الى تحويل العرب الفلسطينيين الى اقلية في بلادهم وتطبيق فكرة الوصول الى أغلبية يهودية متفوقة، وان ما يدعو له اليوم رؤساء الاحزاب اليمينية المتطرفة امثال حركة "موليدت" عن ترحيل عرب الارض المحتلة

Digitized by Birzeit University Library

الى الدول العربية الا استمرارا لما نادى به أباء الصهيونية وعلى رأسهم بن غوريون الذي قال في حديث له حول ترحيل عرب اسرائيل :

"ان كل تردد من قبلنا بخصوص الحاجة الملحة لعملية التهجير. واحتمال تنفيذها، أو مجرد الشك في عدالة هذه الفكرة، قد يؤدي الى فقداننا فرصة تاريخية". (٣)

ويبرر رحبعام زئيفي (غاندي) زعيم حركة "موليدت" دعوته لترحيل العرب، بقدرة اسرائيل على طرد العرب الفلسطينيين أبان "حرب الاستقلال" عام ١٩٤٨، ويتساءل، لماذا لا نفعل ذلك ثانية ؟ ولغاية طرد آخر واحد منهم من أرض اسرائيل. (٤)

ولعل (غاندي) يغض النظر من خلال طرحه هذا عن الواقع الموضوعي المتحرك، ومنطق التطور التاريخي الذي علمنا ان تجارب التاريخ وما تضمنته من دروس لنا وعبر لن تعود بالواقع الى الوراء . ولن يجبر الفلسطيني على مغادرة ارضه بالقوة كما حصل في ١٩٤٨، وعليه، فلا أحد يستطيع ان يعمل ضد التاريخ، كما ولا يمكن ارجاع عقارب الساعة الى الوراء ! وبهذا الطرح يكون (غاندي) قد عبر عن الفكر الصهيوني الذي لا يؤمن من أن الكون بكافة ظواهره المادية والاجتماعية في حالة تغير مستمر، وحيث يعتبر اليهود انفسهم مستثنيين من هذا القانون العلمي الشامل. ان اصطناع الصهاينة مثل هذا المنهج الميتافيزيقي في نظرتهم لليهود وللصهيونية وللتجمع الاسرائيلي، حرص مفهوم تماما وله ما يبرره. فهو المنهج الوحيد الذي يكفل لهم تجنب مواجهة الحقيقة، والذي ييسر لهم ايضا اغتصاب الحق العربي . كل ذلك مفهوم ومبرر، لكن ترى ما الذي يبرر لنا نحن العرب، ومعنا شرعية الحق وعلمية الحقيقة على حد سواء، ان نقع في حبائل مثل هذه المقولات المثالية - ولا نقول الصهيونية - التي تتعارض مع قواعد المنهج العلمي، فضلا عن تناقضها مع الحق الفلسطيني العربي؟ هذا هو السؤال .

ولعل ذلك يكفي دون خوضنا في مزيد من التفاصيل لمعرفة حقيقة كون السياسة العنصرية تجاه العرب كانت وما زالت هي حجر الزاوية الكامنة وراء ممارسات السلطات الاسرائيلية داخل فلسطين ١٩٤٨ وفي المناطق المحتلة ما بعد ١٩٦٧، وعلى كافة الاصعدة، فلا فرق بين فلسطيني يسكن الجليل أو آخر في غزة، فالمد العنصري يشمل الجميع، نساء، اطفالا، شيوخا وشبابا !

لنترك ذلك كله، فقضية الممارسات الاسرائيلية العنصرية جديرة حقا بجهد علمي منفصل. ولننتقل الى موضوعنا أو ما يمس موضوعنا مباشرة، لنحاول الاجابة على التساؤل التالي: ما هي دوافع اسرائيل في اتباع سياسة التجهيل ضد العرب ؟.

ومرة اخرى نعود الى ما ورد على لسان أحد مستشاري بن غوريون للشؤون العربية "اوري لوباراني"، حيث قال انه "يجب الابقاء على عرب اسرائيل حطابين وسقائين".

ان جهود اربعين عاما من التجهيل، والتي بدأت منذ اقامة دولة اسرائيل، لم تؤد الى تحقيق الحلم الصهيوني في الابقاء على الفلسطينيين "حطابين وسقائين". فلم يعد لهذا الاصطلاح معنى عملي اليوم، خاصة اذا علمنا ان التخوف الصهيوني من ارتفاع نسبة الزيادة الطبيعية للسكان العرب (خاصة في اسرائيل) ومن ازدياد نسبة المتعلمين لديهم قائم . يخشى المستشرق البروفسور ارنون سوفر من هذا فيقول : "ان زيادة طبيعية كبيرة، زائد أرض، رائد ثقافة، رائد احباط، تقود جميعها في نهاية الأمر الى تكوين "قنبلة زمنية" (٥).

Digitized by Birzeit University Library

الا ان وضع الخطط واقرار السياسات من قبل المسؤولين الاسرائيليين لا يعني ضمان تحقيق النتائج المطلوبة. فالشعب الفلسطيني رغم شتاته ورغم انتهاك حقوقه على كل صعيد بما فيه حق التعليم والثقافة الذي أقرته المواثيق الدولية، كما جاء في مادة رقم ٢٦ من الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عام ١٩٤٨ والذي يؤكد على أهمية هذه الحريات من أجل تطور الانسان، هذا الى جانب الحماية التي تمنح له بموجب مادة ٤ من اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩، كون الفلسطيني يقع ضمن تصنيف "اشخاص محميون" Protected Persons (ويعيش في الضفة والقطاع التي تعتبر مناطق محتلة (من قبل اسرائيل) كما جاء في مادة ٤٢ لنفس الاتفاقية، وعليه، فأن سكان الارض المحتلة تشملهم حماية مزدوجة متمثلة في الاعلان العالمي لحقوق الانسان والاخر في اتفاقية جنيف الرابعة وغيرها من المواثيق التي تتناول حماية الافراد خلال الحرب . فأين اسرائيل من كل هذا؟ وأين آلية هذه المواثيق لمنع الانتهاكات التي تقع في الاراضي المحتلة ؟!

ان ما يعنينا ببساطة هو أن السلطات الاسرائيلية بمحاولتها فرض سياسة التجهيل في الارض المحتلة بوجهيها السياسي والعسكري تمثل الفكر الصهيوني الذي لا يكف عن محاولته مد فكرة ان اليهود كانوا مضطهدين تاريخيا وما زالوا، ويكررون ذلك دون ملل، ومن يضطهدهم هذه المرة هم العرب، فكيف بالاحرى لو كان هؤلاء العرب متعلمين ومثقفين؟! هذه الصورة التي يريد لها الفكر الصهيوني ان تستقر في عقل العالم الخارجي عامة، وعقل من فيه من اليهود بوجه خاص . وأهم من ذلك كله سعيه الى ان تستقر تلك الصورة في اذهان اليهود الاسرائيليين انفسهم . ويصاحب تدعيم عنصر الشعور بالاضطهاد عنصر اخر وهو عنصر التمايز، "وهو تبني فكرة الامتياز العقلي لليهود، فليكن التمايز هو الدعوى لتفوق الجنس اليهودي ونبوغه، وليتخذ عنصر الشعور بالاضطهاد صورة جديدة بالفرار بدلا من الاستسلام" (٦).

ونجد انفسنا بذلك حيال تساؤلين : اولهما : تساؤل نظري مؤداه : ما الذي يحدد ان يتخذ هذا الانتهاك لحقوق الانسان هذه الصورة بالذات أو تلك؟ والتساؤل الثاني : مترتب على التساؤل الأول وهو تساؤل عملي مؤداه : الى اي مدى استطاع انتهاك الاسرائيليين للتعليم على المستوى الفلسطيني تحقيق اهدافه ؟

ويمكننا ان نرجع باجابتنا فيما يتصل بالتساؤل الاول الى قضية سبق ان أشرنا اليها اشارة عابرة، وهو ان الفكر الصهيوني في انتهاجه للفكر الميتافيزيقي يتجنب مواجهة الحقيقة ويرفض فكرة ان العالم حوله يعيش حالة تغير مستمر . فلا يكفي أن تتوفر ادوات القهر اللازمة لاغلاق المؤسسات التعليمية وهدم البيوت وغيرها مثلا حتى تحقق اسرائيل دوافعها من وراء هذه الانتهاكات . لا بد لمن يتبع هذه السياسة ان يدرك ان السمة التي تربط تلك الممارسات جميعا هي مجرد امكانية في محاولة لتكريس وترسيخ مبدأ "الحفاظ على الامن"، وقد يسهم ذلك في الوقوف في وجه تقدم الطرف الاخر وقد يدفعه الى الأمام، ولكن لا تحدد المسيرة المصيرية الطويلة للشعب الفلسطيني ولن تكون طالما لن يسمح به شعبنا .

واذا ما حاولنا التصدي للاجابة على التساؤل الثاني بمعنى ان نحاول البحث عن الاسباب التي ادت بالاسرائيليين الى اتخاذ التعليم ومؤسساته كأحد المبررات لقمع الانتفاضة، فان تصدينا لمثل هذا التساؤل (٧) يكشف عن الحقيقة كما قال أحد زعماء اللاجئين الفلسطينيين في

Digitized by Birzeit University Library

مقابلة له مع صحيفة الغارديان : "عندما تخسر أرضك يكتب عليك أن تصبح مثقفا" . والدليل على ذلك هو ان الفلسطينيين لديهم أعلى نسبة من خريجي الجامعات في العالم العربي، ٢١/...١، مع ان الفلسطينيين يشكلون ٢ر٢ بالمئة فقط من الامة العربية (٨) .

وليس ذلك هو الدليل العملي الوحيد فأن هذه الحقيقة لها جذور ودلالات تاريخية عميقة، تمثلت بحركة النشر الفعالة للفلسطينيين منذ أواخر القرن التاسع عشر، والى سعيهم المستمر لتحسين مستوى تعليمهم الذي كان في سنة ١٩٤٨ من أعلى المستويات في العالم العربي .

فالاهتمام بالثقافة في فلسطين اتخذ طابعا لا طبقيا امتد الى المثقفين وكذلك الى القرويين. وقد عبر عن ذلك في تقرير لجنة "شو" التي جاءت للتحقيق باحداث ١٩٢٩ في فلسطين، حيث ذكر: "أنه رغم ارتفاع نسبة الامية بين الفلاحين، فهم يتمتعون بوعي سياسي عالي، فقد كانوا يتجمعون حول أحدهم في القرية يوميا ليقرأ لهم الجريدة، وللحقيقة فأنهم كانوا ذوي ذهنية سياسية اكثر بكثير من الاوروبيين". (٩)

فالتعليم يمثل للفلسطيني دعما نفسيا : اعتزاز شعب لا يملك غير ذلك الا القليل .

ولم تكن مؤسسات التعليم الوحيدة التي وصلت بالفلسطينيين الى هذا المستوى انما جاء اكتسابه للعديد من المزايا، من خلال التجارب التي اكره على مواجهتها - كلاجيء في المخيم، وكمغترب في الدول العربية والغربية، وكأنسان بلا دولة، فقد كانت مدرسة الحياة له المدرسة الأولى التي صقلت شخصيته وجعلت منه انسانا حركيا، مفكرا، مثقفا، والاهم انسانا واعيا لقدراته وواجباته وحقوقه . وبالتالي، محافظا على بقائه حصنا متينا راسخا وسط كافة السياسات والممارسات الرامية ليس فقط الى تقرير حاضر ومستقبل فلسطين والفلسطينيين، بل تحاول ايضا القضاء على ماضيهم، تاريخهم، حضارتهم وتراثهم، وكل جانب من حياتهم الثقافية.

وطالما استخفت اسرائيل بوجود الشعب الفلسطيني ونضاله القومي، الى جانب الاستخفاف بثقافته وبانتاجه الفكري المحدد المعالم . وامعانا في تشويه الحقائق، نفوا على الشعب الفلسطيني وجود اية مقومات فكرية تجعل منه شعبا واضح الملامح .

لسنا بصدد التحدث عن غنى الثقافة والتراث الفسطيني، بل لا بد من الاشارة الى المحاولات المستمرة والوسائل المستخدمة لفرض سياسة التجهيل الاسرائيلية على الصعيدين العلمي والحضاري القومي .

لقد عمدت سلطات الاحتلال منذ عام ١٩٦٧ الى وضع العراقيل واصدار الاوامر العسكرية الواحد تلو الاخر، والتي كانت تستهدف في العمق، الابقاء على العملية التربوية مبتورة في الارض المحتلة من الناحية الكمية والنوعية . ولست بصدد تناول كافة الاجراءات الاسرائيلية التي تستهدف التعليم ومؤسساته، بدءا بالعاملين في هذا الجهاز وما يتعرضون له من نقل تعسفي، واعتقال، وطرد وخصم من رواتبهم - بسبب عدم اذعانهم لاوامر السلطة - وغيرها من اشكال المعاناة والقمع المستمر، أو، ما يعانيه الطلبة من اعتقال، وابعاد بالنقل الى مدارس بعيدة عن أماكن سكناهم، أو فرض الغرامات العالية عليهم، والاهم اغلاق المدارس والجامعات لمدد طويلة امامهم لاكمال تحصيلهم العلمي الذي هو حق اساسي لهم، وغيرها من الاجراءات التي عمد لمحتل الى استعمالها، ومنها دفع الطلبة الى التسرب والعمل بأجور زهيدة في اسرائيل، أو الشح

Digitized by Birzeit University Library

في الابنية المدرسية، وافتقارها الى المرافق الضرورية، من مكتبة، مختبرات وملاعب ... الخ والادهى من ذلك الاستيلاء على مباني عشرات المدارس الثانوية، حيث بلغ عددها ست مدارس، منها مثلا : (مدرسة الغزالية الثانوية للبنين في نابلس، مدرسة برقة الثانوية وحطين الثانوية في جنين حيث تم تحويلها الى ثكنات عسكرية) (١٠) - ولا بد أن عدد المدارس التي لاقت نفس المصير منذ بدء الانتفاضة كبير ويستدعي الاحصاء !.

قضية تغيير المناهج :

لقد عمدت السلطات منذ بدء الاحتلال عام ١٩٦٧ الى منع تدريس بعض الكتب في مدارس الضفة. فمن مجموع ١٢١ كتابا مقررا من وزارة التربية والتعليم تم الغاء ٧٨ كتابا . الا ان رفض لجان المعلمين لهذه الاجراءات واضراب المدارس، ولهذا السبب. وكنتيجة لذلك تم اختصار الرقم الى ٥٩ كتابا (حسب الامر العسكري رقم ١٠٧) حيث تم اعادة طباعتها مضافا اليها التغييرات.

ولقد استخدمت السلطات الناحية الاقتصادية كوسيلة ضغط لفتح المدارس حيث "منعت تسويق المنتجات في كثير من القرى ... وأصدر وزير الدفاع موشيه ديان أمر دفاع يحظر فيه تصدير الزيت والزيتون الى الضفة الشرقية . وأوضح ذلك في مقابلة مع رئيس بلدية نابلس ووجهائها . كما اعلن لهم : "ان اغلاق المدارس هيأ جميع افراد الشعب نفسيا وعاطفيا للمقاومة" . وزاد على ذلك : "بأنه مستعد لابادة شعب باكمله اذا تعرض أمن اسرائيل للخطر . (١١)

ومما يدعو للدهشة هنا، ان نرى التناقض في السياسة الواحدة . فأغلاق المدارس في بداية الاحتلال كما رآه ديان يهيء نفسيا وعاطفيا الشعب للمقاومة، اما اليوم وفي ظل الانتفاضة فاغلاق المدارس يستخدم كوسيلة لقمع (ودحض) المقاومة في وجه سلطات الاحتلال. فالاغلاق والمقاومة معادلة تحتاج منا الى تفسير. حيث نرى تداخل عوامل الزمان والمكان والانسان لاقرار سياسة تفتقر الى الواقعية والى مواجهة الحقائق، هذا من ناحية . ومن الناحية الاخرى، يدور تساؤلنا هل طرأ تغيير على مفهوم الأمن لدى المسؤولين في اسرائيل في عام ١٩٦٧ واليوم ؟! فاذا كان الاغلاق اليوم للحفاظ على الأمن، فلماذا يكون أمن اسرائيل في خطر عند اغلاق المدارس في ١٩٦٧ ؟ سؤال آخر، ذو وجهين وبحاجة لجواب ؟!

وعودة الى التغييرات التي جرت على المناهج، تقول نجلاء بشور عنها : "بأن ما حذف، انما هو ما ليس في مصلحة اسرائيل ان يعرفه الطالب العربي عن وضعه وتاريخه ومستقبله . وان ما حذف أو استبدل هو عبارة عن حقائق وقيم تسير باتجاهات واضحة عن الوضعين العربي واليهودي ويمكن حصرها في أربعة اتجاهات أو محاور رئيسية. وهذه المحاور الرئيسية هي :

(١) الوحدة العربية (٢) اطماع الاستعمار في الوطن العربي ومقاومته (٣) تقدم المجتمع العربي والتوجيه نحو الاخلاق الحميدة (٤) الصهيونية ودولتها .... والمحاور نفسها متداخلة، فقضية الوحدة العربية مقرونة دوما بالتحرير والاستعمار والصهيونية، فهي تشكل مجتمعة منطلق الثورة العربية" (١٢)

ان هذه التغييرات في المناهج وما يصاحبها من انتهاك لحرمة المؤسسات التعليمية، ولحقوق

Digitized by Birzeit University Library

العاملين في هذا السلك، تعتبر خرقا سافرا للحقوق الثابتة والاساسية لكل انسان في التعليم والحياة الثقافية، كما جاء في الاعلان العالمي لحقوق الانسان (١٣).

لقد كان لليونسكو دائما موقف موضوعي من قضايا التعليم في الأراضي المحتلة. ففي تقرير للجنة اليونسكو لتقصي الحقائق التي زارت الضفة الغربية في مهمة رسمية أوكلت لها من قبل المدير العام، كتب مام هينين ينتقد الاجراءات الاسرائيلية:

فيما يتعلق بالكتب المدرسية المقررة والاجراءات الاسرائيلية المتبعة، فأن حذف فقرات بأكملها أو التغيير الذي تجريه يضعف محتويات الكتاب بشكل كبير... ففي الكتب الأدبية، يتم حذف كامل لأي نثر أو شعر يتناول موضوع التضحية للوطن. وحتى الشعر الجاهلي فأنه يلقي نفس المصير. وتبرز المشاكل بشكل واضح في موضوعي التاريخ والجغرافيا، حيث يتم تغيير الخرائط وحيث تعطى أحداث المنطقة أو الدول العربية وجها جديدا كليا. كما أن هناك احلال لكلمة اسرائيل بدل فلسطين في كافة الكتب(١٤).

قضية منع الكتب:

لم يقتصر منع الكتب المدرسية المقررة بل تعداه الى الكتب الأدبية، الدينية، السياسية والشعرية وغيرها من المواضيع التي شملته روايات نجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم، وكتب ابن خلدون(١٥).

ففي تقرير لمجموعة من الاكاديميين في الجامعة العبرية تبين أن عدد الكتب الممنوعة قد وصل الى ٣٠٠٠٠ (١٦) بينما يزعم مكتب الرقابة العسكرية أن عددها لم يتعدى ال ٢٠٠ كتابا لنهاية عام ١٩٨٢(١٧). فعلى سبيل المثال، وخلال الفترة من ١٩٧٩-١٩٨١ تم منع ٤٠٤ كتب، كما ورد في أوامر الرقيب ١١-١٩: ٣٠٪ منها كتب في الأدب، ٢٧٪ في الفكر والسياسية، ٢٤٪ في الفلسفة، و٨٪ منها في الجغرافية، أما الباقي فيغطي مواضيع مختلفة(١٨).

وفي دراسة وفحص قام به بعض أساتذة الشرق الأوسط في جامعة لندن لقائمة الكتب الممنوعة بناء على طلب عضو البرلمان البريطاني (فرانك هولي) مجلس العموم، الذي كان قد استلم هذه القائمة من أحد الجامعات في الضفة الغربية تبين أن الخصائص المشتركة التي تجمع بين الكتب الممنوعة هي كالتالي:

١. اعمال لها طابع اسلامي عام.
٢. كتب تفسر علاقة اليهود واليهودية بالاسلام.
٣. اعمال تتعلق باسرائيل والاسرائيليين، وذات طابع علماني.
٤. اعمال تتميز باللاسامية (يمكن تبريرها).
٥. اعمال ذات طابع وقيمة ثقافية (١٩).

ان السلطات الاسرائيلية من خلال شن حربها على الكلمة المكتوبة، تحاول ان تحرم الطلبة من تعلم تاريخ شعبهم، ومن التعرف على ثقافة، جغرافية بلاده وتراثه، وكل ما يتعلق بهذا الشعب، بغية اعطاء صورة مغايرة للحقائق التي واكبت المسيرة النضالية لهذا الشعب. واذا اخذنا

Digitized by Birzeit University Library

النتيجة التالية للبحث الذي نشره الدكتور يوحنان بيرس عن تعليم التاريخ في اسرائيل، نجد مثلا: ان الطالب اليهودي في المدرسة الثانوية، يتعلم عن تاريخ شعبه نسبة ٤٠٪ من مجموع حصص التاريخ، بينما يتعلم الطالب العربي ٢٠٪ فقط عن تاريخ شعبه. كذلك فأن الطالب العربي المسلم يتعلم الديانة اليهودية بنسبة سبعة الى ثمانية اضعاف ما يتعلمه عن الدين الاسلامي (٢٠).

والسؤال الذي يطرح نفسه وبشده، اين يقع الخط الفاصل، وهل هناك سياسة واحدة أم سياستان تتبعهما السلطات في هذا المجال؟ فهناك من يدعون ان منع الكتب يأتي بسبب ما تحويه من معاداة وتحريض على اسرائيل... وهنا نتساءل.. كيف يمكنهم ان يفسروا تشويههم للحقائق المتضمنة في كتب الأطفال الاسرائيليين، والتي توجه الاطفال الى احتقار كل ما هو عربي وما له علاقة به؟! فهل يمكنهم تفسير نشر هذا "السم"؟! كما وصفه أب اسرائيلي، بينما يمنع الاطفال الفلسطينيين من دراسة تاريخهم وثقافتهم! ويمضي الاب الاسرائيلي في التعبير عن رأيه قائلا:

"كم يذهلني توجه الاطفال للكتب التي تحتوي على تفصيلات عن الرعب والفاشية والتعذيب والصور المنفرة للعرب، الذين يوصفون بالجبن والخسة. غير انه لم يكن بامكاني منع اطفالي من قرائتها، حيث انهم وقعوا فريسة لادمان متابعتها. انني اتساءل متعجبا، كيف توجد انظمة للملابس والبضائع المنزلية والاغذية، ولم يشمل ذلك كتب الاطفال، ولماذا يلجأ كل من يرغب في كسب النقود لانتاج هذا السم، لدرجة ان هذه الكتب تباع في المكتبات الحكومية".

ويؤكد البروفيسور أدير كوهين (الذي يشغل منصب رئيس مركز أدب الاطفال في جامعة حيفا) في كتابه: "وجه بشع في المرآة: انعكاس الصراع اليهودي- العربي في أدب الاطفال العبري" الصادر عام ١٩٨٥. ما جاء على لسان الأب الاسرائيلي... ففي بحث مستفيض ل ٧٠٠ كتاب اطفال كانت قد نشرت بعد حرب ١٩٦٧. فقد تبين ان ٥٢٠ كتابا من بين مجموع الكتب التي درست، فيها وصف لعلاقات بين يهود وعرب، وقد وجد في ٤٠ كتابا فقط محاولة لوصف متزن وواقعي ومنتفخ يشذ عن الوصف البراجماتي أو النوستالجي، بينما عكست باقي الكتب ٤٨٠ " التوجه المستعرق لطاغي، وعلاقات الكراهية مؤكدة، وما زالت أجواء انغلاق وتوحد قومي واستعلاء وشك وعدائية تجاه العرب تسيطر على قسم كبير من الكتب (٢٢).

فاذا كان هذا هو أدب الاطفال العبري، فما هو حال أدب الكبار في هذا السياق؟ ومرة أخرى تتكشف السياسة المزدوجة التي تنتهجها اسرائيل في تعاملها مع الاسرائيليين من جانب والعرب من الجانب الآخر. وبشكل موشوم بالكراهية والعداء الذي يهدف الى اخفاء أحقية وشرعية القضية الفلسطينية، وبتشويه متعمد لصورة العربي.

ويستخلص كوهين النتيجة الأخيرة، وهي أن في "قلب الصورة الجماعية للعرب التي يصورها أدب الاطفال العبري أمامنا، تنمو زهور نضرة ايضا. لكن الاشواك كثيرة، وكثيرة جدا، والزهور مخفية في دغل الاشواك القاتلة التي تحيط بها حتى الاختناق" (٢٣).

لا شك ان الآمال والطموحات للوصول والتحقيق كبيرة، تكاد تصل الى آفاق غير متناهية، ولكنها حتما ليست بحجم "الاشواك" أو المعوقات الكامنة في أكثر من عامل: سواء أكان سياسي، تربوي، اجتماعي قهري أو غيره.

Digitized by Birzeit University Library

ان استمرار السلطات في سياستها تجاه فلسطين والفلسطينيين واستراتيجيتها لتدمير البنية التحتية للفلسطينيين والمتمثلة مثلا بالهجوم والتدمير الذي الحقته بمركز الابحاث الفلسطيني في بيروت (٢٤)، واستخدامها للتعليم كمحور اساسي لوقف المقاومة الفلسطينية في الضفة الغربية، فربما من خلالها نجحوا على المستوى المادي، لكنهم فشلوا وسيبقى الفشل من نصيبهم في محاولتهم لاسكات الصوت الفلسطيني الذي يطالب بحقوقه الشرعية والرافض لكل اشكال السياسة التي تريد قمعه. وقد آن الاوان لاسرائيل ان تدرك انها كلما استمرت في سياستها هذه تجاه الفلسطينيين، فأن دفاعهم عن حقوقهم سيزداد حدة وقوة، مما سيعمل حتما على تعميق الفجوة القائمة بين الطرفين.

ويبرز تساؤل هنا، ماذا يحمل المستقبل للعملية التربوية وأهلها في الضفة الغربية؟ بكل بساطة، يمكن ان نفترض ان هناك ثلاث بدائل: الهروب من المواجهة وانتظار ساعة الفرج في عودة الوضع الى سابق عهده، اللجوء الى المعارضة الصامتة أو الاستمرار بتصعيد المقاومة.

ان الهروب من المواجهة يمكن أن يمنح نوعا من الطمأنينة على المستوى الأمني، لكنه كفيره من اشكال الهروب، يترك شعور الانسان ناقصا وغير محرر من الاوهام. أما المعارضة الصامتة فلها حدود فهي تمنح فترة تنفس مفيدة، لكنها تصبح بعد ذلك شكلا من اشكال الانتحار. أما الاستمرار بتصعيد المقاومة، فانها تظل التعبير اليومي الوحيد والمتطور في وجه الاحتلال، والرافض للسياسة التجهيلية القسرية التي تمارس على الشعب الفسلطيني.

فهل نستكين أمام هذه السياسة؟ أم نحاول ابتداع الاساليب الجديدة للرد عليها؟ وهنا يأتي الدور المهم الذي يقع على عاتق مؤسساتنا التعليمية في الدرجة الأولى. فلا يكفي تلقين مفاهيم تقريرية. بل العمل على استحداث مناهج جديدة هدفها تعميق معرفة الطالب بوطنه، التزاماته وحقوقه ومن كافة الجوانب.

لكن ما هو أهم ان تتميز هذه الدراسة بتمكين الطلبة من امتلاك المقدرة والاستعداد لكي يعيشوا حياة التعليم المستمر وليس متعلمين فقط. وبهذا البديل نكون قد قطعنا الطريق على الطرف الآخر لنجاح سياسته، خاصة اذا واصلنا الى مرحلة من الادراك بأنه يمكن للتجهيل ان يكون سيفا ذو حدين.

الهوامش

٠١ لم يكن أمر الاغلاق هذا الاول خلال فترة الانتفاضة، بل سبقه اوامر باغلاق المدارس في الضفة (ما عدا القدس الشرقية). الاغلاق الاول استمر من ٣ شباط الى ٣ أيار ١٩٨٨، الاغلاق الثاني: من ١٢ حزيران ولغاية اليوم. تخللت هذه الاغلاقات ايام معدودة فتحت بها المدارس، بحيث اقتصر الدوام على طلبة الروضة والمرحلة الابتدائية. كما تم اغلاق كافة مؤسسات التعليم العالي منذ بدء الانتفاضة ولليوم.

2- Moleah, Alhred.; " Violation of Palestinian Rights: South African Parallels" Journal of palestine Studies, 10 (Winter 1981), p.16

3- Ben-Gurion, David. Memoirs/ Vol. IV. p.299

٤. هآرتس، ١٩ /٨/ ١٩٨٨.

٥. ورد في مجلة الجديد، عدد ٨ (آب ١٩٨٣)، ص ١٠٠.

6- Sacher, Howard Marly. The Course of Modern Jewish History. New York: Dell Publishing, 1958, pp. 394-448

Digitized by Birzeit University Library

٧. علي عثمان وأسعد الأسعد. المناهج التعليمية في ظل الاحتلال، دراسة وثائقية. القدس: دار الكتاب، د.ت. ص ٦.
" ربما لا نستطيع ان نوفي مثل ذلك التناول حقه، وذلك لكثرة الشواهد التي صاحبت مسيرة التعليم الفلسطيني منذ بدء الاحتلال الى يومنا هذا، حيث وصلت قمتها في ظل الانتفاضة؛ وربما سبقتها سياسة الانتداب البريطاني حياله، التي عمدت الى توظيف التعليم لخدمة اهدافها الاستعمارية وتخريج الكوادر التعليمية التي تساعد الانتداب في ادارة شؤون البلاد وتسهيل استغلالها."

٨. الفارديان (لندن)، ١٥ أيار ١٩٧٦.

٩. راجع "تقرير لجنة التحقيق في اضطرابات فلسطين في آب ١٩٢٩" (الأمر رقم ٣٥٣٠ لعام ١٩٣٠) المعروف بتقرير شو.

١٠. القدس، ١٩ و ٢٠ شباط ١٩٨٩؛ الطليعة، ٢٣ شباط ١٩٨٩.

١١. نجلاء بشور. "تغيير المناهج المدرسية في الضفة الغربية للاردن بعد ١٩٦٧"، شؤون فلسطينية، العدد ٣ (تموز ١٩٧١)، ص ٢٣٣-٢٣٤.

١٢. المصدر نفسه، ص ٢٣٤.

13- Buergenthal, Thomas & J. Torney. International Human Rights & International Education. Washington, D.C. : U.S. National Commission for UNESCO, 1976, p.48

١) لكل شخص الحق في التعليم ويجب أن يكون التعليم في مراحله الاولى والاساسية على الأقل بالمجان. وان يكون التعليم الأول الزاميا وينبغي ان يعمم التعليم الفني والمهني وان ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة.
٣) يجب ان تهدف التربية الى انماء شخصية الانسان انماء كاملا والى تعزيز احترام الانسان والحريات الاساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية والى زيادة مجهود الامم المتحدة لحفظ السلام.

14- UNESCO Report, Executive Board, 104th. Session. Concerning Educational and Cultural Institutions in the Occupied Arab Territories (104 Ex/52 and Add.), 31 May 1978, pp. 3-35

15- Elon, Amos. "The Literary Border Guard", Ha'aretz, May 7, 1982; Translated in Al-Fajr English, May 21-27, 1982, p.8

١٦. "تقرير عن أوضاع الجامعات في الأرض المحتلة"، القدس: الجامعة العبرية، ١٩٨٠. تم ترجمته الى العربية، ونشره في مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٢٧ (حزيران ١٩٨٢)، ص ١٤٣.

17- Lewis, Anthony. "looking the other Way", New York Times, March 15, 1982. p.17

18 "IDF Source Tells How and Why- Books are Banned", The Jerusalem Post, April 11, 1982, p.8

19- letter sent to Mr. Hooley from the head of the Department of the Near & Middle East at SOAS (London), 3 March, 1981

٢٠. مجلة مجموت، اكتوبر ١٩٦٨.

21- "Another Generation". From the Hebrew Press, Journal of palestine Studies (Winter 1975) p.138

٢٢. رياض بيدس. "العربي في أدب الاطفال العبري"، شؤون فلسطينية العدد ١٨١ (نيسان ١٩٨٨)، ص ١٠٢-١٠٣.

٢٣. المصدر نفسه، ص ١٠٣.

٢٤. لقد جرت عدة محاولات لتدمير مركز الابحاث الفلسطيني من قبل الاسرائيليين خلال السبعينات. الأولى في عام ١٩٧٠، بواسطة الديناميت: الثانية في عام ١٩٧٢، حيث تم قذفه بالقنابل: الثالثة في ١٩٧٤، حين هوجم بالصواريخ

Digitized by Birzeit University Library

.من أجل مزيد من التفاصيل، أنظر: أنيس صايغ، "مركز الابحاث: عشر سنوات من التجربة"، شؤون فلسطينية، العدد ٤٢/٤١ (كانون ثاني/ شباط ١٩٧٥)، ص ١٨٧. أما التدمير الكلي لمركز الابحاث فقد قامت به القوات العسكرية الاسرائيلية اثناء حرب لبنان في ايلول ١٩٨٢. أنظر التقرير عن الهجوم في مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٢٩-١٣٠-١٣١ (آب، أيلول، تشرين أول ١٩٨٢)، ص ٣٨-٤٩.

تنويه وتوضيح

بعثت الينا الأخت اعتلاء المشني بتوضيح لما ورد في تنويهنا بدور المدارس الخاصة، في الحياة التعليمية، وما قدمته عبر سنوات طويلة من العمل في هذا الحقل، وقد أرفقت الأخت اعتلاء، صورة لخبر منشور في جريدة القدس بتاريخ ١٩٨٧/٦/٤، تضمن صورة لحفل تخريج الفوج العاشر من طالبات الصف التوجيهي في كلية سيدة البيلار بالقدس، وتفاصيل عن الحفل، مدللة على أن بعض هذه المدارس لا يزال يعزف النشيد الوطني للبلاد التي تنتمي اليها، كما ورد في نص الخبر المنشور.

ونحن نود أن نؤكد، أن بعض هذه المدارس، أقلع عن ذلك منذ سنوات طويلة، وبعضها لا يزال، وقد دفعنا الى التنويه، التعميم، الذي ورد في البحث ليس غير.

الكاتب

Digitized by Birzeit University Library

اثر الانتفاضة على الاطفال ومسؤوليات المستقبل !!

اعتلاء المشني

مقدمة :

ان سنوات الطفولة، ذلك العمر الذي نعتبره سن السعادة الخالية من الهموم وسن اللعب والحكايات تعد معين المثل الحياتية. ففي هذا الوقت بالذات يجري غرس جذور حبه للوطن. فاستنادا الى ما رآه الطفل اثناء طفولته في العالم المحيط، وما أدهشه وأعجبه، وما اثار سخطه وحمله على البكاء - وليس بسبب الزعل الشخصي بل بسبب احساسه وتألمه لمصائر الآخرين - تتوقف ماهية أي مواطن سيصبح تلميذنا. ان الطفل يشهد ذلك العالم متعدد الجوانب بتناقضاته وتعقيداته، يرى فيه الجمال والقبح يرى فيه السعادة والاحزان، ويقسم الطفل الى خير وشر كل ما يحدث في العالم المحيط، وكل ما عاشه الناس في الماضي ويعيشونه في الحاضر . ينبغي أن نعرض على الطفل رؤية صحيحة للخير والشر حتى نضع ابان سنوات طفولته اساس انسانيته ومواطنته" (١)

- سوفوملينسكي -

في الثالث من شباط ١٩٨٩ التقى المعلمون الفلسطينيون بنظرائهم الاسرائيليين بمدينة رام الله لدراسة الوضع الاكاديمي والتربوي القائم واثره على حياة المتعلمين وذلك بدعوة من

Digitized by Birzeit University Library

اتحاد العاملين لمختلف قطاعات التعليم في فلسطين المحتلة. وقد لفت انتباهي عرض أحد المعلمات في رياض الاطفال للتغير الطارىء على سلوك الاطفال في روضتها فحكاياتهم القديمة عن الفراشات والطيور لم تعد قائمة واستبدلوها بحكاياتهم عن الجنود واطلاق الرصاص وقنابل الغاز والقتلى والجرحى والمعتقلين واستباحة البيوت . واحاديثهم عن الشوارع تبدلت من الحديث عن السيارة والحديقة والالعاب باتوا يتحدثون عن الجنود فوق اسطح العمارات والاعلام والكتابات، ومطاردة الجنود للاطفال ورشق السيارات بالحجارة .

ان هذا الانطباع ولد لدى الاطفال شعورا خاصا تجاه الجنود فزاد من كرههم لهم وحقدهم عليهم واضافت المدرسة تقول كيف يكون شعور أحدكم عندما يأتي الطفل يبكي الى الروضة لأن الجنود اقتحموا منزلهم ليلا وركلوهم باقدامهم واقتادوا اباهم الى السجن، ثم ينهال الاطفال بعشرات الأسئلة لماذا يطلقون الرصاص والغاز الخانق و المبكي، ويذهبون بابائنا الى السجون والمعتقلات، وهل يمكن أحدكم أن يجيب الاطفال بأن ما يفعله الجنود شيء جميل وحلو وجيد!!؟ بل لا نظن أن أحدا يملك انسانيته على وجه هذا الكوكب يمكنه قول ذلك .

ثم من الذي سيدفع ثمن هذا الكره والحقد الذي بات يعتمر في صدور الاطفال، لا نظن أننا وحدنا الذين سندفع الثمن.

ويأتي هذا البحث الى جانب غيره من الدراسات ليفحص الآثار المترتبة على سلوك الاطفال ما بين ٨ الى ١٢ سنة وفي موقع معين وقد وقع اختيارنا على أطفال مخيم شعفاط على بعد خمسة كيلو مترات شمال شرق العاصمة الفلسطينية القدس. ويبلغ تعداد سكانه زهاء ١٣ الف نسمة كما يأتي فحص العينات مرور أربعة عشر شهرا من مسيرة انتفاضة شعبنا المظفرة . وبالطبع كان يمكن أن تختلف النتائج كثيرا لو أنا أجرينا هذه الدراسة في الأشهر الأولى للانتفاضة. وقد تمت الدراسة ميدانيا وبواسطة الاستمارات وعن طريق المقابلة، ومن خلال الأمهات وقد جرى الحديث مع خمسين أم وقد شمل البحث مناطق عديدة في المخيم شمل تقريبا كل المخيم ولم يكن دخول البيوت سهلا وذلك نظرا لليقظة الثورية والحذر والحيطة التي بات الأهل يتسلحون بها ويتراوح عدد أطفال كل اسرة ما بين ٧ الى ١٧ طفلا وفي المتوسط ١٢ طفلا والاطفال الذين في عمر الدراسة موزعون على مدرستين اعداديتين واحدة للذكور والاخرى للاناث وفيما يلي أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة التي أجريت على نحو ٥٠٠ طفل فلسطيني في مخيم شعفاط .

الاثر السلوكي :

قبل الانتفاضة ظهر لدى الاطفال امكانية للتحدث مع الجنود بحذر وتحفظ أو حتى قبول بعض الخدمات منهم كسلطة تمارس سيطرتها وتفرض قوانينها بحكم احتلالهم العسكري للموقع شأنهم في ذلك شأن بقية المناطق المحتلة . أما هذه الأيام فهم يعيشون نمط حياة جديد، فهم يستيقظون على أصوات الرصاص ودوي الانفجارات وصافرات الاقتحام وسيارات الاسعاف وعربدة الجنود ويستنشقون الهواء السام والغاز الخانق، والاشتباكات اليومية بين الفتيان وجنود الاحتلال لقد بات يفصل بينهم خط فاصل طويل يزداد عرضه بازدياد المعاناة ومرور الأيام، انه جو عدائي وتناحري فاما أن تقتل أو تقتل، فلاأحاديث مع الجنود ولا محادثة، انه سلوك الاصرار

Digitized by Birzeit University Library

على التحرر والاستقلال هكذا كانت الاجابات، وانعكس التغير السلوكي على العاب الاطفال كما سيأتي وفي تقليد الكبار والميل الى الشقاوة والخشونة والضرب والدفع على طريقة الجنود اثناء اللعب، ورفع شارة النصر وترتيب المجموعات وادارة الاشتباك أثناء اللعب، انه تمرين على اشتباك حقيقي أو واقعي منتظر مع الجنود. وفي الجانب الاقتصادي انعكس سلوك الاطفال على طريقة المصروف حيث كانت نسب التأثير وتخفيض المصروف والامتناع عن طلب المصروف على الشكل التالي ٢٠٪ تخفيف مصروف ٢٥٪ تخفيف متوسط ٥٥٪ تخفيف كبير للمصروف وقد ارتبط هذا السلوك بشعور ادراكي.

ذلك أن الطفل يدرك أن المحلات تفتح من الساعة الثامنة صباحا وتغلق الثانية عشرة ظهرا وأن دخل الاسرة بات محدودا فلا حاجة الى الالحاح لطلب مصاريف اضافية لاغراض شراء الالعاب والحلوى، وقد أصبحت كلمة اضراب، تعني جلوس الأب أو والأم معا في البيت بدون عمل وبدون أجر كذلك وهذا يعني أن الاطفال لن يتمكنوا من الحصول على أموال ليشتروا ما يريدون.

الأثر الشعـوري :

وقد برز ذلك واضحا في الفعل المنعكس (٢). فبات السلوك اللا ارادي ملاحظا على الأطفال كحركة سريعة والتفاته سريعة والاسراع الى النوافذ عند سماع اطلاق النار أو صوت صافرات الاسعاف، والتأهب للاستعداد للانطلاق كعامل دفاعي لخطر منتظر وانعكس ذلك في قياس الخوف عند الأطفال حيث تبينت النسبة كما يلي ٤٨٪ نسبة الخوف فيها قليلة جدا ٣٢٪ نسبة الخوف متوسطة ١٠٪ نسبة الخوف كبيرة و ١٠٪ لا يخافون مطلقا من جنود الاحتلال عند الهجوم او المداهمة وأن عشرة في المائة فقط ممن يخافون من جنود الاحتلال يتبولون بشكل لا ارادي ويحلمون أحلاما مزعجة مع قلق دائم وحالات نفسية وعصبية، وباتوا يخشون من الذهاب وحدهم الى السوق أو عند الجيران دون مرافق، وباتت مظاهر الانفعال واضحة عليهم كابداء الكره للجنود ونحو ذلك.

الأثر التربوي :

أخذ الاطفال يميلون الى الجد بدل اللعب فاحدث بذلك انقلابا في النهج التربوي لدى الأطفال وقد روت احدى الأمهات كيف كان موقف الاطفال عندما اقتحم الجيش المخيم اثر اغلاق مداخله بالمتاريس الحجرية وكيف نظم الاطفال في الليلة التالية حملة حراسة واستخدموا الصافرات لانذار الشبان من اقتحام قوات الجيش الى المخيم في حملة اعتقالات مستخدمين المصابيح الكهربائية اليدوية، وقد أخذ شكل المتراس وحمل الحجارة استعدادا للمواجهة مظهرا عاديا ومألوفا.

كذلك خلقت الاوضاع القائمة حالة من الجدل والنقاش عند هؤلاء الفتية، واسئلة كثيرة تدور على السنتهم نحو :الملك حسين مع مين ؟ شامير = هتلر، نحن مش ارهابيين، الارهابي هو رابين ، انها شعارات حفظها الاطفال عن ظهر قلب من جدران المخيم، اسئلة اخرى، مم يصنعون قنابل الغاز، لماذا يقتلنا اليهودي؟ لماذا نقتلهم نحن؟ ماذا يعني السلام، ماذا يعملون في السجن،

Digitized by Birzeit University Library

الوان العلم على ماذا تدل؟ الانصراف عن أفلام الكرتون لمتابعة الأخبار. والاهتمام بالاغاني والأشعار الوطنية.

الايجابي والسلبي: ومسؤوليات المستقبل

عند تقييمنا لأمر ما على أنه ايجابي قد يكون النظر اليه، من زاوية الموقع الأن على أنه سلبي والعكس كذلك، لذلك نعود في تقييمنا للمسألة من زاوية انطلاقنا، من المقدمة حيث يترتب علينا طرح رؤية صحيحة للخير والشر حتى نتمكن من معرفة ما هو سلبي وما هو ايجابي في سياق تشكيل شخصية الطفل انسانيته ووطنيته.

ومن الضروري هنا تحديد المسؤولية المباشرة، وقبل أن نقع في الخطأ ونتوهم أو نوهم أن الانتفاضة هي المسؤولة عن ذلك علينا أن ندرك أن الانتفاضة كانت نتيجة عن ممارسات الاحتلال والاحتلال أولا وأخيرا. لذا يمكن التقرير بما يلي:

- ان ممارسات جيش الاحتلال هي السبب المباشر في جميع التغيرات السابقة بكل ما فيها من سلبيات وانعكاسات على الأطفال أو من جانبهم ضد الاخرين وبشكل أوضح، الممارسات الفظة التي يمارسها الجنود والاحتلال بشكل عام هو المسؤول كامل المسؤولية عن تنمية روح العداء والكراهية والحقد والسخط التي يحملها الأطفال ضد الاحتلال وجنوده.
- كذلك يتحمل المسؤولية الكاملة عن روح التعصب القومي الصارخ الذي بدأ يظهر في العاب الاطفال "عرب ويهود" فتنمية روح العداء للسامية هي نتيجة لممارسة هذا الاحتلال التي تجرد من كل انسانية ليس في أعين اطفال المخيمات فقط بل وفي نظر العالم أجمع.
- ان الاحتلال هو الذي سيتحمل المسؤولية الكاملة لما يخلقه من تربية للأطفال بروح الانتقام والثأر والذي يزداد كل يوم بزيادة عدد القتلى الشهداء والجرحى والمعتقلين واستبعاد خيارات السلام التي يمكن أن توقف روح العداء والانتقام التي تزيدها ممارسات جيش الاحتلال اشتعالا.
- ان الاحتلال هو المسؤول عن مستقبل هؤلاء الاطفال الذين يصر الاحتلال على معاقبتهم ومعاقبة مستقبلهم بحرمانهم من التعليم والحياة المستقرة بكل ما تحمل من انعكاسات سلبية على الاطفال كنسيانهم لما تعلموه، وتبدل العادات من المذاكرة الى مجالسة التلفزيون، والاثار النفسية المترتبة على فقدان الاطفال لابائهم نتيجة القتل والابعاد والسجن التي تمارسه هذه السلطات.
- ان المحتلين لم يدركوا بعد أن العقاب الذي يمارسونه ضد الاطفال وما يخلف هذا العقاب من سلبيات سينعكس على مستقبل الحياة القادمة وقد يطولهم منه قسط وافر يضطرون في نتيجته الى دفع الثمن غاليا. اذ من الصعب التنبؤ بما سيأتي وبما سيكون على أيدي هذا الجيل المشحون بالحقد والغضب والانتقام. وحتى ذلك الحين، حتى يدركوا مخاطر ممارستهم فان الوقت سيكون متأخرا.

ملاحظة

نعتذر للكاتبة اعتلاء المشتى على عدم تمكننا من نشر موضوعها كاملا لأسباب خارجة عن ارادتنا.

Digitized by Birzeit University Library

بريطانيا والحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨ *

أفي شلايم **
تعريب : د. محمد أبو زيد

قدمت هذه الورقة الى المؤتمر الذي عقد في جامعة كنجس كولج - لندن، في الفترة الواقعية بين ٢٥ - ٢٦ آذار ١٩٨٧ تحت عنوان "سياسة الامن البريطانية ١٩٤٥-١٩٥٦".

مع انتصاف الليل في الرابع عشر من أيار ١٩٤٨، غادر المندوب السامي البريطاني فلسطين مصحوبا بكافة مساعديه. وبمغادرته انتهت مسؤولية بريطانيا تجاه فلسطين وانتهى بذلك الانتداب الذي استمر ٢٨ عاما. قصة الانتداب هذه بدأت مع اعلان بلفور في كانون أول ١٩١٧، وما تلاه من انعقاد مؤتمر سان ريمو في نيسان ١٩٢٠ الذي قرر وضع فلسطين تحت الوصاية البريطانية بحيث يدار هذا البلد طبقا لمقررات وعد بلفور على طريق تحضيره للحكم الذاتي. الا ان الطريقة التي دخلت بها بريطانية هذا البلد لطخت كليا سجل هذه الدولة العظمى. كما أن الطريقة التي انهت بها بريطانية وصايتها كانت على الأقل غير طبيعية وغير مألوفة. ريس ويمز مساعد وزير الدولة لشؤون المستوطنات لم يخف دهشته ولا امتعاضه عندما خاطب مجلس العموم قائلا: "في ايار ١٩٤٨ انسحبت الادارة البريطانية من فلسطين دون تسليم اي من مسؤوليات الانتداب أو ممتلكاته الى قوة مسؤولة. اما الطريقة التي حصل بها هذا الانسحاب فليس لها سابقة في تاريخ امبراطوريتنا."

لكن ما هي الاسباب التي تقف خلف هذه الطريقة الطائشة التي تفتقر الى التبرير والتي اختارتها الحكومة البريطانية لتخلص نفسها من الوصاية على فلسطين؟ الاجوبة التي يقدمها طرفا الصراع على هذا التساؤل تقع على طرفي نقيض.

---

* المصدر : مجلة دراسات فلسطينية التي تصدر بالانجليزية في واشنطن، صيف ١٩٨٧، عدد ٦٤ .

** معيد في قسم العلوم السياسية في جامعة ريدنج - انجلترا .

Digitized by Birzeit University Library

فعلى الجانب اليهودي ساد الاعتقاد ان بريطانيا غادرت فلسطين وهي على يقين من ان الدول العربية المجاورة ستهاجم على الفور وعلى أمل ان يذبح الشعب اليهودي في فلسطين أو يقذف به الى البحر. فالمؤرخون الصهاينة نظروا بحذر وريبة تجاه ما يسمونه "بالمؤامرات السوداء" التي حاكتها بريطانيا خلال الحكم البريطاني لفلسطين. جون كيمحي احد هؤلاء المؤرخين كان يميل الى الاعتقاد بأن الرجال الذين وقفوا على رأس وزارة الخارجية وقيادة الأركان والادارة البريطانية في فلسطين كانوا يريدون رؤية فكرة الوطن القومي اليهودي وقد تبخرت: "هؤلاء الرجال مصممون في حالة انسحاب بريطانيا من فلسطين على عدم وضع العراقيل في وجه العرب. اذا ما حاولوا القذف باليهود في البحر".

ريتشارد كروسمان يؤيد هذا الادعاء الصهيوني مشيرا الى ان سياسة حزب العمال الحاكم تجاه فلسطين تميزت بالعداء لليهودية وذلك من خلال الأفكار التي كان يبثها وزير الخارجية، بيفن:

عندما حصل القرار... بانهاء الانتداب، كان هدف بيفن على ما يبدو، هو ضمان قدرة فيلق الملك عبدالله العربي على اجتياح معظم فلسطين تاركا مكانا لدولة يهودية هزيلة لا تلبث ان ترمي بنفسها في احضان الحكومة البريطانية.

على صعيد آخر ساد بين الفلسطينيين العرب اعتقاد مفاده ان عواطف بريطانيا كانت الى جانب الصهاينة، فقد رأوا في اقامة دولة اسرائيل تتويجا للعملية التي بدأت بوعد بلفور، خاصة وأن الانسحاب البريطاني من فلسطين حدث بعد ٦ أشهر فقط من صدور قرار التقسيم بتاريخ ٢٩ تشرين ثاني ١٩٤٧، كما يبين ذلك وليد الخالدي:

حيث كانت الأمم المتحدة غير قادرة على تقديم قوة دولية تقوم بالاشراف على تطبيق قرار التقسيم، فان قرار بريطانيا بالانسحاب كان دعوة صريحة الى الجانبين لحسم الأمر بالقتال، ولما كان ميزان القوة العسكرية داخل فلسطين يميل بشكل ساحق لصالح الصهاينة -وهي حقيقة كانت معروفة جيدا للفرقاء جميعهم- فان الانسحاب البريطاني كان دعوة مفتوحة للقوة العسكرية الصهيونية للسيطرة على البلاد.

بالاضافة الى ذلك، فان الوجود البريطاني في فلسطين وخاصة في الستة أشهر الأخيرة من عمر الانتداب "استخدم كدرع ضد أية مساعدة عربية تأتي من الخارج، في حين استطاعت القوات العسكرية الصهيونية المتمترسة خلف هذا الدرع تنفيذ مخططاتها". فشكل الانسحاب البريطاني، كما يقول وليد الخالدي "وحتى لو حدث بطريقة ودية في المناطق التي يوجد فيها تجمعات سكانية عربية، فانه وببساطة ساهم في زيادة تمزق الصورة العربية، في حين مكن هذا الانسحاب القوة اليهودية من تثبيت نفسها وتوسيع رقعة عملها"

قبل الموعد المحدد لنهاية الانتداب بيوم واحد، أي بتاريخ ١٤ ايار ١٩٤٨، دعا السير هنري جورني، رئيس الادارة البريطانية في فلسطين، الى مؤتمر صحفي في مكتبه في القدس، وبعد ان عدد السير هنري انجازات ومناقب الوصاية، سأله أحد الصحفيين بقوله: "لمن ستترك مفاتيح مكتبك عند مغادرتك البلاد يا سيدي؟" فأجاب السير: "تحت الحصير". وليد الخالدي يعلق على ذلك بقوله: "هذه العبارة تشابه تلك التي نقشها على الأضرحة"

كما اسلفنا، فان التفسيرات الصهيونية والفلسطينية للسياسة البريطانية في المنطقة، خاصة في الفترة الأخيرة من عهد الانتداب، كانت متباينة بشكل واضح. الا أن هذا لا يعني أنه لم

Digitized by Birzeit University Library

يكن هناك قاسم مشترك بينها. فالطريقة التي اختارتها بريطانيا لانهاء انتدابها على فلسطين كانت تعني بالنسبة للطرفين، على حد سواء أن الحرب قادمة لا محالة. في حين اعتقد الصهاينة ان الانجليز عقدوا العزم على تحطيمهم، كان الفلسطينيون مقتنعين ان الانجليز يقفون خلف الاندفاع الصهيوني الذي يرمي الى السيطرة على معظم فلسطين تمهيدا لتحويلها الى دولة يهودية. الا ان الوثائق الرسمية البريطانية في هذا الصدد والتي لا يكشف النقاب عنها عادة الا بعد مرور ثلاثين سنة عليها، لم تبرهن على صحة اي من هذين الرايين المتعارضين. لكن هذا لا يعني ان الحقيقة تكمن في مكان ما بين هذين الرايين المتطرفين. ولا انها ضاعت نتيجة لسياسة التردد والتأرجح التي اتبعتها بريطانيا، كما يميل كثير من المسؤولين البريطانيين الى الاعتقاد، فدوافع واهداف صانعي السياسة البريطانية في العام ١٩٤٨ كانت تختلف اختلافا كليا عن تلك الصهيونية أو الفلسطينية، فهي لم تصمم بحيث تكون معادية لأي من الطرفين، وانما حتى تخدم المصالح البريطانية في الدرجة الأولى. فشغل بريطانيا الشاغل في ذلك الوقت كان الى أي حد ستتضرر المصالح البريطانيا خلال الحرب العربية الاسرائيلية عبارة عن حقل اختبار لقدرات بريطانية الذاتية في تقليص خسائرها، خاصة و أن كثيرا من مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية ستصبح أكثر عرضة للخطر. فالشرق الأوسط بالنسبة لأرنست بيفن "على درجة كبيرة من الأهمية، سواء في أوقات السلم أو في أوقات الحرب، اذ يأتي من حيث الأهمية في المرتبة الثانية بعد المملكة المتحدة نفسها. فهو يشكل من ناحية استراتيجية بؤرة للاتصالات الدولية ومصدرا للنفط، درعا يحمي افريقيا والمحيط الهندي وقاعدة هجومية لا تعوض "أما بالنسبة لقادة الأركان، فان الاحتفاظ بمناطق نفوذ بريطانية في منطقة الشرق الوسط كان يعتبر في كانون الثاني ١٩٤٧ أحد ثلاث دعائم حيوية كان يقوم عليها نظام الدفاع البريطاني جنبا الى جنب مع حماية المملكة المتحدة نفسها وخطوط الملاحة البحرية. في ظل هذا النظام الدفاعي اكتشف الموقع الحيوي لفلسطين كموقع متقدم للدفاع عن مصر، فان البقاء في فلسطين اصبح ضرورة ملحة لاستخدامها كقاعدة لقوات التدخل السريع وذلك لمواجهة الحالات الطارئة في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام.

الا أن القادة العسكريين لم يتناولوا ايا من المشاريع السياسية المطروحة بالتفضيل او بالرفض. فجل اهتمامهم انصب انذاك على المسائل العسكرية مكتفين بالاشارة الى أنه يجب عدم معاداة العرب اذا اضطرتهم الظروف الى الوقوف ضد احد الطرفين، لأن العداء للعرب لن يبقى في هذه الحالة مقتصرا على فلسطين فحسب بل سيتعداه ليعم الشرق الأوسط بأكمله ومن ثم العالم الاسلامي.

لكن في الوقت الذي ساد فيه الاجماع حول حاجة بريطانيا للاحتفاظ بموقع قوي في الشرق الأوسط كان النقاش يحتدم وراء الكواليس حول مستقبل الوجود البريطاني في فلسطين، رئيس الوزراء البريطاني، في ذلك الوقت كليمنت اتلي، اعتبر ان النهج العقلاني يحتم الغاء الانتداب والخروج من فلسطين، مثله في ذلك مثل ونستون تشرشل عند نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث لم يدع مجالا للشك في أن مهمة الحفاظ على القانون والنظام في فلسطين اصبحت تشكل عبئا على كاهل الحكومة البريطانية يجب التخلص منه. كذلك اعتبر اتلي عملية تصوير فلسطين كنقطة اتصال مهمة بين دفاعات البحر المتوسط وقناة السويس كما تراها قيادة الأركان،

Digitized by Birzeit University Library

بالاضافة الى أهميتها في حماية انابيب النفط، بأنها عملية مبالغ فيها. لهذا عارض اتلي بشدة وجهة نظر الفيلدمارشال مونتغمري القائلة بأن السيطرة على فلسطين يمكن ضمان استمرارها بقوة السلاح فقط. لقد كانت رؤية اتلي للأمور واضحة، فاضمحلال قوة بريطانيا كدولة عظمى بعد الحرب العالمية الثانية كان يعني التخلص من وقت أبكر عندما قررت انهاء استعمارها لشبه الجزيرة الهندية، الهند والباكستان.

أما البديل عن هذا النهج فقد كان يتمثل في القبول بمبدأ تقسيم فلسطين الى دولتين مستقلتين، احداهما يهودية والاخرى عربية. هذا البديل كان يتمتع بتأييد كبير من داخل مجلس الوزراء ومن حزب العمل نفسه، كما لقي قبولا واستحسانا من طرف وزارة المستعمرات والسير الن كونينجهام، المندوب السامي الأخير في فلسطين. وليس غريبا ان تتبنى الامم المتحدة هذا البديل في تشرين ثاني ١٩٤٧ ليصبح لاحقا قرار التقسيم المعروف.

بيفن، وزير الخارجية العمالي، اشتهر منذ البداية بمعارضته لمبدأ التقسيم، طالما ان الصراع المحلي بين اليهود والعرب لم يحل بعد، لان ذلك سيقف حجر عثرة امام تحقيق هدف بريطانيا الكبير والذي يتمثل في احتواء التوسع السوفييتي في جميع انحاء العالم فهو يرى وتشاركه في هذه الرؤية قيادة الأركان، ان المحافظة على علاقة طيبة مع العرب شيء لا يمكن تعويضه اذا ارادت بريطانيا حماية البوابة الشرقية للبحر المتوسط ضد اي تهديد سوفييتي. كذلك كان يميل الى الافتراض، ويؤيده في ذلك اغلب مساعديه، ان دولة يهودية في هذه المنطقة من العالم ستكون ضارة بمصالح بريطانيا لأن الأمر سينتهي بها في ان تتحول الى دولة ذات أرضية خصبة لانتشار الشيوعية في المنطقة، واداة في تنفيذ مخططات التخريب. هذه المخاوف الشخصية كشف عنها بيفن في رسالة بعث بها الى وزير الدولة هيكتور ماكنيل، قبل ان تقر الأمم المتحدة مبدأ التقسيم بوقت قصير، ويقول فيها:

ذلك ان الروس ايدوا قرار التقسيم لم يفاجئني.. فهناك شيئان يدوران في عقولهم.. أولهما فلسطين. أنا متأكد ان الروس مقتنعون انه عن طريق تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين يمكن ارسال عدد كاف من المتشبعين بالافكار الشيوعية وذلك لتحويلها الى دولة شيوعية في وقت قصير، فيهود نيوريوك مهدوا الطريق لهم.

الشيء الثاني.. سوف لا افاجأ اذا عمل الروس على تثبيت اقدامهم في اوروبا الشرقية، لكن ليس عن طريق تحويل الدول التي تدور في فلكهم الى مقاطعات صغيرة تمتد حتى بحر الادرياتيك، لهذا فان التقسيم من حيث المبدأ سيلائمهم.. يجب ان تدرس بعناية افكار ستالين حول القوميات حتى تفهم ما الذي يدور بخلده، عندما ستعرف ان ستالين لن يعيقه شيء مطلقا عن استغلال هذه القوميات للوصول الى هدفه بوسائل مختلفة تستطيع روسيا التحكم بها.

قرار التقسيم هذا قبله بيفن على مضض وكأحد أمرين احلاهما مر، خاصة بعد فشل "مشروع بيفن" في اقامة مؤسسات للحكم الذاتي في فلسطين. فرفض العرب لمشروعه في شباط ١٩٤٧ كان بالنسبة لبيفن، كما صاغها أحد مستشاريه الرئيسيين "نقطة التحول الحاسمة" في موقفه وخاصة بعد قبوله بقرار التقسيم، فانه لم يقبل ابدا فكرة اقامة دولة فلسطينية منفصلة، بل اقترح ضم المناطق العربية لامارة شرق الأردن.

دعونا ننتقل الى السمات الاساسية التي ميزت السياسة البريطانية في فلسطين في الفترة

Digitized by Birzeit University Library

الواقعة ما بين ١٩٤٧-١٩٤٩. من أهم الأشياء التي تميزت بها السياسة البريطانية في تلك الفترة العداء الشديد للمفتي الحاج أمين الحسيني، ومعارضة فكرة قيام دولة فلسطينية مستقلة تحت قيادته.

أما أسباب هذا العداء الشديد فقد فصلها ب.أ.ب. بوروز، رئيس قسم الشرق في وزارة الخارجية البريطانية في الفترة الأخيرة من عمر الانتداب. حسب اقواله، فان دولة عربية مستقلة تحت قيادة المفتي "ستكون مرتعا لتطرف عربي عقيم لا يلبث ان يلحق أكبر الضرر بعلاقاتنا مع العرب. ومثل هذه الدولة غير مكتوب لها الحياة، اذ انها وعلى الأغلب، ستقع تحت السيطرة اليهودية مما يعني في النهاية ابتلاعها من قبل الدولة اليهودية. والنتيجة الحتمية لذلك ستكون زيادة حجم التأثير الروسي في المنطقة وحرماننا من الحصول على حاجاتنا الاستراتيجية في فلسطين".

اذا لقد عارضت بريطانيا بشدة محاولات الأمم المتحدة الهادفة الى تقسيم فلسطين الى دولتين مستقلتين. فسياستها في المنطقة خلال الأشهر الأخيرة من الانتداب والحرب التي تلت يمكن تلخيصها بكلمتين اثنتين: شرق اردن كبيرة، وهذا يعني ان بريطانيا كانت تفضل دمج المناطق التي سوف لن تخصص للدولة اليهودية الى شرق الأردن. في الوقت نفسه كان بعض المستعمرين في وزارة الخارجية يحسون ان مصر يجب ان تبقى الدعامة الأساسية لبريطانيا في الشرق الأوسط، محذرين ان الانحياز المفضوح الى جانب الملك عبدالله، والذي كان مكروها وتحوم حوله الشبهات في الدوائر العربية. سوف يؤدي في النهاية الى استفحال الكراهية العربية ضد كل من عبدالله وبريطانيا. الا أنه في غياب بديل افضل، لم يبق امام بيفن سوى تشجيع الملك عبدالله على تنفيذ الخطة الهادفة الى ضم اكبر مساحة ممكنة من تلك المخصصة للدولة العربية الى امارة شرق الأردن.

عبدالله هذا، والذي كان معروفا بين موظفي وزارة الخارجية باسم "ملك بيفن الصغير" لعب على الدوام دورا صغيرا مرسوما له في نطاق الاستراتيجية البريطانية في الشرق الأوسط الى ان كان السابع من شباط، ففي يوم السبت، الموافق السابع من شباط عام ١٩٤٨ قام رئيس وزراء الملك عبدالله، توفيق ابو الهدى، يصحبه السير جون كلوب، قائد الفيلق العربي الذي تدربه وتموله بريطانيا، بزيارة سرية لبيفن في وزارة الخارجية وذلك لبحث موضوع فلسطين. خلال تلك المقابلة قدم ابو الهدى مخططا تمهيديا للخطة التي سيجتاز بموجبها الفيلق العربي نهر الأردن لاحتلال تلك المناطق من فلسطين والتي خصصت حسب قرار التقسيم لتكون عربية. عند انتهاء كلوب من الترجمة علق بيفن قائلا: "الظاهر ان الشيء المطلوب عمله واضح". ثم كرر القول مرة اخرى" الظاهر ان الشيء المطلوب عمله واضح، لكن لا تهاجموا المناطق التي خصصت لليهود "حتى ذلك الحين، اي حتى اجتماع بيفن مع ابوالهدى، كانت بريطانيا تعارض تطبيق قرار التقسيم، دون العثور على بديل استراتيجي آخر. أما الآن فانها تتعاون مع الملك عبدالله لضمان توسيع امارته على حساب ما سيتبقى من فلسطين. وهكذا اصبح الملك عبدالله ركيزة السياسة البريطانية في المنطقة.

اما وجهة النظر القائلة بان بيفن استخدم الفيلق العربي كرأس حربة وذلك من أجل تقليص الجزء اليهودي من فلسطين الى ما يشبه اشلاء دولة لا تلبث ان تستفيث ببريطانيا للعودة ضمن الشروط البريطانية. فلم يجد ما يؤيده في السجلات البريطانية، بل على النقيض من ذلك فقد

Digitized by Birzeit University Library

حذر بيفن ابوالهدى وسيده عبدالله مرارا من اللعب بالنار وبالتالي اختراق حدود الدولة اليهودية التي ستقوم. وحتى لو فرضنا جدلا ان بيفن كان متآمرا في اطلاق العنان للفيلق العربي فانه لم يفعل ذلك من أجل تحجيم الدولة اليهودية الى شريط حدودي على الساحل غير قابل للحياة. وانما لمنع قيام دولة فلسطينية وبالرغم من ذلك فان بيفن حسب رأي مساعديه استطاع انقاذ ما أمكن انقاذه من بقايا فلسطين العربية خاصة وأن الفلسطينيين العرب كانوا قد قدموا القليل من أجل قيام دولة فلسطينية خاصة بهم.

سقوط حيفا بتاريخ ٢٢ نيسان مثل نكسة خطيرة لاستراتيجية بريطانيا الهادفة الى منع الصهاينة من الاستيلاء عسكريا على فلسطين قبل نهاية الانتداب. بالاضافة لذلك فقد ادى سقوط حيفا الى تسريع الهجرة الجماعية لعرب فلسطين والتي قد بدأت في اعقاب مذبحة ديرياسين. فادعاء بيفن بان الجيش قد خذله ادى الى تبادل التهم القاسية بين الفيلد مارشال مونتغمري وبينه. وحسب أقوال وزير المستعمرات ارثر كريش - جونز فان بيفن كان دائما يفترض ان اليهود ربما كسبوا المعارك الاولى، الا أنه اصبح الآن يتخوف من اتساع نطاق القتال وازدياد ضراوته اذ يقول: ان نزف الدماء الحقيقي ربما يتأخر بعض الوقت ولكن شعورا بالثقة يراودني انه آت لا مفر وسيخلق بالتالي وضعا خطيرا. في حين كانت القوات البريطانية تعد العدة لانسحابها النهائي من فلسطين كانت قوة الهجانا تزداد وتتعاظم. شيء واحد كان يقلق بريطانيا في هذه الفترة، الا وهو مصير شرق الأردن والذي تربطه ببريطانيا معاهدة دفاع مشترك، في حال تعرض اليهود له. فهزيمة شرق الأردن على أيدي اليهود تعني تحطيم سمعة بريطانيا في الشرق الأوسط، وما سيترسب على ذلك من نتائج على مستوى الامبراطورية البريطانية. هزيمة هذا الحلف البريطاني ليست مقبولة، ليس فقط من الناحية الاستراتيجية وانما لأسباب سياسية أيضا. فالتعلميات الخاصة التي كانت ترسلها قيادة الأركان البريطانية الى الأعضاء الانجليز في مجلس الدفاع المشترك الانجلو-شرق اردني ركزت على أهمية شرق الأردن الخاصة في نطاق الاستراتيجية البريطانية في الشرق الأوسط والتي تتمثل في النقاط التالية:

ا- موقعه الاستراتيجي على احدى الخطوط الرئيسية الممتدة من القوقاز وقزوين الى قناة السويس والدلتا.

ب- اشرافه على الطريق المباشر الذي ينطلق من خليج العقبة الى قناة السويس والدلتا.

ج- يشكل جناحا لأي موقع دفاعي انجليزي محتمل عبر فلسطين.

د- يشكل منطقة يمكن الاستفادة منها في بناء قواعد جوية.

هـ- الفيلق العربي كأفضل قوة منظمة ومدربة ومسلحة في الشرق الأوسط.

هذه الأفكار حول أهمية شرق الأردن لم تكن فقط محصورة في "الوايت هول" - وزارة الدفاع البريطانية- فكلوب باشا قائد الفيلق العربي كان يعرف ذلك عشية الحرب العربية الاسرائيلية. ففي محاولة منه لتفادي صدام محتمل بين الهجانا وقواته الصغيرة ارسل كلوب باشا أحد الضباط البريطانيين الكبار ويدعى كولونيل ديسموند جولدي في مهمة اتصفت بالسرية والخطورة في آن واحد وذلك للاتصال بالهجانا قبل اسبوعين فقط من انتهاء الانتداب. عند وصوله اجتمع جولدي مع الجنرال شلومو شامير حيث عرض عليه الموقف البريطاني مبينا له ان الانجليز لا ينوون

Digitized by Birzeit University Library

التصادم مع الهجانا، ولكنهم مع ذلك لا يستطيعون الظهور بمظهر الخائن المفرط بالقضية العربية ثم اقترح اقامة قناة اتصال مباشرة ودائمة تعطي الجيشين فرصة تنسيق الخطط العسكرية بينهما. كل هذا يدل على أن شغل كلوب باشا الشاغل كان حماية الفيلق العربي. فهو كما يقول جولدي "لم يكن يريد ان يمرغ انف جيشه الصغير في الأرض" الا انه في تقربه من الهجانا كان يقوم بواجبه كخادم انجليزي. فكلوب كان يتلقى الأوامر مباشرة من السير اليك كيرك برايد، السفير البريطاني في عمان، ذلك الرجل الذي كان يتلقى الاوامر من الحكومة البريطانية.

بالاضافة لذلك فقد اجرت الحكومة البريطانية اتصالات على المستوى السياسي لتوضيح نواياها السلمية نحو اليهود. ففي لقائه مع موشى شاريت، وزير خارجية الدولة اليهودية، في الاول من أيار في ليك سكس تحدث ارثر كريش - جونز المعروف بتعاطفه مع الصهاينة المعتدلين، عن أن اليهود لديهم اعتقاد في ان بريطانيا تعد العدة لشيء ما وأنها تقوم بتحريض العرب للقضاء على اليهود حال انتهاء الانتداب. ثم بين له ان الامور تسير في الاتجاه المعاكس، فهم يمارسون ضغوطات كبيرة فى العواصم العربية وذلك لمنع حدوث اي شيء من هذا القبيل. كذلك اعترف كريش- جونز انه وزملاءه بما فيهم بيفن، كانوا يعملون على تحديد المشاكل ومحاصرتها وذلك لمنع حدوث مواجهات كبيرة ولهذا السبب كانوا يحاولون ابعاد الدول العربية عن هذا الصراع. أما بخصوص عبدالله والفيلق العربي فان وزير المستعمرات كان على ثقة من أنه بالرغم من تصريحات عبدالله ذات الطابع الحربي فانه كان يريد فقط الاستيلاء على القسم العربي من فلسطين ولم تكن خطته لتشمل مهاجمة اليهود ابدا.

كذلك قدم هيكتور ماكنيل تعهدا اكثر وضوحا بخصوص الأهداف المحدودة للفيلق العربي الى د.ناحوم جولدمان بتاريخ ١١ أيار في وزارة الخارجية. فقد أوضح ماكنيل أنه على قناعة تامة من أن عبدالله سوف لن يهاجم اليهود، وفي حال قيامه بذلك فان بريطانيا ستسحب كل ضباطها الذين يخدمون في الفيلق العربي. ومن ناحية اخرى، فهو يعتقد انه سواء بقي عبدالله مرابطا على الحدود أو في حال عاد اليها بعد القيام ببعض العمليات الرمزية فان امكانية عقد هدنة بين اليهود وعبدالله ستبقى قائمة مبينا ان الهدف الأساسي هو خلق أوضاع تسمح لبريطانيا بتطوير علاقات مع الجانبين.

وفعلا وفت بريطانيا بالالتزامات والوعود التي قطعتها على نفسها محولة بذلك الكلمات الى أفعال. وقد تجلى ذلك في محاولتها عقد هدنة محصورة بالقدس، حيث بينت انها توافق على اقامة الدولة اليهودية وأنها تعمل ما في وسعها لضبط القوة العسكرية العربية. فبيفن مثلا لم يذعن لفكرة اقامة الدولة اليهودية فحسب، وانما باشر باتخاذ خطوات تضمن عدم مهاجمة شرق الاردن لها مولياً أهمية كبيرة الى تقرير كيرك برايد حول الاتصالات الأخيرة التي تمت بين الفيلق العربي والهجانا والتي كان هدفها تحديد المناطق التي ستحتلها القوتان في فلسطين. الا أنه قاوم الضغوط المتزايدة عليه لوقف دعم بريطانيا للفيلق العربي وسحب الضباط البريطانيين العاملين فيه. فكتب في هذا الخصوص الى وزير الدفاع قائلا: انا اعارض عمل أي شيء يمكن ان يؤثر على نجاح هذه المفاوضات التي تهدف الى تجنيب العرب واليهود أية عداوة حقيقية بينهما، خاصة وأن سير المفاوضات ودون شك النتائج المترتبة عليها يعتمد على ما يبدو الى حد كبير

Digitized by Birzeit University Library

على الضباط الانجليز الذين يخدمون في الفيلق العربي. انا أشعر أنه يجب علينا عدم سحب هؤلاء قبل الأوان. من هنا نستنتج ان الدوافع التي حدت ببيفن للموافقة على بقاء الضباط البريطانيين في اماكنهم والسماح لهم بمصاحبة وحداتهم الى داخل الأراضي العربية من فلسطين كانت هي نفسها، ولو بشكل معكوس التي نسبها الصهاينة ومن تبعهم الى بيفن.

لم يكن هدف بيفن اذا من ابقاء الضباط الانجليز قيادة قوات شرق الأردن الى المعركة وانما تقييد هذه القوات وكبح جماحها والوصول الى اتفاق مع الهجانا ووضعه حيز التنفيذ. وكما يظهر فان النية الحسنة من بريطانيا كانت متوفرة. واذا لم تكن هناك نتيجة من الاتصالات التي قادها الكولونيل جولدي مع الهجانا فان السبب في ذلك يعود الى عدم تقبل الهجانا للموضوع من جهة أو اللامبالاة التي تميزت بها من جهة اخرى.

فكلوب من جانبه لم يترك ايا من قواته في فلسطين الا في تلك الاجزاء التي خصصت للعرب حسب قرار التقسيم كذلك رفض القيام بأي استعدادات جدية للدفاع عن القدس والتي كانت حسب قرار التقسيم ستوضع تحت وصاية دولية، حيث لقيت استغاثات الكولونيل عبدالله التل اذانا صماء. فقد رفض كلوب ان يترك ولو حتى كتيبة واحدة لنجدة الوحدات الفلسطينية غير النظامية في الدفاع عن المدينة امام الهجمات اليهودية. لهذا السبب لم تكن مفاجئة لأحد ان وطنيين عرب مثل الكولونيل عبدالله التل او الجنرال صالح الجبوري قائد الأركان العراقي كانوا ينظرون الى الفيلق العربي وكأنه فرقة انجليزية مزروعة في قلب الوطن العربي، والى كلوب باشا ليس كجندي مع العرب كما وصف نفسه بتواضع في كتابه الذي يحمل العنوان نفسه، وانما كحاكم امبريالي واسع الصلاحيات فرض على العرب من أعلى لتطبيق الرؤية البريطانية حول تقسيم فلسطين الى قسمين احدهما لليهود والآخر للتابع البريطاني الملك عبدالله بالقوة.

في حين كانت الشكوك التي ساورت الفلسطينيين والوطنيين العرب تجاه خطة بريطانيا القاضية بفرض تقسيم مقبول من جهة شرق الأردن لها ما يبررها، فان الشكوك الصهيونية نحو بريطانيا تفتقر الى أساس. فالزعماء الصهاينة وعلى رأسهم بن غوريون كانوا يصرون على سوء فهم وبالتالي سوء تأويل النوايا الانجليزية تجاههم اذ كانوا يميلون الى الاعتقاد ان هناك مؤامرة انجليزية ضد اليهود، وان عبدالله ليس سوى دمية في ايدي الانجليز. وحتى لو كان عبدالله يريد حقا التوصل الى اتفاق معهم فان اسياده الانجليز لن يتركوه يفعل ذلك. فكل الاشارات التي اطلقتها بريطانيا لتشعر اليهود بقبولها بمبدأ التقسيم ومساندتها للتنسيق العسكري بين شرق الأردن واليهود لم تكن كافية للتغلب على شكوك بن غوريون أو أن تضع حدا لمخاوفه. وبالرغم من ذلك فانه من الممكن فهم هذه الشكوك والمخاوف في ضوء العلاقة المسمومة بين قوة الانتداب والجالية اليهودية. لكن دعونا نقرأ ما أقر به ولو بادراك متأخر أحد السياسيين الصهاينة الكبار:

هناك سوء اظهار لحقيقة النوايا البريطانية في الفترة الواقعة ما بين تشرين ثاني ١٩٤٧ وأيار ١٩٤٨. فالادعاء القائل بأن بريطانيا كانت تنوي البقاء في فلسطين وأنها كانت تتمنى هزيمة اليهود الأمر الذي سيدفعهم للمثول على ايديهم امام بريطانيا طالبين منها البقاء ليس له اساس من الصحة. فهم لم يكونوا ينوون البقاء. لقد كانوا يريدون تخليص انفسهم من المسألة الفلسطينية ككل. كلهم على الاطلاق بما فيهم أتلي كانوا يعتقدون ان وعد بلفور كان غلطة

Digitized by Birzeit University Library

شنيعة، فكل المسؤولين هنا كانوا معاديين لليهود ولكنهم لم يحاولوا ولا كانت سياستهم في جوهرها تهدف الى منع اقامة دولة يهودية بالقوة. لكن هذا لم يغير من حقيقة أن التصوير الصهيوني لنواياهم لم يكن صحيحا.

اما فيما يتعلق ببيفن شخصيا، فقد تعرض لحملة من الذم وتشويه السمعة لا هوادة فيها وذلك بسبب انعدام ثقة الدوائر الصهيونة فيه وسوء فهمها له. حيث اتهم بتشجيع الدول العربية على مهاجمة اليهود وتزويدهم بالسلاح اللازم لهذا الغرض. لكن بيفن انكر هذه التهمة وهذا شيء متوقع خاصة وانه فعل العكس من ذلك تماما. فسياسته كانت بعيدة المدى وتخضع لاعتبارات سياسية لا تأخذ العواطف بعين الاعتبار. ففي صيف عام ١٩٤٨ وحين كانت مشكلة برلين قد بلغت ذروتها الأمر الذي كان يعني -ربما- دخول الحلفاء الغربيين في حرب مع الاتحاد السوفييتي فان ذلك سيعد ضربا من الحماقة لو ان بيفن اشعل حريقا عاما في الشرق الأوسط.

في منتصف الليل في الرابع عشر من أيار انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين واعلن قيام دولة اسرائيل في اليوم التالي وبناء على قرار صدر عن الجامعة العربية دخلت الجيوش النظامية لمصر، سوريا، لبنان، العراق، وشرق الاردن فلسطين. بريطانيا من جانبها كانت تملك ثلاثة أذرعة تستطيع من خلالها ضبط الحرب العربية الاسرائيلية والتي اصبح لا مفر منها: وجودها كعضو دائم في مجلس الأمن، مركزها كممول رئيسي للسلاح للدول العربية وقدرتها غير المباشرة ولكن العالية جدا في السيطرة على الفيلق العربي.

لم ينقض الاسبوع الأول من القتال حتى استطاع عبدالله، اسميا القائد الاعلى للقوات المهاجمة، تحقيق معظم اهدافه في احتلال المناطق العربية في وسط فلسطين. فقد قاوم عبدالله وبعنف كل المحاولات التي بذلت من جانب شركاءه لمهاجمة الأراضي التي كانت مخصصة لليهود في القدس وحولها وقعت مواجهة مباشرة بين الفيلق العربي وجيش الدفاع الاسرائيلي، اذ اضطر الفيلق العربي التدخل في القتال بعد احتلال جيش الدفاع للاحياء العربية من المدينة ومحاولته احتلال المدينة القديمة حيث تمكن بتاريخ ٢٨ ايار من احتلال الحي اليهودي من المدينة القديمة.

بعد ذلك تصدرت بريطانيا قائمة الدول الداعية الى وقف اطلاق النار وفي وضع الضغوط على كافة الاعضاء في الجامعة العربية للقبول به، حيث اصدر مجلس الأمن بتاريخ ٢٩ ايار قرار تبنته بريطانيا يقضي بوقف اطلاق النار لمدة اربع اسابيع، ونتيجة للتهديد بفرض العقوبات اندفعت الدول العربية الأخرى الى الحذو حذو الأردن في القبول بوقف اطلاق النار.

الهدنة الأولى دخلت حيز التنفيذ بتاريخ ١١ حزيران حيث استقبلت من طرف الاسرائيليين وكأن السماء امطرت ذهبا. قبل هذا التاريخ بزمن طويل كانت بريطانيا قد بدأت بتحديد ارساليات الاسلحة الى فلسطين. كذلك عمل الامريكيون على فرض حظر على ارسال الاسلحة منذ تشرين ثاني ١٩٤٧ وبقي هذا الحظر ساري المفعول حتى نهاية الحرب العربية الاسرائيلية. فكلا منهما كان يخشى ان تصبح الحرب العربية الاسرائيلية نسخة جديدة عن الحرب الأهلية الاسبانية حيث كان طرفا الصراع يتزودان بالاسلحة من دول خارجية ذات اتجاهات مختلفة. لهذا لم تقم بريطانيا بتحديد ارسال الاسلحة الى حلفائها العرب خوفا من ان تقوم امريكا برفع الحظر المفروض على ارسال الاسلحة الى اسرائيل. فبريطانيا كانت تريد تجنب اي خلافات جدية مع

Digitized by Birzeit University Library

امريكا، والتي كانت اوروبا ودول اخرى في أمس الحاجة لمساعدتها. فالحظر الكامل الذي فرضته بريطانيا على ارسال مواد حربية الى فلسطين ودول عربية أخرى مثل مصر، العراق، وشرق الأردن والتي ارتبطت مع بريطانيا بمعاهدات عسكرية، ناهيك عن أن بريطانيا كانت مصدر السلاح الوحيد لهذه الدول.

في الوقت ذاته كانت اسرائيل تستورد كميات كبيرة من العتاد العسكري على اختلاف انواعه من الكتلة الشرقية، خاصة تشيكوسلوفاكيا، في انتهاك صارخ لوقف اطلاق النار الذي دعت اليه الأمم المتحدة . وبالرغم من ان التزود بهذه الكميات من الاسلحة قد قلب ميزان القوة على نحو حاسم لصالح اسرائيل، فان بريطانيا بقيت متمسكة بسياسة عدم ارسال اسلحة الى حلفائها حتى نهاية الحرب .

وخلافا للنصائح المتكررة من بريطانيا ، ورغبات عبدالله وتحذيرات الخبراء العسكريين بشأن نضوب العتاد العسكري، قررت السياسيون العرب، وعلى رأسهم المصريون، استئناف القتال " في الجولة الثانية من الاعمال الحربية، والتي استمرت من ٨ - ١٨ تموز، حيث تعرضت الجيوش العربية المشاركة لهزائم كبيرة ادت الى فقدان اراض جديدة، مما ادى الى تحسن الموقف الاسرائيلي بشكل لا حد له . فخلال هذه الفترة انتزع جيش الدفاع طابع المبادرة وظل محتفظا بها حتى نهاية الحرب . بعد ذلك قرر مجلس الامن عقد هدنة جديدة بتاريخ ١٨/٧/ ولمدة غير محدودة . بريطانيا من جانبها ساندت هذا القرار ومارست ضغوطا شديدة على الدول العربية حتى تضمن اذعانهم. وفعلا توقفت الاعمال العدائية ولم تتجدد الا في منتصف تشرين اول . في ذلك الحين كان السياسيون العرب المحبطون يبحثون عن كبش فداء مناسب يبررون به هزائمهم . فبتهديدها للدول العربية بتحمل نتائج رفضها لقرار مجلس الامن وبمساندتها للدعوة الامريكية بفرض عقوبات في حال الرفض كانت بريطانيا هي كبش الفداء المناسب .

فبريطانيا كما اصبح يدعى قلبت سياستها رأسا على عقب واصبحت تقف في خندق واحد جنبا الى جنب مع الولايات المتحدة واليهود ضد العرب . فلم يبال كثيرا بالهزائم التي منيت بها الجيوش المصرية والعراقية والسورية اذ تركز الاهتمام على الفيلق العربي والذي كان متفوقا على الجيوش الاخرى مجتمعة . فقد اصبح المتطرفون العرب ينظرون الى هذا الجيش على أنه عديم الفائدة بالنسبة للدول العربية. وانه يتحرك باوامر من لندن وليس باوامر ضباطه العرب . ففكرة ان الفيلق العربي قد حرم من استخدام قوته الكاملة ضد بريطانيا عن ارسال الاسلحة اصبحت حقيقة يروجها بنشاط المسؤولون السوريون والعراقيون وحتى عزام باشا شخصيا . فالضباط العراقيون العاملون في شرق الاردن كانوا، وبشكل بارز، معادين للفيلق العربي، وقد توقفوا عمليا عن الاحتفاظ باية علاقة معه . والساخطون منهم بدأوا بالحديث عن الحاجة للتخلص من العصابة التي تخدم المصالح البريطانية في كل من بغداد وعمان، مؤكدين بحزم ان القضية الفلسطينية تعني الكثير بالنسبة لهم، وانهم على استعداد للتعاون مع أية قوة عظمى على استعداد لتقديم العون في هذا المجال .

في ظل هذا الشعور العام من الاحقاد والاتهامات المتبادلة والذي نشأ في أعقاب الهزائم العسكرية العربية في فلسطين لم يستطع السير اليل كيرك برايد، السفير البريطاني في عمان والقوة الحقيقية التي تقف خلف العرش، انهيار العرش في شرق الأردن . فالسوريون مثلا

Digitized by Birzeit University Library

يعتبرون الحكم في شرق الاردن خطرا يحدق بالنظام في دمشق . كذلك يريدون تسليط الضوء على العبر المستخلصة من التعامل مع البريطانيين ، وان تاريخ الولاء الطويل لشرق الاردن لبريطانيا العظمى لم يؤت باية ثمار .

أما الحجج التي اختلقتها بريطانيا حول تعهداتها الدولية، فلم تفلح في مواجهة هذه الدعاية التي انتشرت في بقية أنحاء العالم العربي والحد من تأثيرها. وحول هذا الموضوع بالذات كتب كيرك برايد محذرا : لدي شعور متزايد انه لو حلت كارثة بشرق الأردن، في الوقت الذي حجم فيه عن تزويدها بالعتاد والذخيرة فقد يضطرنا ذلك للتخلي عن السياسة الحالية التي تقوم على بناء تحالفات دفاعية في الشرق الأوسط .

ففي الاسبوع الأول من آب جرت محادثات في عمان بين وزراء عراقيين والملك عبدالله حول موضوع انسحاب الضباط البريطانيين من الفيلق العربي ووضع الجيشين الهاشميين تحت قيادة موحدة فقد اشيع ان هدف المحادثات هو كسر السيطرة البريطانية على الفيلق العربي عن طريق ابدال المعونة البريطانية بمعونة عراقية والطلب من كل الضباط البريطانيين اخذ اجازات طويلة او الاستقالة . فانسحاب المستخدمين البريطانيين كان يعني ازالة العقبة من أمام الفيلق العربي وتركه يقدم افضل ما عنده من ناحية، ووضعه تحت قيادة عراقية بعيدا عن أي تدخل اجنبي من ناحية اخرى . على كل حال، لم ترق هذه الفكرة للملك عبدالله خاصة عندما اتضح له ان العراق لم يكن قادرا على تقديم مساعدة مادية لشرق الاردن . الا ان الطرفين اتفقا من حيث المبدأ على تشكيل غرفة عمليات مشتركة في الوقت الذي يستطيع كلا الجيشين التصرف كوحدة مستقلة. وباختصار فان الترتيبات التي اتفق عليها مبكرا والتي تركت كل فريق يتصرف بالطريقة التي يراها مناسبة بقيت قائمة ولم يطرأ عليها أي تغيير . ولتحجيم قوة كلوب باشا اعلن عن تأسيس وزارة دفاع جديدة تتمتع بصلاحيات تنفيذية تتركز في يد وزير الدفاع فوزي الملقي . كما منح كلوب اجازة لمدة شهر . البريطانيون رأوا في ذلك خطوة ايجابية بالنسبة لهم اذ اصبح موقف حكومة شرق الاردن والمسؤولة الان مباشرة عن الفيلق العربي اكثر تعقيدا .

في رحلته الى انجلترا حمل كلوب باشا رسالة من عبدالله الى بيفن تذكره بلطف انهما شركاء الخطة الشرق اردنية لتقسيم فلسطين ثم يتبع ذلك بادعاء مفاده ان وراء الحركة اليهودية يقف مخطط سوفييتي عريض وانه بناء على ذلك يطلب دعما ماديا لمساعدة شرق الاردن على الوقوف في وجه التوسع السوفييتي .

اما بالنسبة لزيارة كلوب باشا الى بريطانيا والتي استغرقت شهرا فلم يدخر هذا وسعا في الدعاية لشرق الأردن خاصة في أوساط الوايت هول - وزارة الدفاع - . فقد انطلق منذ وصوله يروج لافكار مفادها ان حكومة شرق الاردن لم تكن تنوي ابدا اشراك نفسها في أية عمليات عسكرية كبيرة وأنها كانت تعلم يقينا ومنذ البداية ان التقسيم هو تحصيل حاصل . بالاضافة الى ذلك فان قبول شرق الاردن للتقسيم وولاءه لبريطانيا كانا قد اثارا حفيظة السياسيين العرب تجاه هذا البلد . وفي حال حل الفيلق العربي كنتيجة لتوقف الدعم البريطاني فان ذلك يعني حسب وجهة نظر كلوب ، ان حوالي ٢٠٠٠٠ جندي من المشكوك في ولائهم وانضباطهم سيهاجمون شرق الاردن مما يعني الانيهار الكامل والوقوع في مستنقع الفوضى . فانهيار شرق الاردن يعني الحاق ابلغ الاضرار بالصداقة اللانجليزية - العربية والسماح لليهود بالسيطرة على

Digitized by Birzeit University Library

كافة فلسطين على صعيد اخر : "اذا انتظرنا بعض الشيء ، فان رقعة شرق الاردن ربما ازدادت بشكل جوهري، مما يجعل منها حليفا ذا قيمة اكبر . اما اذا تخلينا عنها الان وانهارت فان حل المسألة الفلسطينية سيصبح اكثر تعقيدا".

وفي تقرير خطير اخر تحدث كلوب باسهاب عن مخاطر الثورة والمكاسب التي ستجنيها روسيا اذا ما لحقت الهزيمة بحلفاء بريطانيا في فلسطين . فخرق اليهود لاتفاقية الهدنة للسيطرة على القدس كلها وقطع الطريق الذي يصل بين القدس وشرق الاردن يعني عزل الجيش العراقي بالاضافة الى الفيلق العربي : "وهذا سيعني بالتالي اما انسحابا لفلول الجيش العراقي المهزوم والذي يقدر عدده ١٢ الف رجل في وضع غير منتظم ومعنويات منخفضة مما قد يؤدي الى خلق مشاكل كبيرة في شرق الاردن أو ان الجيش العراقي سيستلم ويدمر في فلسطين، وفي هذه الحالة قد تقع ثورة في العراق تأتي بنظام جمهوري لا يلبث ان يتحالف مع روسيا. "فاليهود كما يقول كلوب كانوا يمارسون سياسة العنف القوي كتلك التي يمارسها الروس ولكن على نطاق اضيق . ولأن اليهود يعتمدون كليا على التجارة وعلى التموين والمساعدات الامريكية من وراء البحار فان العقوبات الاقتصادية عليهم اسرع تأثيرا منها على العرب ثم اقترح كلوب ان يصدر مجلس الامن تحذيرا ضد العدوان وان تتعهد بريطانيا لشرق الاردن بانها ستفي بالتعهدات الملقاة على عاتقها من خلال المعاهدة المشتركة في حال تعرض اراضي شرق الاردن للهجوم كما اقترح اعادة ارسال شحنات الاسلحة الى الفيلق العربي .

اما قيادة الاركان والتي كانت قد انذرت مسبقا عن طريق كيرك برايد حول انعكاسات اية هزيمة عسكرية لشرق الاردن على وضع بريطانيا في الشرق الاوسط، فقد استقبلت اقتراحات كلوب باذان صاغية وركزت على اهمية العلاقة الحميمة ليس فقط مع العالم العربي، وانما على مستوى العالم الاسلامي . ففي تقرير رفعته الى وزير الدفاع أ.ق . الكسندر اشارت قيادة الاركان الى عدم وجود اي التباس في المعاهدة مع شرق الاردن، وانه في حال مهاجمة اسرائيل لشرق الاردن، فان بريطانيا ستجد نفسها وطبقا للاتفاقية في حالة حرب مع اليهود . وقد اقترحت صدور تصريح واضح بهذا الخصوص يكون له فعل الرادع . كما أكدت على اهمية ارسال المعدات اللازمة والذخيرة الى قواعد سلاح الجو الملكي في شرق الاردن والعراق . واخيرا قدمت قيادة الاركان اقتراحا مبدئيا تعرض بموجبه بريطانيا على الدول العربية ضمان حدودها ضد أي توسع يهودي .

أما بيفن فلم يكن مستعدا للذهاب بعيدا كما فعلت قيادة الاركان اذ ان عليه ان يتذكر جيدا التزامات بريطانيا تجاه الامم المتحدة وعلاقاتها مع الولايات المتحدة . وطبقا لاقوال كلوب الذي حضر للدفاع عن شرق الاردن فان بيفن كان يشعر بالاسى والغضب من بعض العرب الذين قابلوا محاولاته المتعددة لمساعدتهم بالنكران والاساءة . ولكنه اعترف ان الشرق اردنيين ليسوا سيئين مثلهم مثل بعض العرب، ووعد في استمرار تمويل الفيلق العربي والمحافظة على امداداته جاهزة في منطقة القناة في حالة الطوارىء. كذلك ارسل الى الملك عبدالله رسالة يؤكد من خلالها "الاهمية العظمى التي تقرنها بريطانيا بوجود وسلامة شرق الاردن، كذلك الى الاستفادة من العلاقة الحميمة معها وتطويرها، والى استمرار وجود الفيلق العربي كقوة ضاربة فعالة تربطه علاقة خاصة بالجيش الانجليزي .

حتى في سياق البحث عن تسوية سلمية للقضية الفلسطينية في صيف ١٩٤٨ كان عبدالله

Digitized by Birzeit University Library

ورقة بريطانيا الرابحة . فالكونت برنادوت والتي قوبلت مجموعة من المقترحات الاولية التي قدمها بالرفض من قبل الطرفين وجد نفسه اكثر من اي وقت مضى بحاجة الى توجيهات القوى العظمى . الحل على شكل " شرق أردن كبرى " كانت النصيحة التي تلقاها الوسيط الدولي من بريطانيا . فقد أخبر وزير الدفاع البريطاني زملاءه في الوزارة ان مثل هذا الحل سوف يخفف الاعباء الدفاعية عن الكمنولث الى حد كبير . ثم اتفق على ان بريطانيا ستلقي بكل ثقلها وراء الوسيط برنادوت في حال قبوله العمل بهذه النصيحة . وفعلا عمل برنادوت بها، فبالرغم من أن خطته الثانية كانت مغلفة ب "صنع في السويد" الا انها كانت في جوهرها خطة انجلو - امريكية، فقد اقترحت الخطة احتواء الجليل ككل من قبل الدولة اليهودية في مقابل ترك النقب للعرب، مما يعني اعادة الاتصالات البرية المباشرة بين مصر من جهة وكل من الاردن والعراق من جهة اخرى وهي ميزة استراتيجية مهمة خاصة في ظل وجود القواعد البريطانية والارتباطات العسكرية بين بريطانيا والدول الثلاث. من جهة ثانية اعتقد الخبراء البريطانيون ان اسفينا يهوديا بين مصر والدول العربية سوف يشجع التجاوزات السوفييتية واستغلالها للوعي العربي الخارج عن مستنقع الاوهام بعد ان اخفق العرب في فلسطين . في الوقت نفسه فان احتواء أنجلو - امريكيا للصهيونية العسكرية ربما استطاع ابقاء شوق العرب للتحرر في مرحلة الشرنقة .

وطبقا لخطة اعدت سلفا، اعلن وزير الخارجية الامريكية مارشال مساندة حكومة بلاده لخطة برنادوت داميا الجمعية العمومية لتبنيها كاملة . وفي خطاب له أمام مجلس العموم، اطرى بيفن بافراط النقاط الفئية التي ظهرت في مقترحات برنادوت وبين لماذا يجب ضم القسم العربي من فلسطين الى شرق الاردن . اما الحل البديل وهو دولة عربية مستقلة فرفضه على خلفية ان الاقسام العربية من فلسطين هي مناطق غير خصبة وبالتالي لا تشكل قاعدة لدولة قابلة للحياة . مختصر القول ان بيفن كان قد قرر منذ البداية ان الوحدة مع شرق الاردن هي الطريق الوحيد الذي يضمن مستقبلا امنا وحيويا لعرب فلسطين .

محاولات بريطانيا لاقناع الجمعية العمومية بتبني خطة برنادوت لم تجابه فقط بمعارضة عنيدة من قبل العرب واليهود على السواء بل من التغير في الموقف الامريكي الذي تحول من قوة دافعة وراء خطة برنادوت الى نصير لحق اسرائيل في النقب . كل ذلك حتى يضمن الرئيس ترومان اصوات اليهود لاعادة انتخابه رئيسا للولايات المتحدة، فقد عمد الى وضع العراقيل امام اي تعديلات في النص الاصلي لمشروع التقسيم، الا اذا كانت تتفق ومصلحة اسرائيل وبهذه الطريقة سحب البساط من تحت قدمي الجنرال مارشال ووزارة الخارجية .

وهكذا فان استراتيجية بريطانيا الدبلوماسية، والتي صممت بعناية بهدف ضم وسط فلسطين والنقب الى شرق الاردن، هزمت بسبب الاستخفاف العربي، والمعارضة اليهودية غير المتوقعة والفعالة واخيرا خصوصيات النظام السياسي الامريكي. فلا شيء اثار مشاعر الغضب والسخط عند بيفن ومساعديه مثل الحركة الفردية التي قام بها الرئيس ترومان فيما يتعلق بفلسطين لاهثا وراء امتيازات انتخابية لتحسين موقعه. كذلك عمد خبراء الشرق الاوسط في وزارة الخارجية البريطانية الى انتقاد البيت الابيض بعنف وبقسوة لتجاهله الحقوق العربية وموقفه الموالي لاسرائيل بشكل فاضح . فعلى سبيل المثال اعتبر السير جون تروبك، مدير مكتب الشرق الاوسط البريطاني، امريكا مسؤولة عن اقامة دولة لقطاع طرق يقف على رأسها "مجموعة من

Digitized by Birzeit University Library

عديمي الضمير" بيفن نفسه لم يدخر وسعا في محاولاته التوصل الى صيغة مشتركة مع الامريكيين حول فلسطين، لان التعاون الانجلو - امريكي في هذا المجال يشكل حجر الزاوية في كل ما يتعلق بسياسته الخارجية الا ان الرئيس الامريكي خذله وزملاءه وليس للمرة الاولى فقط.

في منتصف اكتوبر وفي خرق واضح لاتفاقية الهدنة قام الاسرائيليون بمهاجمة القوات المصرية وذلك للسيطرة على النقب قبل صدور قرار مجلس الامن بحرمان الاسرائيليين منه. وبذلك استطاعت اسرائيل تحقيق مكاسب جوهرية في الجنوب ضاربة بعرض الحائط كل توصيات الامم المتحدة التي اشرفت على اغلبها بريطانيا. وفي هجوم ثان شن في نهاية اكتوبر تمكن جيش الدفاع من طرد كل القوات العربية من الجليل وبهذا الاسلوب هزمت اسرائيل المخطط الهادف الى مبادلة الجليل بالنقب.

الانتصارات العسكرية الاسرائيلية هذه وما رافقها من توسع احدثت موجة من السخط والذعر في الوايت هول. فقيادة الاركان كانت تعتبر النقب او على الاقل النصف الجنوبي منه جزءا من شرق اردن كبرى علاوة على ذلك فقد كان على قيد البحث امكانية تحويل النقب وغزة بدلا من سيرنايكا الى القاعدة العسكرية البريطانية الرئيسية في الشرق الاوسط وذلك خارج مصر. اما الان فقد خلق الاسرائيليون امرا واقعا ليس فقط بهزيمتهم للجيش المصري وضياع جزء كبير من النقب وانما لان امكانية ان يكون الفيلق العربي هو المقصود في الجولة القادمة اصبحت كبيرة.

وبهذا الخصوص اوضح بيفن لمارشال ان بريطانيا لا تستطيع ان تقف مكتوفة الايدي وهي تشاهد امام عينيها عملية القضاء على الفيلق العربي. في حال مهاجمة القوات الاسرائيلية لشرق الاردن على وجه التحديد فان المعاهدة الانجلو - شرق اردنية ستدخل حيز التنفيذ على الفور. فبتاريخ ١٢ تشرين ثاني اتخذ مجلس الوزراء التدابير اللازمة للتأكيد على التزامات بريطانيا

تجاه شرق الاردن وبناء على نصيحة قيادة الاركان امر مجلس الوزراء بارسال التعزيزات والتموينات جوا الى كتيبة سلاح الجو الملكي المرابطة في عمان. كذلك اتخذت الترتيبات البحرية اللازمة لضمان الدفاع عن العقبة في حال تعرضها للهجوم. هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فقد كان هناك معارضة لارسال قوات بريطانية لمساندة القوات الشرق اردنية العاملة في فلسطين، اذ اعيد الى الاذهان انه عندما قررت بريطانيا الانسحاب من فلسطين كان هناك شعور عام يحبذ عدم ارسال قوات بريطانية مرة اخرى الى المنطقة الا كجزء من قوة تابعة للامم المتحدة للاشراف على حل دولي للازمة وانه يجب الالتزام بذلك. كما أخذ مجلس الوزراء بعين الاعتبار الاقتراح القائل بضرورة تشجيع المفاوضات المباشرة بين شرق الاردن واسرائيل كوسيلة للوصول الى حل سلمي، الا انه عاد فنبذ الفكرة منطلقا من ان القوة العسكرية للطرفين غير متكافئة مما يجعل امكانية حدوث محادثات عادلة ومنصفة مستحيلا، عوضا عما يعنيه ذلك من اضرار بسمعة الأمم المتحدة. قرارات مجلس الوزراء هذه قام اتلى بنقلها الى الامريكيين منوها الى المخاطر التي قد تنجم عن اندفاعات اسرائيلية مستقبلية مؤكدا في نفس الوقت عزم بريطانيا على التصرف طبقا لالتزاماتها نحو شرق الاردن، والا فان مكانة بريطانيا وربما الغرب كله ستتعرض للضرر.

نائب وزير الخارجية، سير اورم سارجنت، اعاد الى الاذهان الدروس المستفادة من ميونيخ عندما ناقش مع السفير الامريكي فرص نجاح المباحثات المباشرة بين شرق الاردن واليهود. فقد

Digitized by Birzeit University Library

ادعى انه ليس من العدل ان تفرض المفاوضات المباشرة على الفرقاء دون الاشراف عليها، خاصة وان الميزان العسكري يميل بقوة لصالح اسرائيل والا فان ذلك سيعني حدوث ميونيخ جديدة، خاصة اذا دفعت الدول الكبرى بريطانيا الى الغاء المعاهدة الانجلو - شرق اردنية في حال عدم استجابة عبدالله لدعوة السلام مع اسرائيل . وحسب رأيه فان خداع عبدالله عن طريق دفعه الى سلام مزيف ذي ثمن رخيص سوف يعني دونما شك اعادة تمثيل التراجيديا التشيكية .

اما الامريكيون فقد رفضوا من جانبهم هذه المقارنة التاريخية لان هذا يعني تقمص اسرائيل لشخصية المانيا الهتلرية وشرق الاردن لتلك التشيكوسلوفاكية، خاصة وانه لا توجد هناك نوايا امريكية لممارسة ضغوط على شرق الاردن ليتحول الى ضحية شرق اوسطية على غرار ميونيخ . كذلك ليس هناك اسباب تحول دون استشارة الطرفين ومحاولة تقريب وجهات النظر . واقع الامر ان الاسرائيليين كانوا يريدون مفاوضات مباشرة مع الاستغناء عن وساطة برنادوت في حين كان البريطانيون يريدون العكس، اما امريكا فكانت تحاول ايجاد قاسم مشترك بين هذين الموقفين المتطرفين .

في الوقت الذي كانت فيه الدول العظمى تتشاور حول هذا الموضوع، كانت اسرائيل تتصرف على الارض. ففي نهاية تشرين الثاني تقدمت القوات الاسرائيلية منطلقة من بئر السبع نحو الشرق والجنوب حيث اقامت لها موقعا متقدما بين البحر الميت والبحر الأحمر . ولم تكتف بذلك فارسلت دورياتها الى داخل اراضي شرق الاردن مما دفع بريطانيا الى التقدم بشكوى الى مجلس الامن مؤكدة على التزاماتها نحو شرق الاردن في محاولة منها لردع الاسرائيليين . في هذه الاثناء كانت تدور محادثات في القدس بين القيادة العسكرية الاسرائيلية والشرق اردنية انتهت بعقد اتفاق حقيقي وكلي لوقف اطلاق النار في مدينة القدس . وبذلك استطاعت اسرائيل تحييد الفيلق العربي عن طريق تهديد العقبة تارة والاتفاق على وقف اطلاق النار في القدس تارة اخرى، بهجوم سريع بتاريخ ٢٢ كانون اول ضد القوات المصرية المتمركزة في الجنوب، اندفعت على اثرها عبر الحدود المصرية حتى مشارف العريش . عندئذ لم تتوان بريطانيا عن اللجوء الى التهديد بالتدخل عسكريا لصالح مصر وذلك عملا باتفاقية الدفاع المشترك الانجلو - مصرية لسنة ١٩٣٦، (بالرغم من ان المصريين كانوا قد الغوها من طرف واحد)، اذا استمرت اسرائيل في احتلالها لاراض مصرية . كذلك ارسلت رسالة عاجلة الى الحكومة الامريكية لاطلاعها على الفور، استجاب الرئيس ترومان للطلب فارسل ما يشبه الانذار الى بن غوريون والذي اضطر للاذعان لهذا الضغط الأنجلو - امريكي المزدوج مصدرا اوامره بسحب القوات الاسرائيلية من العريش. بتاريخ ٧ كانون الأول ١٩٤٩ اصدر مجلس الأمن قرارا بوقف اطلاق النار دخل حيز التنفيذ على الفور منهيا بذلك الشكل الرسمي للحرب العربية - الاسرائيلية الاولى .

لكن قبل دخول قرار وقف اطلاق النار حيز التنفيذ بساعات، وقعت حادثة كادت ان تشعل فتيل الحرب بين بريطانيا واسرائيل فبيفن والذي كان يعتقد انه يسيطر شخصيا على الوضع، امر بالقيام بطلعات استطلاعية للتاكد من انسحاب القوات الاسرائيلية الى الحدود الدولية، كل ذلك ودون علم وزير سلاح الجو. المهمة انتهت بكارثة فقد اسقط سلاح الجو والدفاعات الاسرائيلية ٥ طائرات حربية تابعة لسلاح الجو الملكي فوق الاراضي المصرية. وقد حاولت اسرائيل اثبات انها تصرفت وهي في موقف الدفاع عن النفس ضد الاستفزازات البريطانية عن طريق سحب حطام

Digitized by Birzeit University Library

الطائرات الى الجانب الاسرائيلي من الحدود بناء على اوامر مباشرة من بن غوريون .

هذه الحادثة بناء دفعت الرئيس ترومان للتدخل طالبا من الحكومة البريطانية العمل على ضبط النفس وحتى لا تتحول هذه الحادثة الى حرب حقيقية. اما الحكومة البريطانية وبيفن بالذات فقد تعرضا للانتقاد من قبل وسائل الاعلام والمتحدثين في البرلمان معتبرين ما حصل مغامرة خطيرة لم يكن لها لزوم . فقد كان من الصعب على حكومة عمالية ان توضح لماذا يجب على بريطانيا ان تعادي اليهود من اجل حليف مشكوك في امره مثل مصر . واقع الامر ان بيفن صدم بردود الفعل العالمية والمحلية التي ظهرت عقب الحادثة التي وجب عليه تحمل مسؤوليتها فاضطر الى تقبل هذه الهزيمة السياسية ووافق على اعتراف "لا حول ولا قوة" بدولة اسرائيل .

اما العلاقات البريطانية - الشرق اردنية فقد خرجت من كل هذه الازمات والمهاترات التي رافقت انتهاء الحرب العربية الاسرائيلية دونما ضرر يذكر . فالحرب اثبتت ان شرق الاردن هو الحليف الوحيد والمخلص لبريطانيا في الشرق الاوسط وان الغيلق العربي هو القوة الوحيدة المؤهلة في المعسكر العربي . ف "ملك بيفن الصغير" كان يقف مرفوع الرأس واثقا بنفسه، بالمقارنة مع الزعماء العرب الاخرين الذين لم يتوفر لهم دعم بريطاني . فبحكم الظروف واعترافا بولاء الملك عبدالله بنت بريطانيا سياستها في فلسطين والشرق الاوسط بشكل عام، على اساس شرق اردن كبيرة . وبهذا الخصوص كتب برنارد بورز الى السير اليك كيرك براید قائلا : قد يشعر المرء اننا قد وضعنا كل البيض الذي نملكه في سلة واحدة واننا نعتمد كليا على شخص واحد فقط، وهو في هذا الوقت طاعن في السن، ولكن ما العمل اذا كانت السلال الاخرى التي تحت تصرفنا غير راغبة في ايواء بيضنا . فالاسباب التي دعت بريطانيا الى مساندة عبدالله خلال الهجمة الاسرائيلية ضد مصر اخذت بعين الاعتبار مصالح اعتبرتها حيوية بالنسبة لها، ولم تكن من اجل سواد عينيه. ففي برقية ارسلها البريغادير كلايتون من مكتب الشرق الاوسط البريطاني في القاهرة حذر من ان التقدم اليهودي نحو البحر الاحمر ربما حرم بريطانيا من القدرة على تقديم المساعدة المادية لشرق الاردن من منطقة القناة حتى ولو كانت الرغبة في ذلك متوفرة . لذلك كانت هناك مشاورات مركزة في وزارة الدفاع حول احتمالات التصادم الممكنة . فتواجد اسرائيلي على البحر الاحمر يعتبر تهديدا لخطوط المواصلات بين مصر وشرق الاردن ، وهذه في حد ذاتها لم تكن مصلحة عربية صرفة، بل بريطانية ايضا . وعلى ضوء الحملة الاسرائيلية على مصر قررت لجنة الدفاع بتاريخ ٣ كانون ثاني تطبيق مقررات مجلس الوزراء الصادرة بتاريخ ١٢ تشرين الثاني والقاضية بوضع بريطانيا في حالة تأهب للدفاع عن شرق الأردن ، فارسلت المؤن والتجهيزات الى عمان، وثم تبعتها قوة بريطانية للدفاع عن ميناء العقبة ضد أي تهديد اسرائيلي محتمل بناء على طلب قدمه الملك عبدالله وتطبيقا لبنود المعاهدة .

وراء كل هذه المناورات يكمن الهدف الحقيقي لبريطانيا الا وهو حرمان اسرائيل من النقب، فكل الصيغ البريطانية التي طرحت من اجل حل القضية الفلسطينية ابتداء من خطة بيل عام ١٩٣٧ وحتى بعد انتهاء الانتداب كانت تهدف حرمان اليهود من النقب . ولما كانت بريطانيا لا تستطيع السيطرة على النقب مباشرة، فقد سعت لتحقيق ذلك من خلال حليف او اكثر من حلفائها العرب . لكن في حين كانت بريطانيا تعتبر النقب ذا قيمة استراتيجية بالنسبة لها، كان هذا محدود الفائدة بالنسبة للعرب .فماذا يفعل عبدالله الحاكم على مملكة صحراوية بهذا البحر

Digitized by Birzeit University Library

القاحل من الرمال اذا لم يكن له هناك منفذ على البحر المتوسط ويعني غزة . وفي حال عدم حصوله على غزة، فانه سيكون راغبا كما تحقق البريطانيون من ذلك لاحقا، في ان يسيطر الاسرائيليون على النقب، ومن يدري فربما رأى عبدالله ان وجود ارض محايدة "اسرائيلية او غير عربية" بينه وبين مصر سيجعله في وضع افضل . ربما كان هذا سببا من الاسباب التي وقفت وراء عدم رغبة بريطانيا في تشجيع مباحثات مباشرة بين عبدالله واسرائيل .

اما فيما يتعلق بعدم رغبة بريطانيا في العودة الى تزويد العراق بالسلاح فيمكن تفسيره على الاقل بشكل جزئي، في حقيقة كون الجيش العراقي يحارب في وسط فلسطين حيث لا توجد هناك مباشرة أية مصالح بريطانية . اذا الفرق بين رد الفعل الايجابي نحو احتياجات شرق الاردن الدفاعية وتجاهل رغبة العراقيين في التزود بالسلاح كان واضحا جدا . ففي مذكرة تتسم بالخبث قدم السير اورم سارجينت اقتراحا مفاده ان الشيء الافضل بالنسبة للعراقيين المتعبين هو العودة الى ديارهم :

يجب ان نتخلص على الفور من الحجة المزيفة في ان اي هجوم على القوات العراقية في فلسطين هو في حد ذاته هجوم على الاراضي العراقية . فلا يمكن تحت اي ظرف من الظروف، ارسال اسلحة ليستخدمها الجيش العراقي في فلسطين . كذلك لا نرغب في عمل اي شيء يشجع الجيش العراقي على البقاء هناك . فكلما استعجل العراقيون في سحب قواتهم من وسط فلسطين تاركين المنطقة لعبدالله، كان ذلك أفضل، خاصة واننا لا نريد ان يشترك العراقيون في اية محادثات عربية اسرائيلية مقبلة .

لهذا السبب بينما أؤيد ارسال العتاد ليخزن من اجل الجيش العراقي في عمان فانا لا ارغب في ارسال اي شيء في الوقت الحاضر الى العراق نفسها . نحن طبعا لا نريد للجيش العراقي ان يتعرض لهزيمة ساحقة، خاصة واننا كنا، وفي كل مناسبة، نخبر الامريكيين انه في حال انهزام الحكومات العربية وجيوشها بشكل واضح، وبالتالي فقدانها لثقة الناس بها، فان ذلك سيعني اختفاء الحكومات الحالية وظهور حكام دكتاتوريين محليين يرتفعون الى سدة الحكم على ظهر موجة الغضب العارم المعادية للبريطانيين والامريكيين . وفي هذه الحالة فان هؤلاء الحكام مضطرون لخطب ود السوفييت لتثبيت انفسهم .

لهذا السبب كلي قناعة في انه يجب علينا بذل قصارى جهدنا من اجل اقناع الحكومة العراقية بسحب قواتها من فلسطين قبل فوات الاوان. كذلك يجب علينا العمل للقضاء على اية أفكار غير واقعية قد تساعد على استمرار القتال في فلسطين .

أما تعليق بيفن على هذه المذكرة فكان : أنا اتفق مع سارجينت .

الحرب خسرها العرب وكان لا بد من تحديد هذه الخسارة . بريطانيا ايضا كان يجب عليها ان تكيف نفسها مع الحقيقة الجديدة وهو ان هناك دولة يهودية قوية تنبض نشاطا وحيوية وتسيطر بفاعلية على النقب بكامله، بالاضافة الى قدرتها على الدفاع عن حدودها وحتى تهديد جيرانها العرب .

وفي سياق دفاعه عن سياسته في فلسطين قدم بيفن بهذا الخصوص مذكرة الى مجلس الوزراء في منتصف كانون الثاني مقرنا اياها بلمحة تاريخية طويلة عن القضية. فالمبدأ الرئيسي الذي

Digitized by Birzeit University Library

بنيت عليه سياسته هو : اننا لم نكن نعارض اقامة دولة يهودية، فمساندتنا لمقترحات برنادوت كانت تعني اعترافا بوجود مثل هذه الدولة كحقيقة واقعة ... لقد كنا فقط نطمح الى تسوية تضمن وجود دولة يهودية ولكن بطريقة يستطيع العرب قبولها، حتى لا يحولوا كل طاقاتهم لمحاربتها. بلا شك كانت كلمات بيفن هذه افضل تصوير لسياسة بريطانيا في فلسطين . وبالرغم من ان احدا لم يشكك في حاجة بريطانيا الى الاحتفاظ بدور اساسي في الشرق الاوسط الا ان علاقاتها مع الدول العربية الرجعية كانت موضع شك وخاصة من قبل انويرن بيفان، ممثل الجناح اليساري في حزب العمل . وحجته في ذلك : كان من الافضل لنا لو بنينا علاقتنا في الشرق الاوسط على اساس صداقتنا مع اليهود، الذين كانوا، وبكل سرور، سيقدمون لنا كل التسهيلات اللازمة والتي نحتاجها في اقامة قاعدة عسكرية قوية في فلسطين . بكلمات اخرى، فان الحكومة العمالية قد راهنت على الحصان الخاسر نتيجة لتضليل الخبراء العسكريين لها . الا ان توجه بريطانيا نحو العالم العربي واهمية العلاقة بين الكمنولث والعالم الاسلامي هو دليل على عدم خسارة الرهان .

اما قرار الحكومة الاعتراف بوجود اسرائيل كامر واقع فقد كان بداية لعملية مرحلية استطاعت بريطانيا من خلالها تكييف نفسها مع الحقيقة الجديدة في الشرق الاوسط . فعوضا عن البراغماتية الانجليزية المعروفة كان الدعم الامريكي لاسرائيل هو المعجل في خلق هذا الوضع الجديد . فظاهرة القوة العسكرية الاسرائيلية الفعالة والمدمرة والتي احدثت خوفا عميقا عند البريطانيين احدثت رد فعل معاكسا على الجانب الاخر من الاطلنطي ، فقد ازداد اعجاب امريكا باسرائيل واصبح ينظر اليها كحليف محتمل ذي اهمية خاصة . فمن خلال دعمهم للاسرائيليين، كانت امريكا تأمل في الحصول على تسهيلات استراتيجية في الشرق الاوسط تعوض الفراغ الحاصل نتيجة ضمور قوة بريطانيا في هذه المنطقة من العالم . لذلك فان المحاولة الاخيرة التي قام بها كل من اتلي وبيفن قبل اجتماع مجلس الوزراء لكسب التأييد الامريكي من اجل تسوية سياسية تضمن تامين ممر بري بين مصر وشرق الاردن عن طريق وضع جنوب النقب تحت السيطرة العربية، قد باءت بالفشل نتيجة للموقف الرافض الذي وقفه الرئيس ترومان . فالشعور العام داخل ادارته ان بريطانيا قد قامرت على الحصان الخاسر، وانه من الحكمة الان عدم محاولة كبح جماح الاسرائيليين واحتوائهم بل كسبهم الى المعسكر الانجلو - امريكي وعدم النفور منهم بشكل دائم . هذا كان رأي روبرت لوفت، نائب وزير الخارجية، الذي اضاف : ان اسرائيل ستكون الدولة الاكثر ديناميكية وفاعلية وقوة في الشرق الاوسط . فسياسة امريكا الجديدة في الشرق الاوسط كان يمكن تلخيصها بعبارتين اثنتين : اولهما انه يجب تقليص الخسائر البريطانية في فلسطين ، وثانيهما تقبل اسرائيل بشكلها الحالي . فبريطانيا لم تعد تملك، كما في السابق، الوسائل او المصادر العسكرية للسيطرة الذاتية على الشرق الاوسط ككل . اما في حالة لجوء بريطانيا الى التصرف بشكل انفرادي فان عليها الاهمية الكبرى التي يعنيها الحظي بالرضاء والتعاون الامريكي في الشرق الاوسط وباقي مناطق العالم . من المهم عدم نسيان هذا الشيء حتى في لحظات الغضب الشديد وحتى عندما يكون اليهود شريرين جدا، والامريكيون ساخطين جدا . والاستهانة بالافكار البريطانية ليس جديدا على الرئيس ترومان ولكن الحقيقة تبقى انه طالما بقيت امريكا قوة عظمى، وطالما انها ليست طرفا في حرب كبيرة فان الذي يتحدى اليهود بشكل غير مباشر امريكا. "وعلى ضوء رفض ترومان للتعاون مع بريطانيا في نزع النقب من الدولة

Digitized by Birzeit University Library

اليهودية، فان الخيار الوحيد المتبقي امام بريطانيا هو ان تحارب وحيدة من اجل النقب، الا ان هذا الطرح غير واقعي "لان الرأي العام هنا لن يقف مساندا" . وباختصار شديد، فان السياسة التقليدية البريطانية في الشرق الاوسط قد وصلت الى طريق مسدود، فقد تحولت الى سياسة عديمة الفائدة في الوقت الذي سكتت فيه المدافع، الا انه لم يكن من السهل اقناع بيفن بقبول هذه الحقائق غير المستساغة . فبالرغم من انه كان يشدد دائما على الحاجة الى تعاون انجلو - امريكي في فلسطين وغيرها، الا انه كان يقصد بالتعاون قبول امريكي غير مشروط لوجهة النظر البريطانية . ففي مسودة رسالة موجهة الى السفير البريطاني في واشنطن، صاغها وهو في حالة مزاجية سيئة بعد احداث الاسبوع الاخير من عام ١٩٤٨ والاسبوع الاول من ١٩٤٩ كتب يصور الموقف الامريكي قائلا : دع اسرائيل تحيا، ومن شاء بعدها فليذهب الى الجحيم : واضاف أيضا " سلام باي ثمن وتوسع يهودي مهما كانت النتائج" . على صعيد اخر كان بيفن يميل الى الاعتقاد ان فرص الروس في التأثير على الدولة اليهودية لا تزال كبيرة بسبب الدعم القوي الذي قدمه السوفييت على المستوى الدولي، ناهيك عن الاعداد الكبيرة من اليهود الذين قدموا الى الدولة الجديدة من اوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي هذا بالاضافة الى ارساليات الاسلحة من الكتلة الشرقية . ولكنه اقر اي بيفن، ان هناك تأثيرا امريكيا يدفع في الاتجاه الاخر، ولهذا السبب لم يحاول ان يقف حجر عثرة في وجه الجهود التي تبذلها امريكا لربط اسرائيل بعلاقة حميمة مع الغرب .

اما العلاقات بين بريطانيا والدول العربية، فقد اعيد النظر فيها على ضوء النتائج العسكرية والسياسية الاخيرة . الا ان ثبت ان بريطانيا لا تستطيع الاستغناء عن الدول العربية لانها تبقى الدعامة الاساسية للنفوذ البريطاني في الشرق الاوسط . هذه النتيجة اكدها السير اورم سارجنت : "يجب علينا بالرغم من كل مواطن الضعف التي تكمن في هذه الاقطار بذل كل شيء ممكن لاستمرار بقاء الانظمة في الاقطار العربية المختلفة، لان زوالها يعني قيام دكتاتوريات تعادي الانجليز بقوة، ومضطرة في نفس الوقت للاعتماد على الروس حتى تضمن بقاءها" . ففي اعقاب حرب فلسطين ازداد التيار الراديكالي المعادي للغرب صلابة وشرع يهدد الانظمة القديمة المتحالفة مع فرنسا وبريطانيا . أما اسرائيل، فقد اثرت بشكل مقصود أو غير مقصود تاثيرا يبعث على عدم الاستقرار في المنطقة، مما دفع بريطانيا الى مضاعفة جهودها من اجل حماية الانظمة العربية القديمة والبحث عن اطار جديد خارج نطاق الجامعة العربية المفلسة، وذلك للتصدي للمؤامرات الداخلية والتجاوزات السوفييتية .

وبالرغم من ان البريطانيين لم يروضوا انفسهم قط لتقبل دولة يهودية كصورة جغرافية ثابتة في تضاريس الشرق الاوسط ولكنهم حثوا حلفائهم العرب على الاذعان للامر الواقع . فبعد رفض مشروع التقسيم لعام ١٩٤٧ وشن حرب غير ناجحة لافشاله عاد الساسة العرب يطالبون بالمشروع نفسه كقاعدة للتسوية حيث بذل العراق، بالمقارنة مع الدول العربية الاخرى، جهدا كبيرا لارجاع عقارب الساعة الى الوراء خاصة عندما بدأت محادثات الهدنة في رودس تحت رعاية الامم المتحدة في كانون ثاني ١٩٤٩ . وفي النهاية وبفضل الجهود التي بذلتها بريطانيا لاضعاف موقف العراق ودفعه للتخلي عن مهمته، وقعت مصر، لبنان، شرق الاردن وسوريا كل على انفراد اتفاقيات هدنة مع اسرائيل، في حين ار غم العراق على البقاء بعيدا. في المقابل كانت

Digitized by Birzeit University Library

بريطانيا تأمل في الحصول على شيئين : انهاء الاعمال العدائية في فلسطين، وضم حصة الاسد من فلسطين العربية الى شرق الاردن .

لكن وبينما كانت محادثات الهدنة مستمرة ، بدأ لواءان اسرائيليان في مطلع اذار بالتحرك جنوبا نحو ايلات، حيث انطلق احدها من بئر السبع والثاني تحرك على طول الحدود مع شرق الاردن، وذلك لتأمين سيطرة اسرائيل على الجزء الجنوبي من النقب ومخرج على البحر الاحمر . اثر ذلك سارعت الحكومة البريطانية الى ارسال مذكرة احتجاج بهذا الخصوص الى الحكومة الاسرائيلية لتتلقى عليها جوابا مفاده ان تحركات القوات حدثت داخل اراضي اسرائيلية . وان حكومة شرق الاردن لا تملك حق المراقب في هذه المنطقة التي تشكل ما يسمى بمثلث النقب . من جهة اخرى قام الانجليز بتعزيز قواتهم المرابطة في العقبة، ولكنهم لم يتقدموا خطوة واحدة لمنع احتلال اسرائيلي كامل للنقب . وفي رسالة شخصية الى كيرك برايد، كتب بيفن يعبر عن سخطه لان بريطانيا لم ترد بالقوة الكافية على هذا العدوان الاخير، ثم اضاف معترفا بعجزه انه حتى لو تدخلت بريطانيا عسكريا في فلسطين فان هذا لن يثني الاسرائيليين عن الوصول الى خليج العقبة، ناهيك عن ان وقوف الامريكيين، "الكمنولث" او حتى الشعب البريطاني الى جانبهم في حال لجوئهم الى القوة هو شيء غير مضمون .

كثيرون من السياسيين الاسرائيليين والكتاب الموالين لهم يصرون على الاعتقاد ان بعض الدول العربية، وخاصة الاردن كانت ترغب في عقد سلام مع الاسرائيليين في عام ١٩٤٩ . الا ان بريطانيا لم تشجع على ذلك . فصانعوا السياسة البريطانية، كما اصبح معروفا، كانوا متخوفين من اي سلام عربي - اسرائيلي قد يؤدي بالدول العربية الى ان تصبح اقل ولاء للغرب . وقد ذهب بعضهم الى ابعد من ذلك . فقد ادعوا ان بريطانيا لعبت على اساس اذكاء نار العداوة بين العرب واليهود من اجل نقل مصالحها الاقتصادية والعسكرية من السويس الى الخليج العربي .

أما الوثائق الرسمية البريطانية فلا تشير الى اي معارضة مبدئية لمباحثات مباشرة بين عبدالله واسرائيل، فهم بريطانيا الوحيد كان ضمان المصالح البريطانية في المنطقة في اية اتفاقية بين الطرفين . عوضا عن ذلك فان بريطانيا كانت تخشى ان تستغل اسرائيل تفوقها العسكري بالاضافة الى ضعف الفيلق العربي لتقوم باملاء شروطها على عبدالله، وهو ما حصل فعلا في مباحثات الهدنة . فعشية بدء المفاوضات كانت بريطانيا لا تزال تأمل في حرمان الاسرائيليين من النقب بالوسائل السياسية ومن ثم ضمه او جزء منه الى مملكة عبدالله - طبعا بموافقة مصر - . ولكن كما رأينا، فان بريطانيا وحتى منتصف اذار كانت قد فقدت كل امل في تحقيق هذه الامنية. فالتهديد الاسرائيلي بمهاجمة الفيلق العربي لم يختف حتى بعد توقيع اتفاقيات الهدنة بين اسرائيل وشرق الاردن . بتاريخ ٣ نيسان وبالرغم من ذلك رفضت بريطانيا وبحزم تزويد الفيلق العربي بالسلاح خلافا لقرار مجلس الامن الصادر بتاريخ ١٩٤٨/٥/٢٩، كما رفضت التماسا شرق اردني لتوسيع المعاهدة الانجلو شرق اردنية لتشمل المناطق التي احتلتها شرق الاردن في وسط فلسطين . واقع الامر ان بريطانيا لم تكن تملك القدرة العملية "على الارض" لدعم شرق الاردن في مواجهة عسكرية كبيرة مع اسرائيل . حتى ولو كان الغطاء السياسي لذلك متوفر، ولذلك لم تحاول اعاقة عبدالله عن الجري وراء ضالته المنشودة والوصول الى تسوية سلمية مع اسرائيل . فالادعاء القائل ان بريطانيا هي التي اعاقت عملية السلام العربي

Digitized by Birzeit University Library

- الاسرائيلي في العام ١٩٤٨ هو، وبفرق بسيط اقل تبريرا من الادعاء القائل ان بريطانيا هي التي اشعلت عن عمد حرب ١٩٤٨ بين العرب واليهود.

حتى أيار ١٩٤٨ حصل تغير ملحوظ في السياسة البريطانية معطيا الفرصة لتطور تدريجي في العلاقات الانجلو - اسرائيلية . اسباب عدة كانت تقف وراء ذلك : اولها مخاطرة الاشتراك في الاعمال العسكرية ضد اسرائيل ضمن شروط المعاهدة الانجلو - شرق اردنية . وللقضاء على هذه المخاطر او تقليصها اعطت بريطانيا مباركتها لمحادثات السلام بين عبدالله واسرائيل . ثانيا تخلصها من ورطة الوطن القومي اليهودي ووعد بلفور، فالبريطانيون كانوا يرغبون في تثبيت مواقعهم في العالم العربي، هذه المواقع التي اصبحت عشية حرب فلسطين في امس الحاجة لتعزيزها. فتخلصهم من المسألة الفلسطينية وابعاد الانظار عنها يعني اعطاء بريطانيا فرصة افضل للتركيز على مصالحها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية في اماكن اخرى . ثالثا بما ان اسرائيل ظهرت بعد حرب فلسطين كاقوى قوة عسكرية في الشرق الاوسط . لم يبق امام بريطانيا مجال سوى التعاون مع الاسرائيليين لاحتواء اي اندفاعات سوفييتية في المنطقة .

سياسة بريطانيا الجديدة هذه اوضحها بيفن في رسالة طويلة وجهها الى ممثلي بريطانيا في العالم العربي : "هدفنا الاساسي هو الاحتفاظ بعلاقة حميمة وقلبية مع كل الدول في الشرق الاوسط، بما فيها الدول العربية واسرائيل، بحيث يمكن ضمهم رسميا الى مجموع الدول العربية المعارضة للسياسة العدوانية للاتحاد السوفييتي، وحتى يكونوا متعاونين فيما بينهم لدفع عجلة الاستقرار والازدهار في الشرق الاوسط ككل الى الأمام.

علاقات بريطانية مع اسرائيل استمرت في التحسن في اعقاب الحرب العربية - الاسرائيلية بينما تدهورت العلاقات بشكل تدريجي بين بريطانيا ومصر - دعامة الامبراطورية البريطانية في الشرق الاوسط سابقا - . وبعدها ب ٦ سنوات اشتركت بريطانيا ليس في مؤامرة مزعومة الى جانب العرب ضد اليهود، كما كان يحصل، ولكن في حرب حقيقية الى جانب اسرائيل ضد مصر . وهكذا دارت عجلة السياسة البريطانية ١٨٠ درجة.

Digitized by Birzeit University Library

القصة القصيرة في الاراضي الفلسطينية المحتلة (١٩٦٧ - ١٩٨٨)

بقلم: ابراهيم جوهر

لقد سبق الشعر القصة القصيرة في التعبير عن هموم الوطن والمواطن، وان كانا، الشعر والقصة، الجوادين اللذين حملا هذه الهموم ونقلاها الى آفاق أرحب، وكونا جيلا من القراء يلتف حولهما.

وفي هذه المداخلة السريعة، قمت في القسم الأول منها باستعراض تاريخي لبداية القصة القصيرة وما رافقها من قلة التجربة والمراس. وفي القسم الثاني، استعرضت بكثير من الايجاز الموضوع الهام في المضامين القصصية وهو الأرض التي تتعرض للمصادرة. اما في القسم الثالث فقد قرأت عددا من النماذج القصصية على امتداد عشر سنوات في محاولة للوقوف على المستوى الفني ومستوى نضج الطرح والمعالجة الاجتماعية والسياسية للموضوع المطروق.

البدايـــة

بدأت القصة القصيرة في الأراضي المحتلة عام (١٩٦٧) بدايات خجولة ومتواضعة، بعد أن سبقها الشعر في الوصول الى "السنة" القراء، وليس الى عقولهم. بسبب الدور الذي لعبته الصحف السياسية اليومية بتخصيصها صفحة أسبوعية للادب والثقافة بشكل عام.

لم ينطلق كاتبنا المحلي من أرضية صلبة، تمنحه الثقة والأفق الذي يمنع وقوعه في أخطاء البدايات وعيوبها الاولية البسيطة، بفعل عدة عوامل سياسية واقتصادية وذاتية، واذا كان الاحتلال السبب الأول في تقطيع التواصل الثقافي، فان العامل الذاتي لدى الكتاب أنفسهم يتحمل دورا كبيرا ومسؤولية ليست بسيطة في ذلك.

Digitized by Birzeit University Library

وعلى الرغم من وجود الاحتلال، على اختلاف وجوهه وأشكاله القمعية، الا أن القصص التي بدأت تنشر في " البيادر" سنة ١٩٧٦ وما بعدها، لم تعكس هذا الواقع عكسا جماليا ابداعيا، بل استمر " الاتجاه الاجتماعي الفردي"، الذي كان وصله الأدب العربي في مصر بالذات، في التأثير على أساليب كتاب القصة ومضامينهم الادبية وموضوعاتهم الفنية.

وقد وصل الأمر الى صياغة قصص ترد على طرح مضامين معينة تجاه قضايا اجتماعية، لها علاقة كبيرة في مستوى التقدم أو التأخر النسبي في قياس الأمور، واختلاف الأنماط المعيشية والتربوية - وذلك فيما يتعلق بقضايا الزواج والبنات والحب والجنس (مفيد دويكات وزياد حواري في قصتيهما بهذا الشأن في الأعداد الأولى من البيادر)، ثم قصة زياد حواري الطويلة "بنت من البنات" كذلك مجموعة عبدالله تايه "من يدق الباب ؟".

عولجت هذه المضامين والموضوعات بشكل سائج وبرؤيا محدودة اذا ما قست الأمور بنسبتها للواقع السياسي والاجتماعي المتغير. فعلى الرغم من أهمية هذه الموضوعات، الا أنها لا تشكل الموضوعات القيمة، التي يجب التركيز عليها !. ولكنها البدايات المبشرة.

استمر كاتبنا المحلي، دون يأس، في محاولات تطوير ذاته وتحسين أسلوبه وتطوير مضامينه الفنية، حتى استطاعت أحيانا كثيرة الاقتراب من الواقع وملامسته بشكل فني متطور ونسبي أحيانا أخرى.

ونستطيع أن نستشف هذا التطور من خلال مقارنة المضامين الفنية في المجموعتين القصصيتين المشتركتين الصادرتين في الأراضي المحتلة.

يفصل بين تاريخ صدور المجموعتين المشتركتين أربع سنوات وعدة متغيرات أساسية أثرت على الساحة الفلسطينية والعربية، ولا يبرز تمثل حقيقي لهذه المتغيرات، سوى النضوج الفني ذاته الذي رافق المجموعة الثانية (١٩٨١).

فاذا كانت المجموعة الأولى (١٩٧٧) قد ترافقت وسرعة التحضير والاختيار وسطحية المعالجة وسذاجة الطرح الفني والأحداث غير المبررة فنيا في بعض القصص التي ضمتها، بالاضافة الى بعض العيوب التقنية الأخرى، فان المجموعة الثانية قد تجاوزت هذه العيوب ولفظتها لتصل الى عمق القضية واستيعاب الاشكال النضالية المختلفة في التصدي للاحتلال والصدام معه وتمثيل ذلك فنيا وسياسيا، اذ اقتربت من أرض الواقع الفني خطوات كبيرة، بشكل عام. ويلحظ القارىء والناقد للمجموعة الثانية أيضا، المستوى المتقدم من امتلاك أدوات التعبير وجلو الشخصية من داخلها وتصاعد الحدث بشكل بعيد عن التسرع في الوصول الى النهاية . ان العالم القصصي هنا أرحب وأجمل وأمتع. وفي المجموعة أيضا يظهر التمثل الحقيقي لدلالة "الأرض" مثلا، والانسان كواقع ورمز، كما يتضح البعد الحقيقي في الاتصال الحميم بها والدفاع عنها والتنبؤ بما سيحل بها . في حين كانت "الأرض" في المجموعة الاولى تدخل في نطاق "الموضوع" اصبحت في المجموعة الثانية تدخل في نطاق المضمون.

ولأن القارىء متعطش لهذا الجنس من الأدب (القصة) من ناحية، ولأن مجال النشر أصبح متوفرا من ناحية، ولأن الكتاب لا يملكون الخبرة ولا الثقافة الفنية والأدبية المؤهلة، ولأنهم يحرصون على مد القارىء والمجلة بالمزيد من القصص، راحوا يكثرون من نشر

Digitized by Birzeit University Library

القصص وتأليفها غير واعين أن هذا يكون على حساب المضامين والموضوعات التي تعالجها هذه القصص.

واستمر هذا الحال الى أن صدرت مجلة "الكاتب"، حيث راحت تضع شروطا فنية صارمة لما ينشر على صفحاتها، فبدأنا نقرأ قصصا ذات مضامين انسانية تنحاز الى المستقبل بشكل واع غير ممجوج ولا سطحي، كما أضحت القصص التي تعالج القضية الوطنية أنضج فنيا وفكريا.

ولعل أسباب ذلك تعود الى النضج الفني الذي وصل اليه الكتاب بعد تجريبهم مدة ثلاث سنوات (١٩٧٦ - ١٩٧٩) مما أكسبهم خبرة أغنت أساليبهم وعمقت مضامينهم، اضافة الى قراءاتهم ومطالعاتهم المتنوعة، اذ بدأت دور النشر بنشر ما يصل اليها من كتب أدبية وسياسية وثقافية عامة وبالذات دار نشر صلاح الدين في مدينة القدس. كما لعب النقد الذي بدأ يكتبه الكتاب أنفسهم دورا في انارة وعي الكاتب والقارىء على السواء، على الرغم من تواضع المقالات النقدية التي أحجم أصحابها عن الاستمرار في كتابتها، وفي هذا المجال أذكر مقالات "أبو نضال" في مجلة البيادر التي أسهمت في تنشيط الحركة النقدية.

لقد طرح الكتاب القصصيون عددا من الموضوعات التي شكلت مضامين ذات رؤية واضحة لا يشوبها الغبار، وكان هؤلاء في أغلبهم ممن ينطلقون من رؤيا علمية لحركة الصراع الدائر في الوطن والعالم على حد سواء، فجاءت نهايات قصصهم ومضامينهم النهائية منحازة للمستقبل بشكل مقنع غير مجتزأ، نابع من انحياز للمستقبل في الحياة والفن.

"المضمون" في العمل الأدبي، جماع موضوعات مختلفة متعددة تشكل رؤيا نهائية (زبدة)، وهو (أي المضمون) أعم وأشمل من الموضوع، الذي هو جزئي، ولكنه أساسي.

والكاتب المحلي، يسعى جادا (ينوي) الى تسخير "الأرض - الوطن" مضمونا، ولكنه يبتعد عما ابتدأ به من عزم ونية، فيتوه ويضيع، أحيانا كثيرة، بسبب التداعي والتوالد وتيار الوعي، ويخرج الى نطاق الموضوع الجزئي دون تحديد واضح، وذلك يفسره عدم الامتلاك الواعي للادوات الفنية، وعدم القدرة على التعبير عن "التجربة الفلسطينية" بخصوصيتها وافرازاتها الذاتية. - هذا ما يظهر في البدايات التي تمثلها المجموعة المشتركة الاولى والمجموعات الخاصة (الأولى) لكل قاص، والمجموعات الجديدة للكتاب الشبان أيضا.

ان التعامل مع المواضيع في الحياة فنيا، يتولد نتيجة تراكم التجارب والخبرات السابقة للانسان ذاته أو المجتمع نفسه، أو نتيجة تراكم الفعل الانساني مع الزمن والتاريخ، حيث تكتسب الأشياء مدلولاتها الانسانية المحددة. ولكن العملية الابداعية تسخر هذه المعاني والدلالات لخدمة مضمونها النهائي العام في اطار واضح من تجربة كاتبها الخاصة والتجربة الخاصة، أيضا، للشعب الذي ينتمي اليه والوطن الذي يحضنه.

لم يبخل كاتبنا المحلي بالعمل من أجل التغلب على الواقع المرير والانتصار عليه وتطويعه لخدمة مضامينه السياسية والاجتماعية العامة، فلم يدخر وسعا أمكنه لطرح مجمل القضايا الاساسية واليومية والعادية، التي رأى فيها أي امكانية لانارة وعي شعبه ومساعدته على الثبات والصمود ومحاربة الاقتلاع والتهجير. ولكن التعبير عن هذه الموضوعات، جاء بطرق مختلفة وأساليب متعددة، نجح بعضها ولم ينجح، فنيا، أكثرها.

ان الحياة هي الفعل، كما تنادي الواقعية الجديدة، ولكن انعكاس ذلك بشكل خلاق وعملي مبدع في قصتنا الملحية، ما زال غير كامل.

Digitized by Birzeit University Library

أحيانا كثيرة أسقط الكاتب أراءه الاجتماعية والسياسية على شخصياته وأجبرها على تقمص الأدوار التي خلقها لها، فبدت تعرج وتبطىء في مسيرها، حتى أنها استحقت الشفقة احيانا، والعذر والتسامح أحيانا اخرى، في حين أن المطلوب، فنيا وثوريا، رسم شخصيات حية، متحركة، وفاعلة، مستقلة لا تكون "بوق أفكار" جاهزة، لأن "الشخصية الروائية أو المسرحية التي لا يظهر منها سوى فم يبشر بالآراء والأفكار والمبادىء المنسقة المتناسقة ليست شخصية واقعية من لحم ودم، بل هي نمط مثالي مصنوع من أفكار جاهزة لا علاقة لها بالواقع التناقضي الحي ولا بطابع الشخصية الحية، الفريدة، المتميزة، في الأدب" - محمد دكروب، الأدب الجديد والثورة، ص٢٣ -

ومع ذلك، فان الأمل يحدونا، بزيادة الاضافات النوعية الفنية المستقلة من قبل كتابنا، الذين تمرسوا في أرض الواقع والفن القصصي. فليس الفن مجرد تسجيل حرفي للواقع، ولا تنفع معه النوايا الطيبة، بل "ان الفن الأصيل هو دائما عملية اكتشاف، وهو دائما اضافة جديدة لما سبق". - محمد دكروب، الأدب الجديد والثورة، ص٨٣ -

ولكن، ما مدى تأثير قصتنا المحلية على قارئنا المحلي ؟!

الأجابة ليست في صالح الكاتب ولا القصة. وهذا عائد الى كون "الفن نشاط انساني - كما يقول ليون تولستوي - يقوم في كون انسان ما ينقل للآخرين بصورة واعية وبواسطة اشارات ظاهرية معروفة المشاعر التي يحسها فتنتقل عدوى هذه المشاعر الى الآخرين وينفعلون بها." دون تداخل هذه المشاعر والأحاسيس واختلاطها بشكل ضبابي غير محدد، يعزز اغتراب القارىء من خلال اغتراب الشخصية ذاتها.

يجب أن ننتقد الفرد المغترب، العاجز، المحبط ونضع البديل لانارة وعي النموذج الذي نريد تحسين وضعه، ويجب أن ينطلق الكاتب من معاناة أصيلة وتجربة صادقة، فالفن مسؤولية! فالفن الصادق "الفن الأصيل، هو دائما ، انساني النزعة، يتجه الى التقدم باتجاه الثورة."

اننا نحكم على مدى نجاح القصة، انطلاقا من طريقة القاص - أسلوبه "خاصة اذا تمكن من طرح كافة الاضافات والزيادات التي لا تخدم العرض والنمو القصصي، لأن التواصل مع القارىء يتوقف على هذه الطريقة ومدى انسجامها فنيا". (د. احمد أبو مطر، الكاتب عدد ٢٨).

أستطيع أن أقرر من خلال استعراضي لأكثر من مجموعة قصصية ولعدد من القصص، أن القصةالقصيرة عندنا لم تستوعب الأحداث، على اختلافها، التي تدور على الساحة الفلسطينية عامة، كما ينقصها الأفق الابداعي الواسع، بشكل عام. فالقصة عندنا تسير خلف الأحداث، ولا توازيها أو تسبقها . والأديب بالنتيجة "لم يمارس كل أبعاد دوره الفاعل"، بل يقوم أمامه في كل يوم جديد مهام جديدة، ويوجد لديه ما يقوله من جديد.

xxxxxxx

الأرض في القصة القصيرة المحلية

انضم الكاتب المحلي الى جموع الشعب القائلين بأن الأرض تساوي الحياة، والانسان بلا أرضه لا معنى لوجوده ولا قيمة له. واذا كان مثلنا الشعبي القائل "معك قرش تساوي قرش" يعبر عن أهمية المادة للانسان ويقيس قيمته بها، فان الكاتب قد حول هذا القول الجائر الى قول - مثل آخر : "عندك أرض تستحق الحياة، أما لا فلا".

وفي هذا المعنى يقول القاص جمال بنورة :

Digitized by Birzeit University Library

"... وهو أيضا بدون أرضه لا يساوي شيئا، ولا يمكن أن يتحقق وجوده في مكان آخر... ان قدره أن يعيش فوق هذه الأرض مكافحا في سبيل الحفاظ عليها، وليس له قدر آخر." (مجموعة الشيء المفقود - ص٤٣).

لا يكتفي الكاتب هنا بالعيش فوق الأرض والدعوة الى ذلك - بل ينوه بضرورة الحفاظ عليها - لأنها حياته وهو بدونها لا يساوي شيئا

والأرض للفلسطيني هنا تعني الماضي والحاضر والمستقبل، وهي كل شيء، "كان الموقف أصعب من أن يفهمه أبو محمود وأثقل من أن يتحمله . قال: انها قريتي، قبري، قبور أهلي وأجدادي، يجب أن أعرف ماذا يحدث .." (أكرم هنية - تلك القرية) فحتى الأموات لم يستطيعوا تحمل المصادرة واقتلاع الأشجار المثمرة.

والأرض تعادل الجسد - كما أثبت ذلك المدافعون عن أرضهم: "... وعدت أفكر بابراهيم الأقرع، ترى بماذا كان يشعر في تلك اللحظة بالذات عندما انطلق ليمنع الجرافات التي يحرسها الجنود من العمل في أرضه . لا بد أنه شعر أن الجرافات وهي تطبق بفكها الوحشي على التراب انما تمزقه هو . لا بد أنه شعر أن عمرا كاملا يتم شطبه . ان قصة حب طويلة بينه وبين أرضه يتم اغتيالها . ان مخزونا هائلا من الذكريات والتفاصيل الصغيرة والحميمة يتم تدميره" (اكرم هنيه - قصة يوم قتل ابراهيم الاقرع). هذا ما أراد الكاتب أن يثبته : ان الأرض تساوي الانسان ذاته، فدفاعه عنها دفاع عن ذاته.

النتيجة المنطقية المترتبة على كون الأرض والدفاع عنها وحمايتها يساوي الحياة وتحقيق الذات والوجود، هي كون التخلي عن ذلك يعني الموت الاختياري - الانتحار لذلك حارب الكاتب المحلي ظاهرة الهجرة والسمسرة للسلطات الاسرائيلية وظاهرة ترك الأرض دون زراعة، بل انه أشاد بجهود المتطوعين الذين يستصلحون الأراضي غير المستصلحة ويحمونها من غول الاستيطان . وقد أشار أكثر من كاتب الى هذا الموضوع.

ان الصمود على الأرض والحياة معها وفيها يعني الاحتفاظ بالكرامة والشعور بالسعادة الحقيقية التي لا يعادلها سعادة في الدنيا كلها : "قال له صديقه يوما : هذا ما يريدونه، تفريغ الأرض من أهلها ليسهل لهم الأستيطان والتملك، اذا لم تجد سعادتك في وطنك، فأين ستجدها؟ لن تحس بكرامتك الا في وطنك." (الشيء المفقود، ص ٤١-٤٢).

أما ذلك الذي يجبر على الرحيل فانه يود أن تكتحل عيناه بالأرض وما عليها (محمد أيوب - مجموعة الوحش، قصة الأختيار "السيارة تنهب الارض .. لو أن هذا السائق يبطيء من سرعة السيارة قليلا ! لست متعجلا أريد أن تكتحل عيناي بمرأى الحقول .."

ونتيجة لخصوصية الوضع الفلسطيني، أصبحت الأرض بمثابة الحبيبة والزوجة وكل شيء يقتضي الدفاع عنه . فالمقاتل يقاتل من أجل الأرض والأهل (الوطن) . يقول أكرم هنية : "ولكن الابن واصل حديثه، لقد كان من أشجع الفرسان ... قاتل كما لم يقاتل أحد ... أوصاني بأن انقل لزوجته وابنه أنه يحارب من أجلهم ومن اجل الأرض لا من أجل الزناتي .." (وقائع التغريبة، ص ٧٨).

وفي السجن الصغير، تبدأ الذكريات تنهال على السجين، ويزداد حنينه وحبه للأشياء جميعها، ويبدأ يتذكر أقرب الأشياء الى نفسه:

"تلوح أمام عينيه أطياف الزوجة المنتظرة والابن والاطفال والأرض والعيون المستكينة، يقفز الى النافذة.. تلوح على البعد أشجار وبيوت، يهتف : تلك هي بلادي." (هزيمة الشاطر حسن، ص ٨٩) فالبلاد التي يحبها السجين هي

Digitized by Birzeit University Library

البيوت التي تعني الناس المقيمين فيها، والأشجار التي تتغذى من الارض.

لقد أكدت قصص الكتاب المحليين على أن "كل شيء من أجل الأرض، والأرض تعني كل شيء". فالمبعد أو المهاجر يظل يحن للأرض حنينا ايجابيا ويسعى للعودة. والمقيم يتشبث بكل حبة تراب من أرضه حتى الموت، واذا مات فان دمه يروي أرضه العطشى.

وتتخذ مسألة الدفاع عن الأرض وحمايتها عدة اشكال كلها تصب في صالح الحفاظ عليها وحمايتها والتعلق بها. ومن هذه الأشكال التي عبر عنها الكاتب المحلي ما يلي:

١) العمل في الأرض: فالعمل في الأرض واستغلالها يزيد من العلاقة معها وينميها، لأن نقيض العمل يعني الهجرة وتسهيل عملية الاستيلاء والمصادرة.

٢) العمل التطوعي: الذي يعني اضافة الى مردوده المادي - الانتاجي، تدريب الشبان وتنشئتهم على حب الأرض والعمل فيها.

٣) "أرضنا العطشانة.. نرويها بدمانا":

٤) الحنين والعمل على استرداد الأرض من مغتصبيها.

٥) الأمـــل.

وخلاصة القول، ان كاتبنا المحلي، قد صاغ مقولة متفائلة بالمستقبل، وقد عبر عنها بأكثر من طريقة واحدة، لخصها القاص جمال بنورة بقوله: "ستبقى الأرض لنا - رغم كل شيء - اذا لم نتخل عنها.". كما أن هذا الكاتب لم يبخل بالعمل من أجل التغلب على الواقع الصعب والانتصار عليه، فلم يدخر وسعا أمكنه في طرح القضايا الأساسية التي رأى فيها، مع شعبه، تحقيقا لانتصار الانسان وتفوقا له على الطبيعة العدائية.

xxxxxxx

(٣)
قراءة لنماذج قصصية

١ - قصة "البذرة تتمرد" لمحمد أيوب، من مجموعته "الوحش" الصادرة عن دار الكاتب، سنة ١٩٧٨.

٢ - قصة "الشيخ محمود يشيد تمثالا" لعمر حمش المنشورة في مجلة الكاتب العدد ٤٨، نيسان ١٩٨٤.

٣ - قصة "مجلس العموم" لعبد الكريم سمارة المنشورة في مجلة العودة العدد ١٢٢، سنة ١٩٨٧.

٤ - قصة "مطر، طين، وليل أسود" لوليم فوسكرجيان الذي اصدر مجموعة حملت عنوانها عام ١٩٨٨.

البذرة تتمرد والزهرة تتفتح

يتحدثون عن الحب ويضعون له مراتب ودرجات، ولكن "الحب الحقيقي" هو الذي يمزج - مزجا واعيا - بين حب الوطن وحب المرأة المناضلة. هذا ما احس به الشخصية الرئيسة في قصة "البذرة تتمرد". فهذه المرأة التي رآها في حفل تعارف "لفتت نظره ببساطتها .." ولم يدر .. ".. ربما رآها قبل عشر سنوات وربما لم يرها" ولكن وجهها مألوف ومعروف لديه: انه وجه المرأة المناضلة التي تتمسك بالوطن وتحرص عليه، وعلى أساس هذا الفهم و التحليل فان وجهها يبدو مألوفا، عاديا وان لم يكن بملامحه المميزة وخصوصيته المحددة. ثم تجيء الاشارة الى أنه "ربما رأى هذا الوجه قبل عشر سنوات..."، أي في عام ١٩٦٧ بالتحديد، لأن زمن كتابة القصة هو عام ١٩٧٧م.

من خلال تداعيات داخلية - تيار الوعي - يقترب بطل القصة معنويا من المرأة حاملة

Digitized by Birzeit University Library

خريطة الوطن بألوانها الأربعة . ولأن الموضوع موضوع حب وتوحد حقيقي فقد طغت اللغة الشعرية الشفافة، الموحية على لغة البطل الداخلية - المونولوج - ولكن هذه اللغة لا تأسر الكاتب هنا فتغرقه بالانجرار وراء وقع اللفظة المفردة الموسيقي انما يسخر هذه اللغة من أجل الوصول الى هدفه الذي يريد ايصاله الى القارىء واثباته ضمن مضمون القصة. فهو يرى في الحزن الذي يستقر في قاع عيني هذه المرأة الحزن نفسه الذي انغرست خناجره في عيني زوجته.

ينتقل الكاتب من رمزه العام (الوجه العادي الذي ربما رآه قبل عشر سنوات وربما لم يره) الى التخصيص والتحديد والتوضيح، فيتذكر: "رأيتها هناك، في السوق، في القرية، أمام كشك التموين، في البيارة تعزق الأرض، في المدرسة تعلم الأطفال ..". وبعد ذلك يدعو الكمون والسكون الى التمرد والعطاء . فلكي يزول الحزن من أعماق العيون المناضلة لا بد من التمرد - من هنا يأتي عنوان القصة (البذرة تتمرد) وتأخذ من حب الناس كلهم أرضا ومنطلقا لهذا الحب . فالحب هنا الذي يتوزع على جميع الناس هو المعادل الموضوعي للوطن لدى محمد أيوب . فهو (الكاتب) يجعل من هذا اللقاء مع هذه المرأة وما أثاره في نفسه من مشاعر حافزا له لمراجعة نفسه، وبالتالي وصوله الى قناعة خاصة من أجل تغيير مساره المتعلق "بالحب". فبعد أن تصرف تصرف "وغد" مع حبيبته السابقة يتوصل الى قناعة تقول بأن العيب أن يظل الانسان وغدا الى الأبد، ثم نراه يقرر: "سأزرع الربيع في عيون كل الناس." وهنا يتخلص - مع هذا التحول الأيجابي - من أنانيته ويوجه همه الى المستقبل الذي سيخرج فيه "سعد" (خطيبها) حيث سيهنئها بخروجه . ولكن حديثها عن الحب والرسول الرابع للحب يشجعه على الاقدام .. ولكن ضميره الوطني والانساني يظل يقظا فلا يريد له العودة الى وضع النذالة السابق .. "لن أفعلها لن أكون نذلا حتى ولو كانت هي التي حدثتني عن الرسول الرابع".

وهنا يطيب لي أن أستذكر موقف "القط الأسود" في قصة الأسير المحرر محمد خليل عليان (الحمامة)، حيث كان القط يترصد حركات الحمامة الى أن وقعت بين فكيه وتزوج - الآخر - من خطيبة السجين، فان البطل لدى محمد أيوب يدخل في صراع مع ذاته لأنه لا يريد أن يغدر بالسبع الكامن في أحد آبار السباع في الوطن (السجن). واذا كانت النتيجة لدى القصتين واحدة - كلاهما يتزوج خطيبة السجين - الا أن الكيفية التي تم فيها الزواج مختلفة كليا : فخطيبها السجين هنا أرسل لها رسالة دعاها فيها الى الزواج الذي دعاه "باكمال مشوارهما بالسعادة، والى تذكره - ولو للحظات - لانه دعا لهما بهذه السعادة".

ان هذا "التنازل" عن طيب خاطر وارادة يأتي ليكمل مسيرة التضحية والفداء من أجل الوطن : التضحية التي بدأها خطيبها السجين في بئر السبع الذي ضحى بحريته من أجل حرية الوطن، والفداء والعمل اللذان رأيا - هو وهي - أنهما بزواجهما سيرفدانه من خلال تحقيق السعادة .

وفي هذا المجال، فان سجين محمد أيوب يثبت غيريته ونبذه لأنانيته من أجل سعيه الطبيعي لتحقيق السعادة - له ولخطيبته -، بينما تتجلى أنانية سجين محمد خليل عليان ونرجسيته التي رفض معها زواج خطيبته ممن أرادته لها زوجا.

هذا ما يبدو من خارج القصتين، دون التوغل الى أعماقهما ومضمونهما ...

ولكن مضمون قصة "الحمامة" ينسجم مع موضوعاته وأحداثة الجانبية، لأنه يعالج الأمر من وجهة نظر أخرى مختلفة .

باختصار، لقد نجح الكاتبان في مضمونهما

Digitized by Birzeit University Library

وأحداثهما الخاصة.

لقد اعتمد محمد أيوب على المونولوج اعتمادا كبيرا في هذه القصة، وذلك لأنه لا يريد توسيع الرقعة الجغرافية - المكانية التي تدور فيها أحداثه، واستطاع بذلك أن يحقق هدفه هذا وأن يتوصل الى تغيير في مسار شخصيتيه المركزيتين دون افتعال بل وفق مقدمات مقنعة منطقيا، ويصل الى قمة المضمون الناجح حينما يدفع بطلته الى أن تضع الوردة الحمراء - رمز الحب والثورة والتضحية ...- بين نهديها، عند القلب، حيث كان بدأ القصة التي أورد فيها هذين المكانين - عند القلب بين نهديها - وهما يحتضنان خارطة الوطن بألوانه الأربعة. وهكذا أراد للحب والوطن أن يتعانقا، وهكذا كان

الشيخ محمود يشيد تمثالا - قصة عمر حمش: "حرارة الانفعال" لم تنضج الطبخة "!!

الزميل القاص عمر حمش أحد قصاصينا المحليين الذين يمتلكون لغة خاصة وشخوصا خاصين ومواضيع خاصة. وعندما أتحدث عن "الخصوصية" فانني أقصد الخصوصية الفلسطينية المشبعة بالتجربة الانسانية التي يتم التعبير عنها بدلالات واشارات تلمح وتشير الى القضية التي يدور الحديث عنها سواء كان ذلك من قريب أو بعيد، كل حسب امكاناته الأدبية "الخاصة" أيضا.

المضمون في العمل الأدبي: هو جماع موضوعات مختلفة، تمثل بمجموعها العام هذا الذي نسميه مضمونا. والآن، ما الموضوعات التي شكلت مضمون قصة "الشيخ محمود يشيد تمثالا"؟

الموضوع الأول: ازدحام الشارع الحار بالعربات المختلفة التي تدب في الشارع حركة غير عادية بسبب ارتفاع الحرارة الطبيعية وتلك "العربات الخضراء تطلق صفيرها باستمرار".

الموضوع الثاني: الشيخ محمود نفسه - ماسح الأحذية - الذي يعيش على أمل عودة ابنه "فواز" من الخارج لينتزع بلاط الشارع ويشيد تمثالا ويقضي على البرجوازية ليقيم الحكم الذي يريده، حيث سيتخلص الشيخ من حمل صندوق البوية، ودلالة الاسم (فواز) واضحة المعنى، والتركيز هنا يتم على الصراع الطبقي المحلي.

الموضوع الثالث: ابتعاد الأمل - فواز - واستمرار "زمن الخنازير".

الموضوع الرابع: الزبون غير المتوقع الذي وضع قدمه بحذائه الطويل على خشبة الصندوق، وما تبع ذلك من مونولوج انتهى الى النهاية الطبيعية التي مهدت لها الموضوعات الثلاث السابقة. ولكن ضمن توجه الكاتب الذي أشار الى عملية ابتعاد الأمل (في الموضوع الثالث) واستمرار زمن الخنازير، حيث يشير الى ضرورة الحركة والمبادرة من قلب الحدث والمكان دون الركون الى البعيد الذي يبتعد أكثر مع مرور الزمن.

انها المبادرة المطلوبة - المبادرة الكفاحية، مع نبذ الخنوع والتعلل أو احالة المستقبل وصنعه على "القادم البعيد".

هذا ما يريده الكاتب - وهذا هو مضمون القصة، فقد وظف الكاتب عدة هوامش جانبية لتخدم موضوعاته المختلفة التي تتشابك معا في مضمون واحد واضح ومحدد.

أما فيما يتعلق بالتكنيك القصصي الذي احتوى قصة "الشيخ محمود .." فقد استخدم الكاتب التقنية القصصية الحديثة للقصة، تلك التقنية التي تستفيد من التقنية التقليدية

Digitized by Birzeit University Library

للقصة من سرد وحوار ووصف وتطور درامي وعقدة وحل .. ولكنها لا تطبق هذه الدعائم بحذافيرها، فكما هو معلوم، تطورت تقنية القصة - خصوصا منذ منتصف الستينات - فاصبحت تركز على الجملة القصيرة، المتوترة، الساخنة، الموحية والمقتضبة في الوقت ذاته لتساير تطور العصر وتغيراته الدائمة.

ركز الكاتب على الحديث النفسي الداخلي (المونولوج) مستفيدا في ذلك من ضرورة اضاءة الناحية النفسية الجوانية للشخصية - ويعتبر هذا نجاحا فنيا اذا ما أحسن الكاتب التعامل معه - وهكذا فعل القاص هنا.

بقي أن أقول : ان عمر حمش في هذه القصة يختار مضمونا فكريا وسياسيا عميقا وهاما في الوقت نفسه، ولكنه لم ينضج هذا المضمون على نار هادئة كما يتطلب نقاش الموضوع خارج الاطار الفني القصصي. بمعنى انه لم يقم بجمع خيوط المضمون جميعا في يده ليقوم بالتالي بابرازها امام المشاهد أو القارىء، فقد أفقده التسرع الناتج عن حرارة الموقف والانفعال بالحدث - العمق الطولي، مما يؤثر بالتالي على مدى التأثير والاقناع، فحبذا لو تريث القاص حتى ينضج مضمونه نضوجا أكثر.

ولعل هذه الملاحظة - على أهميتها - لا تنال كثيرا من المستوى الرفيع الذي وصلت اليه هذه القصة، وبالتالي كاتبها. وتشير هذه القصة الى النمو الحاصل في أسلوب الكاتب من الناحية التكنيكية، هذا "النمو" الذي عززه الكاتب في قصصه اللاحقة التي قام بنشرها في مجلة "الكاتب"، حيث نلحظ فيها استمرار الحدث المتوتر والجمل القصيرة الدالة، مع التقاط الحدث اليومي البسيط، العادي من على قارعة الطريق وتغليفه بأسلوب قصصي مميز، وبالتالي تقديمه الى القارىء بنكهة جديدة مليئة بالمعاني والدلالات.

مجلس العموم :

القصة شديدة التكثيف في بعض عباراتها، قصيرة الجمل والصور، حارة التعابير، مشحونة بالايماءات والاختصارات، وقد جاء مضمونها عميقا يمثل قضية هامة تناولها الكاتب بقدرة واقتدار، وعالجها بنجاح دون أن يسقط رأيه الخاص على أحداثها أو شخوصها أو نهايتها بشكل تعسفي مبستر، اذ ظل مجلس العموم العربي منقسما على حاله، موزعا بين ثلاث فئات: الرافضون ، أنصار الاستيعاب، والمرجئة. ولكن المجلس العربي المصغر كان قد اتفق قبل هذا الحال على قضية التوجه لتناول طعام العشاء.

لقد صاغ الكاتب قصته بلغة قوية محبوكة بقدرة عالية على التعامل مع الكلمة الواثقة من نفسها ومن قارئها، لتكون بذلك واحدة من القصص الجديدة التي تكسر الرتابة الكلاسيكية في التعامل مع الاحداث والشخوص والكلمات التي تتفوه بها. ويأتي هذا الواقع الجديد للقصة القصيرة لينساسب الواقع الجديد، اجتماعيا وسياسيا، للقارىء والكاتب على السواء، حيث ظروف الحياة المعقدة و السريعة الشديدة التكثيف.

تبدأ قصة "مجلس العموم" بالتعريف الجماعي بالحي الذي ستجري الأحداث فيه، وبالشخصيتين (المرأة الوافدة والأستاذ المراقب الذي يقطن على مقربة من شباك هذه المرأة).

" حي لا ينام.." هذا هو الحي الذي تجري فيه الأحداث . أما الأستاذ المراقب للأحداث والذي يتابعها ويكتب عنها مترقبا التحرك والذي يظل ينتظر ليرى كيف ستحل السلطة غير الشرعية أزمة شرعية، فانه قد ورث "التيبل لامب" عن أبيه، ولأنه محافظ على التراث ظل يحتفظ به ! وسوف نعرف فيما بعد، أنه رمز للأراء التقليدية

Digitized by Birzeit University Library

القديمة . فالضوء الموروث والأفكار الموروثة هي التي تنير تحرك هذا الأستاذ -باسم المحافظة على تراث المرحوم- وليس واقع الحال الجديد.

لعل هذا يفسر لنا سبب سلبية "الاستاذ" ووقوفه على هامش الأحداث منذ بداية القصة الى حين تلبيته دعوة "أبو سمير" الذي جمع أهل الحي للتشاور في شأن الوافدة الجديدة التي سلبت عقول الشباب وأصبحت مدار حديث الرجال والنساء وجلبت سيارات الشرطة بسبب الاشكالات التي وقعت من "تحت رأسها". وحتى حينما لبى الدعوة فانه لم يطرح رأيا صريحا في أمر الوافدة الجديدة، بل يكتفي بقوله: "رأيي من رأيكم"، وعندما يبدأ أولى خطواته العملية الايجابية - حيث يسهم في حل الأزمة الناشبة في الحي، سرعان ما يتراجع ولا يسمع له رأي.

قسم الكاتب قصته الى قسمين، يلحظ القارىء حدة الانتقال من قسم الى آخر ولكن دون تعسف، اذ يجيء الانتقال طبيعيا، عاديا، بل ضروريا ليكمل أحداث القصة ويضيء جوانبها التي تظل غامضة حتى تضيئها وضوحا آخر جملة انتهت القصة معها: ".... ظل الأحمر الخافت ينبعث من النافذة، وتواصلت مؤتمرات مجلس العموم الذي تنازعته ثلاث كتل.

يبدأ الطابق الأول من عمارة القصة من الجملة الأولى التي يحدد فيها موقع الحي الذي لا ينام . ثم ينتقل الى وصف " البروفات الأولى" من التغير الاجتماعي الذي حصل على هذا الحي ويشير الى السجائر غير البريئة التي ينفث دخانها الشباب وانقسام أهل الحي بين مؤيد ومعارض لهذه التغيرات التي جعلت الشباب يتقاذفون بعلب البيرة الفارغة ويتلصصون على ما تخفيه الستارة الوردية، حيث يأخذ كل نصف من نصفي أهل الحي بالجذب باتجاهه الخاص الذي يؤيده.

ويستمر وضع الجذب هذا، لتبرز ثقافة جديدة واتجاهات جديدة، بينما تشارك النساء في هذا الواقع الجديد، اذ يأخذ أكثرهن وضعا لا مباليا حين تقسم أكثر من زوجة على منع زوجها من الخروج، وكأن الأمر لا يعنيهن وهن اللواتي أبدين تخوفا في وقت لاحق من هذه الوافدة الجديدة.

لقد تناول الكاتب قضية هامة من حياتنا الاجتماعية والسياسية، يتعدى فهمها وأثرها الشعور الأولي الساذج الذي قد يصل الى القارىء . وأستطيع أن ألخص مضمون القصة بجملة واحدة أرادها الكاتب حيث وظف مجموعة من المواضيع لتخدم هذا المضمون ولتوصله بوضوح ...: الاختلاف و عدم التوحد والوحدة، يوصلان الى الضياع والهاوية واستمرار عجلة التخلف.

مطر ، طين وليل أسود :

يميل الكاتب في هذه القصة الى تصوير الجانب الاستاتيكي الثابت غير النامي في حياة المخيم. وهنا يصح أن نحاكم هذه القصة محاكمة فكرية واجتماعية - سياسية.

ان بطل القصة كما يتضح من سلوكه، عاجز، حائر، متردد لا يعرف ما يريد وهو اضافة الى ذلك حزين "الحزن يتسلل كالعادة الى جسده المترهل عبر بوابته القديمة ونوافذه الضيقة وجهاته الهزيلة الأربعة" ص ٦١، تراوده أحلام وأفكار بأنه سيلتقي مع الرفاق... ونعتقد هنا أنهم يخططون لعمل "شيء ما" ولا ندري طبيعة هذا الشيء الذي سيعمله محمد شاهين مع رفاقه في المقهى .... ونتبين فيما بعد أنه ما زال جالسا في غرفته وعقارب الساعة أمامه تسير ببطء شديد ليعود يتأمل غرفته الوحيدة في المخيم.

Digitized by Birzeit University Library

وتنتهي القصة بوصف المخيم :"شوارع المخيم ضيقة كالعادة، باردة حتى الموت كالعادة، المطر الساقط من السماء يعوي كالكلاب المسعورة كالعادة، عيناه وقدماه تغذان الخطى كالعادة ... يدس يديه في جيوب البالطو الرخيص الذي يلف جسده من الجهات الأربعة وخطواته تشق الظلام عبر طرقات المخيم الضيقة المليئة بالمطر والطين والليل الأسود كالعادة .. كالعادة ... كالعادة" ص ٦٤ .

ان هذا التصوير لواقع المخيم مع الاصرار على لفظة "كالعادة" هو ما يشير الى الفعل الأستاتيكي الثابت، وان كان محمد شاهين قد سار وسط هذا الجو .

ان هذه القصة للزميل وليم، واحدة من القصص التي تحتاج الى مزيد من المعالجة والأختمار وتحديد الأفق والغاية .

٣٣٥ مفكرا وجامعيا وباحثا فرنسيا يطالبون بفتح جامعات فلسطين المحتلة

القدس- وقع ٣٣٥ من الجامعيين والباحثين والمفكرين الفرنسيين عريضة تطلب من السلطات الاسرائيلية فتح المؤسسات الجامعية المغلقة في فلسطين المحتلة منذ أكثر من سنة.

وعلم ان العريضة الموجهة الى وزير الدفاع الاسرائيلي، اسحاق رابين، جرى تسليمها من قبل مدير البحوث في المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي، بول كيسلير، الى نائبة حزب "العمل" اورا نمير.

وجاء في العريضة، التي وقعها بشكل خاص جائزة "نوبل" للطب البروفسور فرنسوا جاكوب وعالم الرياضيات لوران شفارتز واستاذ الطب الكسندر مينكوفسكي والمؤرخ بيار فيدال ناكيه: "اننا نطلب التعجيل باعادة فتح المؤسسات الجامعية باسم الحق في الثقافة والتربية".

واوضح بول كيسلير ان مجلس ادارة جامعة بروكسل بعث، هو الآخر، برسالة الة وزير "الأمن" الاسرائيلي يستنكر فيها "الضرر الثقافي والعلمي الخطير للغايةط الذي يتسبب فيه اغلاق جامعات الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين.

ويذكر ان جامعات فلسطين المحتلة اغلقت في أواخر سنة ١٩٨٧ مباشرة بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية.

Digitized by Birzeit University Library

أبنية الصور الشعرية في "مقاليع" (١)

د. الهام أبو غزالة
جامعة بيرزيت

١ . مقدمة: سوف أقوم، في دراستي هذه لأبنية الصور الشعرية في قصائد "مقاليع" بافتراض المنطلقات التالية:

أ- ان الشاعر يقدم لنا أفكاره على شكل قصيدة- وليس مقالا أو قصة أو بحثا علميا..الخ- من أجل أن يترك لدينا تأثيرا حسيا مكثفا لما يريد أن يقوله لنا.

ب- ان الشاعر، من أجل أن يفعل ذلك، يقوم بتحويل معايشاته الحياتية- التي من المفروض ان لا تتنافى مع معايشاتنا (٢) والا لما استجبنا لها- يقوم بتحويل هذه المعايشات اليومية الى رؤى مجردة، ليقدمها لنا في النهاية على شكل صور حسية(٣) تثير فينا ابعادا مختلفة لهذه المعايشات وتضعها امامنا بأشكال جديدة.

ت- انه، كلما كان التجريد عند الشاعر اعلى، وكلما كانت الصور الحسية التي يستخدمها محتوية على أكبر قدر من عناصر التجريد، كلما استطاع ان يحدث فينا التأثير الأكبر.

ث- انه، من أجل ان يحدث الشاعر فينا التأثير المرجو، يقوم باستخدام اللغة استخداما يبتعد عن العادي الذي نستعمله نحن في حياتنا اليومية.

ج- ان استخدام اللغة غير العادي هذا- مما درس بعض أشكاله علم البلاغة- يكون في سبيل رسم الصورة التي يريد الشاعر ان يقدم لنا أفكاره من خلالها.

ح- ان الشاعر، وان كان يرسم الخطوط العامة لصور قصيدته في البدء، الا أنه، من أجل ان يقدمها لنا، يقوم على بناء هذه الصور وتركيبها مستخدماادوات اللغة المعروفة من حروف وكلمات وعبارات وتراكيب وجمل ونغم ونبر وتنقيط وصف أحرف على الصفحة المطبوعة.

•أود أن أشكر د.عيسى أبو شمسية استاذ الأدب العربي في جامعة بيرزيت على قراءته الجادة لهذه الدراسة وملاحظاته القيمة التي استفدت منها الكثير. كما أود أن أشكر د.أحمد حرب استاذ الأدب الانجليزي في الجامعة على قراءته لها وتعليقاته.

Digitized by Birzeit University Library

خ- ان الشاعر يقوم بتشييد صوره مستعملا أدوات اللغة التي بين يديه كما يقوم المهندس المعماري بتشييد ابنيته مستخدما الحجارة بأنواعها المختلفة بعد أن يكون قد رسم صوره للبناء الذي يريد، حتى يخرج لنا هذا البناء، في النهاية حاملا بصمات هذا المهندس التي تدل على فلسفته تجاه الحياة والواقع المعاش.

د- انه، كما البناء الجيد تلتحم أجزاؤه في هيكل يضرب في احسانسا باعتباره كلا واحدا، كذلك بالنسبة للقصيدة الجيدة، فهي بالنهاية، يجب ان تقدم لنا صورة شمولية واحدة(٤)، تكون الصور الجزئية التي أتانا بها الشاعر أفرعا للصورة الكلية.

ذ- ان الشاعر، مثله مثل المهندس المعماري وأي فنان آخر، يمتلك فكرة مركزية(٥) تتفرع منها باقي الأفكار، وان هذه الفكرة المركزية يقدمها الشاعر لنا على شكل صورة مركزية في شعره.

ر- ان الشاعر، المهندس أو الفنان عموما، ممكن ان يضع لنا صورته المركزية في بؤرة داخل القصيدة أو البناء أو العمل الفني، ويترك باقي الصور تتفرع منها في شبكة من العلاقات يختارها هو، كما بامكانه أن لا يضعها لنا في بؤرة داخل العمل الفني، بل يتركها خارجة، وبهذه الحالة تكون شبكة علاقات الصور الفرعية هي التي تشكل الصورة المركزية(٧).

ز- ان الشاعر- الفنان- عندما يضع صورته المركزية داخل قصيدته، فانه يختار لها المكان الذي يريد بناء على موقعها الفلسفي من باقي أجزاء العمل الفني.

س- انه، بالنسبة للقصيدة -أو أي عمل فني- لا يقرؤه دارسوه المتخصصون في مجاله الا من خلال مكوناته هو(٨)- اي أن ابعاده التاريخية والاجتماعية والنفسية...الخ تعود الى حقول بحث أخرى كالتاريخ وعلم الاجتماع ...الخ

ش- ان العمل الفني، بقدر ما يشكل مفردة قائمة بذاتها، بقدر ما هو جزء من سلسلة طويلة من المفردات(٩) قائمة عبر تاريخ العنصر البشري. وعليه، فان أية قصيدة هي جزء من التراث الشعري للأمة التي تكتب لها وللبشرية بأكملها تتأثر بالقصيدة وتؤثر، بدورها بهذا التراث.

ص- ان للقصيدة سياقاتها(١٠)الداخلية والخارجية. وتشكل لغتها وتراكيب صورها سياقاتها الداخلية،ويشكل عنوان القصيدة، وعنوان الديوان سياقاتها الخارجية، كما تشكل الحقول الدلالية(١١) التي تثيره فينا، نحن القراء، هذه الاستعمالات اللغوية، تشكل جزءا من السياقات الخارجية، بما تثيره لدينا من مخزون ذاكرة (١٢) حول تجاربنا التاريخية والثقافية والحياتية.

على ضوء ما ذكر أعلاه، ما سوف اناقشه في هذه الدراسة هو أبنية الصور الشعرية في قصائد "مقاليح"، وذلك من خلال التراكيب اللغوية التي يستعملها الشعراء في أبنيتهم تلك، ولكن دون تعرض الفونيمات الفوقطعية(١٣) مما يستعمله الشعراء من أجل احداث الموسيقى الداخلية في شعرهم. سأفتش اولا عن الصورة المركزية -أو الصورة الأم- في كل قصيدة، ثم سوف أفتش عن شبكة علاقات الصورة المركزية مع الصور الفرعية المكونة لها. كذلك سوف أدرس الحقول الدلالية لهذه الصور من خلال ارتباطها السياقية، سواء داخل القصيدة أو في عنوانها أو في عنوان الكتاب(١٤)، أو في ما تثيره في، أنا القارىء لها، من مخزون تجارب تاريخية وثقافية عشتها عبر حياتي المعتلقة باللغة المكتوبة فيها هذه الأشعار.

لربما استطاع الرسم التوضيحي التالي أن يوضح أكثر ما أحاول دراسته في هذا الديوان بالنسبة للصور الشعرية فيه:

Digitized by Birzeit University Library

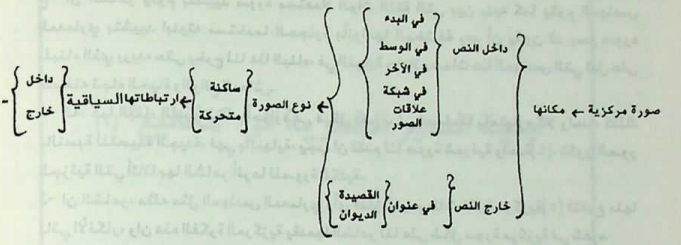

٢. الصور الشعرية في "مقاليع": بامكاننا رؤية أربع أنواع من الصور شكل شعراء "مقاليع" قصائدهم من خلالها. وبسبب من عدم عثوري على تسميات لأنواع شبكة علاقات الصور أو الصورة الكلية للقصيدة في الأدبيات التي بين يدي - سوف أعطيها التسميات التالية -أدناه-. وسوف أحاول، في البدء، ان أشرح ما أعنيه بالنسبة لكل حالة، ثم أبين ذلك من خلال أربعة قصائد اخترتها ممثلة لأنواع تشكيلات شبكة علاقات الصور الأربعة -أو الصورة الكلية- في قصائد الديوان.

أ- الصورة الساكنة: في مثل هذه الصور، لا يعطينا الشاعر ما تدل عليه الحركة داخل الصورة، بل نراها صورة تصويرية ساكنة. وفي معظم الحالات، لا نجد امتدادات عضوية لهذه الصورة داخل القصيدة فلا يطور الشاعر لنا صورته بحيث تلف القصيدة في صورة شمولية واحدة، بل يعطينا أجزاء متفرقة من صورها هنا وهناك لا تربطها ببعض شبكة علاقات واحدة لتشكل القصيدة بأكملها.

ب- الصورة المبتورة: هنا، يقدم الشاعر لنا صورة تتمتع بدفق الحركة الداخلية فيها، مما يبشر بامتدادات عضوية لهذه الصورة في صور جزئية لها تشمل باقي القصيدة، ولكنه لا يعطينا هذه الامتدادات.

ج- الصوره العمودية: يقدم لنا الشاعر في مثل هذه القصيدة صورة مركزية (يضعها عادة في أول القصيدة أو في آخرها)، ثم تتوالى الصور في كل مقطع من مقاطع القصيدة في ترتيب زمني أو جغرافي أو غيره، لتفند أمامنا الصورة المركزية وتبرهن عليها.

د- الصورة الحلزونية: نرى، في مثل هذه القصائد امتدادات لا نهائية للصور، ما قبليه وما بعديه، في حركة دائمة الصعود، متحركة محركة، يفعل الجزء في الكل فيتحرك، ويفعل الكل في الجزء فيتحرك، ويتحركا معا في صعود دائم لا نهائي الحركة. تكون الصورة المركزية في مثل هذه الأشعار ليس في مقدمة القصيدة -فالقصيدة لا بداية لها ولا نهاية- بل في وسطها

Digitized by Birzeit University Library

-باعتبارها هي نفسها جزء من الحركة اللانهائية- كما تكون علاقات الصور الجزئية بعضها مع الآخر ومع الصورة المركزية علاقات عضوية -الكل ينمو من الجزء والجزء ينمو من الكل-

ولقد اخترت، من بين قصائد الديوان، أربعة قصائد رأيت فيها امكانية جيدة على اعطاء أمثلة لأنواع الصور المستعملة في هذا الديوان. وهذه القصائد هي "لاحت تباشير الصباح" لأسعد الأسعد، "الأميرة" لحسين برغوثي، "النداء" لخليل توما، و "صفصافة البشرى" لوسيم الكردي. وسوف أناقش كل قصيدة من خلال نوع الصورة التي أراها تندرج تحتها.

أ- الصورة الساكنة: سوف أقدم قصيدة أسعد الأسعد "لاحت تباشير الصباح" كمثال على هذا النوع من الصور. واذ نبدأ بقراءة عنوان القصيدة تفتيشا عن الصورة المركزية، نجد أمامنا تركيبا(١٥) لغويا ذا مدلول عادي يستثار من حياة الناس اليومية. الا أننا أمام عمل فني هو القصيدة، فنحاول المضي مع الشاعر في رؤياه الفنية الشعرية ، لنعطي للتوقعات(١٦) احتمالاتها. فنجد الصورة في التركيب اللغوي تثير لدينا احساسا بالفرح من خلال استعماله كلمة "تباشير" وذلك للبروز في الفعل "لاحت"، المسبب للفرح وهو "الصباح". هذه صورة جميلة بما يتكون فيها عادة من ألوان. فالصباح يختلف في اطلالته عن أية لحظة أخرى من لحظات النهار، بل انه يتميز عنها جميعا في ألوانه تلك. كما أن تباشير "الصباح" تختلف في ألوانها عن الليل، الذي تلتحم به وتخرج من رحمه لتشكل معه تضاد الطبيعة الأول. الشمس - الحياة، الليل نقيضها. ونستشرف في القصيدة اشكالا للبشارة، ولا نتوقعها شكلا واحدا، بل أشكالا متعددة، ربما لا نهائية ومتعددة. فالشاعر يقدم لنا الاسم "تباشير" بصيغة الجمع وليس المفرد، وعليه نتوقع هطلا من اشكال البشارة. ولكن الشاعر يسبق التباشير الصباحية بفعل ساكن محدود الحركة الداخلية وهو "لاحت"، مما يحد من توقعاتنا حول كثافة التباشير أو حركتها. واذ ان الفعل الذي يقدمه لنا مصوغ على صيغة الماضي، يصبح محورا في الزمان، محددا به، مما يترك لنا صورة من النوع الذي ذكرت: صورة ساكنة.

ومع هذا، نحاول التفتيش داخل القصيدة عن امتدادات للوحة الشاعر التي وضعها في العنوان، نحاول التفتيش عن صور جزئية ترسم لنا تفاصيل اللوحة بألوانها وبشارتها التي توقعنا. تجابهنا الصعوبة الأولى عندما نرى الاختلاف ما بين قصديه Intention(١٨) الشاعر في عنوان القصيدة وتلك في مقدمة القصيدة ذاتها. فبينما يصوغ الشاعر عنوان قصيدته في شكل تركيب لغوي تقريري Statement (١٩) نجده يستهل القصيدة بتركيب لغوي على شكل طلب Request أو أمر Order(٢٠). وحيث ان الانسان، في العادة، لا يطلب أمرا صار متحققا (والتركيب التقريري ذو الفعل على صيغة الماضي في العنوان يدل على التحقق)، تواجهنا الصدمة في التناقض ما بين التقرير المتضمن في الصياغة اللغوية لعنوان القصيدة، وما بين رؤياه من عدم تحققها، المتضمن في صياغة "الأمر" اللغوية في بدايات القصيدة. هنا، تسقط لدينا أية محاولة للبحث عن امتدادات للصورة -اللوحة-، التي يقدمها لنا الشاعر في عنوان قصيدته، في باقي أجزاء القصيدة، وتقرر، مبدئيا، بالبتر الحاصل بين عنوان القصيدة وجسدها.

ونبدأ، ثانية، في التفتيش داخل القصيدة عن نواتهاالأولى، عن الصورة المركزية فيها. نبدأ

Digitized by Birzeit University Library

بالتفتيش عن عبارات أو تراكيب مجازية. فنجد احتمالات هذه الصورة في تراكيب من مثل: "تجري الرياح كما شاءت يمينك"، "الشمس تحجبها العصى"، "الليل يحمل في أحشائه...الفجر"، "نيرون مات". نحاول رؤية امتدادات أي من هذه الصور عبر القصيدة حتى نعتبرها الصورة الأم. نفترض الصورة الأولى في تركيب "تجري الرياح كما شاءت يمينك" هي الصورة المركزية للقصيدة، فنحاول استكشاف روابطها بباقي صور القصيدة، نحاول أولا ربطها بالعنوان. نجدهما يشتركان في كون كليهما تركيب تقريري، وفي كون الفعل في كليهما ممكن أن نضعه في ذات الحقل الدلالي "لاحت" و"تجري"، كما أنه بامكاننا ربط "الصباح" مع "الرياح" باعتبارهما الاثنين جزءا من الطبيعة. ولكن، ومع ذلك، يظل الارتباط بعيدا وضعيفا. اذ أن الفعل "لاحت" يحمل الكثير من السكون داخله، ويصعب علينا تقرير اتجاهيته (٢١): فهل لاح "الصباح" لأنه تحرك تجاهنا ونحن ساكنون نرقب، أم أنه هناك تابع ساكن ولاح فقط لأننا تحركنا تجاهه؟ على العكس من الفعل "تجري" المعروف فاعله وهو "الرياح". وكان من الممكن لنا أن نعتبر الفعل "لاحت" هو النتيجة النهائية للفعل "تجري" في الصورة الفرعية الا ان استعمال الشاعر لصيغة المضارع اللامحدود الزمان (٢٢) في الفعل "تجري" يجعله يتناقض مع ما أعطاه في عنوان القصيدة من فعل على صيغة الماضي يتركنا نفتش عن الأفعال الأخرى التي حدثت، أيضا على صيغة الماضي حتى أوصلتنا اليه. وتشترك في ابعاد الصورة في "تجري" عن تلك في عنوان القصيدة ضعف الحركة الداخلية في الفعل "تجري" فهي هنا بمعنى "تنساب" وليس بمعنى "تركض" ويساعد في هذا الفهم للفعل "تجري" ما أعطاناه الشاعر من فاعل الفعل وهو "الرياح" التي هي خارج عالم الانسان، وترك الفاعل الحقيقي "يمينك" في آخر التركيب مما أضعف من كونه أي "يمينك" هو الفاعل الحقيقي، وتركنا نحس وان الرياح هي الفاعل وأنها تجري لوحدها، هذا قبل ان يتبعها بالزيادة(٢٣)"كما شاءت يمينك". كما ان استعمال الشاعر لفعل الارادة(٢٤) شاءت "وليس فعل تحقق مثل "لاحت" بالنسبة للصباح، يباعد بين القصدية في الصورتين، ولا يتركنا نرى علاقة عضوية فيما بينهما.

نحاول الانتقال أماما في القصيدة لنرى امكانية تعلق الصورة في "تجري".. مع صور أخرى لاحقة. نجد أمامنا مباشرة الصورة في التركيب الثاني "الشمس تحجبها العصي"، فنحاول ربطها بالصورة في "تجري" ولكننا نجد ذلك صعبا. فمع ان "الشمس" تشترك مع "الرياح" في الصورة السابقة في كونهما عنصري طبيعة، الا أن استخدامهما هنا لا يري العلاقة المتوقعة في استعمالهما. فالرياح حركة، والشمس كيان(٢٦). والرياح يستخدمها الشاعر في موقع الفاعل، أما الشمس فيضعها في موقع المفعول، والرياح "تجري" بقول الشاعر، كما نريد، ولكن الشمس محجوبة، ولا يقلل من كونها محجوبة فعل التشكك "ظنوا" الذي سبقها به، كما أن لا علاقة هنا ما بين "عينيك" و "العصي"، فالأولى محددة بالضمير المتصل "-ك" والثانية مستخدمة استخداما عاما مع أنه محدد بفعل زيادة ال التعريف عليه "ال+عصي".

ونحاول ثانية، فنجد الشاعر قد استخدم صورة تحمل الكثير مما حمله في الصورة والعنوان، وهي "فالليل يحمل في احشائه.. الفجر نديا"، ونحاول اكتشاف نوع العلاقة، ما اذا كانت تطويرا للصورة في العنوان أو تفنيدا لها، فنجدها ليست أكثر من اعادة صياغة جزئية Partial Paraphrase(٢٧) لتلك الصورة وليست تطويرا أو تفنيدا لها. وهذا يجعلنا نفكر في هذه

Digitized by Birzeit University Library

الصورة على أنها هي الصورة المركزية للقصيدة. ونحاول ذلك، نحاول مثلا، ربطها بالصورتين في "تجري" ... و"الشمس".. ولكننا لا نجد هناك صلة عضوية أو جزئية بينها وبينهما. وسوى اشتراكهم جميعا بكلمات تدل على الطبيعة "الشمس"، "الفجر" لا نجد علاقات أخرى سواء باستعمال الأفعال "تجري"، "تحجبها"، "يحمل"، أو الفاعل الحقيقي "يمينك"، "العصى"، "الليل"، أو في صيغ التراكيب.

نستطيع، طبعا، أن نأخذ صورا أخرى وضعها الشاعر لنا هنا أو هناك في قصيدته، ولكننا نجابه بنفس الحالة: عدم وجود علاقات عضوية بين هذه الصور مما يتركنا لا نرى شبكة علاقات واحدة لصورة تشكل القصيدة امامنا كلا شموليا واحدا.

ولكن الشاعر الذي اخفق في ربط صور قصيدته بعضها بالآخر قد استطاع أن يربط هذه الصور بحياتنا، نحن "الشعب" كما يخاطبنا، اليومية وبمخزون ذاكرتنا التاريخي والثقافي. ونجد هذا الربط في عنوان القصيدة كما نجده في الصور الأخرى فيها. فالصورة في العنوان "لاحت تباشير الصباح" تثير لدينا استعمالا يوميا ودينيا كذلك، مما نجده في مطلع القصيدة الدينية المعروفة "طلع الفجر علينا من ثنيات الوداع". كذلك الصورة في "تجري الرياح"... حيث يسخر الشاعر بيت الشعر الذي أصبح مثلا شعبيا "تجري الرياح كما لا تشتهي السفن"، يسخر هذا البيت لتقديم الفكرة الايجابية "التباشير" التي يريد وذلك بتقديمه الجزء الأول من البيت "تجري الرياح"، فيوقظه في ذاكرتنا، ثم بتقديم نقيض الفكرة في الجزء الثاني منه وذلك بالغائه أداة النفي "لا" في الشعر الأصلي ثم في تغيير "السفن" الى "يمينك". ونجد هذا الربط البارع بمجريات حياة الناس، وتحويل ذلك الى الهدف الذي يريد الشاعر ان يقدمه لنا، نجده في معظم الصور التي قدمها. ولكن، ومع كل هذا الربط الخارجي، الا ان الشاعر كما سبق وقلنا، قد عجز في أن يربط لنا الصور التي استعملها في شبكة علاقات واحدة تشكل القصيدة كلا، واحدا لا يتجزأ.

ب- الصورة المبتورة: تشكل قصيدة حسين برغوثي "الأميرة" مثالا على هذا النوع من الصور في أشعار الديوان، ومثل جميع الناس، أول ما تقع عليه عيوننا هو عنوان القصيدة. وقد اعطى الشاعر عنوانا لقصيدته هو "الأميرة". وبعكس عنوان أسعد الأسعد الذي هو تركيب يحتوي على فعل فاعل، يختار حسين برغوثي كلمة واحدة عنوانا لقصيدته، يأتي بها على صيغة الاسم. واضح ان الشاعر أراد باختياره لهذا الاسم ان يثير لدينا رؤى واقع عشناه جميعا في احلامنا، سواء في مرحلة الطفولة أو الشباب فالأميرة تكون العنصر الأهم في حكايات الطفولة، وتظل معنا حتى المراهقة، ثم تمتلىء بذكرها الاخبار، سواء مع صور على التلفاز أو بدون صور في المجلات والجرائد. الا أن الصورة الابقى للأميرة تظل رهن احلام طفولتنا، فيدق عنوان القصيدة على تلك الأحلام، ينبش فيها ليزيح الغبار عنها فتقف أمامنا ثانية ماثلة عيوننا. ومن منا لم تشكل الأميرة جزءا من أحلامه في الطفولة فهي الجمال والرقة والخير في رغبات الناس، انها ما لا يمتلكه الناس ولكن يصبون الى امتلاكه، سواء أكان ذلك باشكاله المادية (لباس الأميرة، قصر الأميرة، خدم الأميرة..) أو بأشكاله غير المادية (أخلاق الأميرة وتعبيرها عن الدقة الانسانية والخير). واذ أن أي عنوان لقصيدة في أي كتاب شعر يأخذ ظلال معناه من ذات الحقل الدلالي لعنوان الكتاب، ترتبط "الأميرة" أمامنا برؤيانا للانتفاضة،وبهذا يربط الشاعر جسرا بين ما

Digitized by Birzeit University Library

تثيره الكلمة لدينا من صفات وأفعال عشناها في أحلام طفولتنا، وبين واقعنا في الانتفاضة.

نرتاح للصورة التي أثارها الشاعر لدينا ونبدأ بالتفتيش عن صور لأشكال وأفعال هذه "الأميرة"/الانتفاضة. نبدأ بقراءة القصيدة ونحن نمتلك هذه التوقعات. وتأتينا الصورة مباشرة، في السطرين الأول والثالث، مناسبة لتوقعاتنا. فالأميرة "بثياب النوم .(شكل) والأميرة "تركض" (فعل وحركة)، والأميرة تحمل شمعتين مضيئتين" (فعل خير) ويأتي ارتياحنا مما تحدثه فينا الصورة التي رسمها الشاعر أمامنا للأميرة سواء في شكلها بلباسها المريح الذي يبعث على الدفء "ثوب النوم" وفي حركتها اللامحدودة التي يعبر الشاعر عنها باختياره صيغة المضارع اللامحدودة الزمان للتعبير عن الفعل، فينقل بهذا لنا الأميرة من الماضي الى حاضرنا، وبهذا يخرجها من اللغة العادية الى لغة الشعر. فلو ان الشاعر استعمل الفعل الماضي "ركضت" لأرجعها الى اطارها الحقيقي في قصص طفولتنا، ولكنه لم يفعل، بل استعمل الفعل المضارع لحركتها، وبهذا أيضا ساعد على تشديد الربط ما بينها وبين سياقها العام، اي الانتفاضة الجارية الآن. وليس اختيار زمن الفعل هو المهم عنا فقط، ولكن اختيار الشاعر لفعل الركض (وليس اختيار زمن الفعل هو المهم هنا فقط، ولكن اجتياز الشاعر لفعل الركض (وليس اي من مرادفاته كالقفز أو المشي أو التهادي) مهم في اعطاء الصورة حيوتها وتقريبها لنا، لما في هذا الفعل من حيوية داخلية. وتمتد هذه الصورة في المقطع الأول من شعره اتصالا بعنوان الشعر. وبقدر ما جاء العنوان قصيرا، عاما ومكثفا، بقدر ما جاءت هذه الصورة معبرة عن جزئيات هذا العام في العنوان، ومطابقة لتوقعاتنا منه. ويزيد من تلاحم الصورة مع عنوان القصيدة ما نراه من تناسق في الأسلوب الذي عبر به الشاعر عن قصيدته: فقد عبر الشاعر عن كليهما بتركيب لغوي تقريري (وهذا خلاف لما فعله أسعد الأسعد). ويزيد من حيوية الصورة ارتباطها السياقي مع عنوان الكتاب، فعمل جسرا بين أحلام طفولتنا وتحقق حاضرنا "الانتفاضة" جسرا مستقبلي الرؤيا من خلال لا محدودية زمن الفعل "تركض".

ولكن الصورة تنحسر في الجزء الثاني من المقطع الأول للقصيدة، فلا نعود نرى لها امتدادات صورية أخرى: تصبح خلفية لأفعال الشاعر ومشاعره. ونراه، بدل أن تمتد الأميرة فيه امتدادا عضويا، نراه ينفصل عنها ويتحرك لوحده. ونستطيع ان نرى عدم امتداد صورة الأميرة داخله من خلال الأفعال التي يستعملها للتعبير عن حركته، وهذه الأفعال هي: "أتهادى"، "أقول"، "خذني"، "أمشي"، "أهمس"، "استحم"، "أنظر"، "أجلس" . وعدا عن عدم تناسق حركة الشاعر - المبينة في أفعاله- مع حركة الأميرة، لا نجد تناسقا بين نفس تلك الأفعال، من زاوية تصاعدها أو نقيضه في الحركة التي تحتوي عليها. واذا كان توقعنا ان تكون صورة الأميرة في المقطع الأول هي الصورة الأم التي تخرج باقي الصور من رحمها، نرى عدم تحقق ذلك في أي من الصور التي يقدمها الشاعر في باقي المقطع الأول والتي تعبر عن حركته هو.

ثم تعود الأميرة لتبرز ثانية في بدايات المقطع الثاني. وبدل تطوير الشاعر لصورتها الأولى، نجده يحد منها. فالأميرة التي صورها لنا الشاعر في البدء على انها "تركض"، نراها الآن "استحمت". وتأتي محدودية الصورة هنا من الفارق بين المكونات الداخلية لفعل الركض وعملية الاستحمام. فالركض حركه داخلية وخارجية أما الاستحمام (بمعنى ازالة الأوساخ من الجسم) فهو عملية ساكنة محدودة زمانا ومكانا. ولو أن الشاعر استعمل الفعل المرادف "سبحت" لما أحسسنا

Digitized by Birzeit University Library

بالمحدودية، وذلك لتشابه أشكال الحركة بين فعلي الركض والسباحة. وتزداد المحدودية باختيار الشاعر لزمن الفعل. فبينما أتانا فعل الركض بصيغة المضارع اللامحدودة الزمان، نراه هنا يقطع استمرارية هذا الفعل بارجاع حركة الأميرة الى الوراء، الى الزمن الماضي "استحمت". ويصر الشاعر أكثر على الحد من حركة الأميرة بتقييدها في المكان كما قيدها في الزمان. فالأميرة التي "تركض" في الصورة الأولى "استحمت بقربي" الآن، وتضع ياء المتكلم الأميرة مباشرة بقرب الشاعر المطبوع اسمه على الصفحة أمامنا، فتختفي لا محدودية أميرة أحلام طفولتنا وواقع انتفاضتنا. وكذلك، بدلا من صورة يدين (متضمنتين) حاملتين شمعتين، نجد صورة لقدمين. ومع أن القدمين كانتا متضمنتين في الصورة الأولى بالفعل "تركض" (اذ يحتاج المرء الى قدمين حتى يركض)، الا أن القدمين هنا مسجونتان بالتفاف الطحلب عليهما وغير قادرتين على الحركة النابضة السريعة، كما أنهما، بدل شوارع الصورة الأولى لهما تقعان في الصورة الثانية سجينتين في مياه راكدة حيث تنمو الطحالب في العادة. وكما في المقطع السابق، تشكل الأميرة خلفية لأفعال الشاعر، دون ان نرى امتداد صورتها في تلك الأفعال. ولأنها ليست أكثر من خلفية، نرى الشاعر لا يذكرها في باقي القصيدة الا مرتين، دون ان يكون حولها خطوط نابعة من أي من الصورتين السابقتين المتناقضتين.

واذا كنا في قراءتنا لقصيدة "الأميرة" نبحث عن صور تفصل لنا الشكل والحركة التي تثيره فينا، ولكن من خلال بعد جديد يحتمه عليها سياقها في عنوان الكتاب "...الانتفاضة"، فاننا نستطيع ان نقول أنه، عدا عن الصورة التي يستهل بها القصيدة، فان الشاعر لم يقدم لنا صورا أخرى (الا اذا اخترنا الصورة الثانية، الساكنة التي التف الطحلب حول أرجلها انتكاسة لفعلها وحركتها السابقتين، ولكن، عندئذ، نتوقع لها نهوضا جديدا يأتي من رحم هذه الانتكاسة، والشاعر لم يعطنا أياه) وأصبحت الأميرة تذكر فقط، باعتبارها ركيزة لأفعال الشاعر ومشاريعه، وهنا أيضا يضعنا الشاعر في دوامة، فلا ندري ما اذا كان ينادي .لأميرة بصورتها الأولى أم الثانية. وعليه، نستطيع القول ان برغوثي قد قدم لنا، في أول قصيدته، صورة جميلة ذات حركة داخلية، نفهمها من خلال أبعادها الثلاثة: اللغوية، السياقية في عنوان القصيدة والكتاب، والسياقية الفولكلورية، ولكنها ظلت صورة محدودة بذاتها لم تتطور عبر القصيدة ولم تكشف لنا عن أدق تفاصيلها المتوقعة.

المعالم، ثانية، فعل جديد ركيزته معالم الصورة السابقة .

والعلاقات العضوية والجدلية بين الاجزاء المكونة للقصيدة عند الكردي لا تقتصر على الصورة المركزية، بل هي موجودة في ادق تفاصيل الصور الفرعية التي تشكل، مع الصورة المركزية. شبكة العلاقات "الحلزونية" كما سميتها . وسوف اورد هنا بعض الأمثلة على هذه العلاقات العضوية والجدلية بين صور القصيدة.

د: ١ الصور بعلاقاتها العضوية : تتكون اول علاقة عضوية بين الصورة الام لدى وسيم الكردي (وقد شرحت اعلاه) وبين اجزائها المكونة لها من خلال الصور الجزئية، التي بدورها تشكل صورة اكبر منها، في اسطر القصيدة الاولى السابقة مباشرة للصورة الام. فنرى "الساعدين" اللذين يشدان اوتار الشموس في الصورة الام، نراها "الزنود" التي تحمل الحصى فتصبح في اعنان السماء "...اجنحة" في الصورة الفرع، كما نرى "أوتار الشموس " التي شدها الساعدان في الام،

نراها" تفتسل" بهذه الحجارة التي تقذفها السواعد / الزنود في الصورة الفرع، كما اننا نرى ان "صفصافة البشرى"، الانثى عبر الزمان، تتوالد في اشكال "البشارة" التي "تنطلق" من فعل الخيول المسرجة التي تحمل / تحملها الحجارة التي تحمل / تحملها السواعد عبر التاريخ في الاسطر الاولى . ويمتد "ناي المدائن" في الصورة الام من / الى "كل ناحية تراتيل" في الصورة الفرع . وتأتي بكارة صفصافتنا عبر "الزمان"، تأتي من افعالنا عبر تاريخنا في الاسطر الاولى، وبربطنا الشاعر بالاية القرآنية "ترميهم بحجارة من سجيل..." من خلال رؤى سطريه الاولين "...الحصى من اجنحة، فوق الدخان ..."، ويبرز "الزمان" ايضا في صور الفتوحات الاسلامية الاولى حين "تمضي الزنود" حاملة "الحصى" تلوح فيها وكأنها سيوف مشهرة "ملوحة"، وتكون هذه "الحجارة" الملوحة وكانها السيوف في الزنود، تكون محمولة على "خيول مسرجة" وكاننا امام جيوش العرب في ايام الاسلام الاولى . وتندمج الحجارة (السيوف؟) مع الخيول المسرجة السواعد الملوحة لتصبح، امامنا كلا واحدا يتشكل من خلال عيون "حداق" "تغتسل" بفعل الحجارة هذه فيبدو لها تاريخها البطولي واضحا متألقا كما تصبح مليئة بالتصميم "متأججة" في الدفاع عن تراثها هذا "مئاثر وقصائد" وعن حياتها التي تريدها حلوة "بنفسجة" . ويستمر الشاعر يكشف لدينا صور جيوش العرب في ايام الاسلام الاولى من خلال كلمات لها نفس الايحاءات وهي "صلاتها"، "مسبحه"، "تسري" (من الاسراء والمعراج)، "الرسل"، "تراتيل"، "شعل" . وباعطائه هذه الصورة الحية لجيوش العرب المؤمنة المندفعة بتصميمها ايام الاسلام الاولى يكون قد ربط هذه الصور، عضويا، بصفصافة البشرى التي تلد دائما عبر "الزمان". وتكون صورة الفتوحات الاسلامية احد اشكال مولوداتها .

سأكتفي بهذا المثال على العلاقة العضوية ما بين صور القصيدة، وسأنتقل لاعطي امثلة على العلاقة الجدلية ما بين صورها .

د : ٢ الصور بعلاقاتها الجدلية : يمكننا رؤية العلاقة الجدلية في جميع اجزاء القصيدة داخل الصور الجزئية ذاتها، داخل الصورة المركزية، وما بين الصور الجزئية والصورة المركزية. ولقد تحدثت عن هذه العلاقة داخل الصورة المركزية سابقا. ولسوف اتناول الآن البعدين الآخرين .

د:٢:أ العلاقة الجدلية داخل الصور الفرعية : وهي كثيرة . سأذكر منها ما حمله المقطع الاول والثاني. في المقطع الأول . يربطنا استعمال كلمة "بصلاتها"، حيث تمتد الاشارة في الضمير المتصل "ـها" خلفا الى "الحصى" واماما الى "الزنود"، فنعرف ان حركة الحصى قد جعلت الزنود

تتحرك، وتكون حركتها امامية "تمضي" وان حركة الزنود، بالتالي، قد حركت الحصى فصار لها "أجنحة"، فيكون فعل يعمل في كلا الاتجاهين الفاعلين، وتكون حركته الكلية أمامية . ولان الشاعر اختار لنا صيغا فعلية "تمضي" واسم فعلية "ملوحة" تنعدم فيها محدودية الزمان (٢١)، فاننا نرى في ذلك الاستمرارية اللامحدودة لعملية الفعل و الفعل المقابل، التأثير والتأثير المقابل، في صعود دائم يصل الى اعنة السماء "بالشمس تفتسل الحجارة والمقل"، وينطبق هذا على جزئية الصورة الثاني في مطلع القصيدة "كم في الحجارة من خيول مسرجة ....."

أما في المقطع الثاني من القصيدة فنرى الصفصافة، وقد اضحت قلعة ضخمة، تتحرك وهي في

Digitized by Birzeit University Library

مكانها اولا "تمور" ثم تتحرك اماما "تمضي" بفعل حركة اجزائها - في المقطع الاول -، وبحركتها هذه تخرج، ثانية، من داخلها سواعد فتيانها "من قلبها بزغت اكف صغارها"، ونرى ثانية، كيف ان هذه السواعد نفسها التي بزغت من قلب القلعة / الصفصافة قد احدثت فعلها في المقابل "فنمت أصابعها ..." مما أدى الى احداث التغيير على القلعة / الصفصافة نفسها التي خرجت منها هذه السواعد، وذلك بنمو أياديها "فنمت مقابضها" وبوصولها الى حالة جديدة من (امكانية) التوالد "فعن غلومها".

هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى يظل الشاعر امينا على استعمالاته للضمير المتصل "-ها" جسرا للحركة المشتركة، المؤثرة والمتأثرة ما بين القطبين اللذين يشير اليهما هذا الضمير المتصل . ومن اجل احداث هذا التأثير، يستعمل الشاعر كلمات مشتركة ما بين القطبين، مما يتركنا أمام التحام للاجزاء المتأثرة بفعلي الحركة فيهما . وترى ذلك من خلال نمو الايادي "نمت مقابضها" حيث يمكن لكلمة "مقابض" ان ترجع الى السواعد الحاملة الحجارة والنامية من قلب الصفصافة، وممكن لها ان ترجع الى مقابض ابواب القلعة / الصفصافة. وكذلك الحال بالنسبة للتركيب المعطوف "فعن غلومها". ومع أن هذا التركيب الاخير يشير، في كلمة "علومها" الى سواعد الفتية باعتبار الكلمة تستعمل عادة للبلوغ الجنسي عند الشباب، الا ان استعمال كلمة "فض" تربطها مباشرة بالانثى التي ذكرت "بكارتها" لنا سابقا، أي الصفصافة، فنرى هنا، في تركيب واحد، عملية التأثير المتبادل ما بين السواعد وصفصافتها الام. ويدعم الشاعر لنا هذه الدلالة باستعماله واو العطف ما بين هذا التركيب والتركيب السابق له بما فيه من ازدواجية الاشارة، فنرى، في هذين التركيبين الاخيرين في المقطع الثاني، نرى التأثير المتبادل في بعديه: الصفصافة - السواعد ، السواعد - الصفصافة، كما اننا نرى ، في نفس الوقت، أماميته الصاعدة على شكل نمو "نمت" ونضج "فعن غلومها".

د:٢:ب العلاقة الجدلية بين الصور الفرعية والصورة الأم : هذا من ناحية الصور الفرعية أما بالنسبة للعلاقة الجدلية ما بين الصور الفرعية والصور المركزية، فنراها في اشكال مختلفة يمكن اعتبار النقاش اعلاه واحدا منها . نرى أيضا التأثير المتبادل ما بين صفصافة البشرى واجزائها في ما اورده لنا الشاعر بين صور مكوناتها في المقطع الأول (مما سبق شرحه) وكيف ادت هذه الحركة السابقة الى أن "تنشأ"، اي تتدفق بلطف، هذه الصفصافة من احزان والام هذا الشعب عبر تاريخه "ناي المدائن" وذلك بفعل "الزنود" المذكورة في المقطع الأول لتنهض الصفصافة وزنودها / سواعدها. ويعمل هذا النهوض في الصفصافة باتجاه حركة ارقى. فبعد ان رأيناها "تنشأ" من ناي المدائن اذا بالحركة تشتد "تمور" ثم يصبح تراكم الحركة في الفعلين السابقين حركة امامية "تمضي"، وحركة الصفصافة هذه بدورها، ابرزت سواعد اطفالها "بزغت" مما ادى بالاثنين معا لان ينموا وينضجا "نمت"، "فعن غلومها". وتأتي نتيجة هذا الفعل في نهاية المقطع الثاني الى درجة اعلى من الصيرورة للصفصافة في المقطع الثالث، فنراها تتفتح جدران قلاعها ويخرج منها اكثر ما احبته عبر الزمان "تنشق وجه تصطفيه جذوعها". وهنا أيضا تكون الجدلية الدائمة، اذ، في الحقيقة، لا يكون هذا الوجه الذي تنشق عنه الا وجهها هي في احسن ما لديه من تكونات تشكلها عبر تاريخه (والذي شاهدنا بعضا منه في المقاطع السابقة). ويعطينا

Digitized by Birzeit University Library

الشاعر التحام صورة السواعد والصفصافة التي تنشق عنها هذه الصفصافة من خلال الحالة الاعرابية لكلمة "وجه"، التي يأتي بها في حالة المرفوع . ولو أنه اعطاناها في حالة المنصوب لكانت الاشارة فقط الى الصفصافة وليس الى الاثنين. وبعد ان يصور لنا الشاعر في المقطعين الرابع والخامس اشكال البروز في "تنشق"، نجده، في المقطع السادس، يعطينا نتيجة هذا البروز. فالصفصافة التي انشالت ثم مارت ثم مضت فنضجت، فاتضحت معالمها ("تنشال"، "تمور"، "تمضي"، "يفض غلومها" "تنسق وجه") هذه الصفصافة قد بدأت، في المقطع الاخير، تأخذ شكلها المتميز عن اجزائها المكونة. فنرى ذلك في انبجاس الفاعل "الورى" وفي انفصالها عن سواعدها التي خرجت منها" ... نجمة تقتات قنديل الحصى". ويبرز التمييز اكثر في المقطع الاخير اذ نرى صفصافة البشرى "تلوح " واضحة المعالم، كما نرى سواعد الناس "تستوي"، ليعود الشاعر مباشرة، وبعد أن نضج كلا منهما من خلال حركتيهما الفاعلة المؤثرة كل في الاخر، يعود فيعطينا تلاحمهما في المجد" .... قمرا"، فالصفصافة تلوح قمرا حاملة صفصافتها التي تلوح قمرا ايضا، فتلوح الصفصافة في استواء كف البشر.

ولا يكف الشاعر عن حركته الجدلية، اذ، وقد توقعنا نهاية لهذه الملحمة ما بين الصفصافة وسواعدها الخارجة منها بظهورها قمرا على الاكف المستوية التي اصبحت بدورها قمرا، نجده يعيد الكرة فيخرج " تنسل" هذه الاكف التي استوت قمرا، مضيئة بما تحمله من معرفة بتاريخها والذي شكلته حركتها الدائبة (٣٢) "انتفى... اسراره"، تخرج ثانية كالسيف" ينسل لامعة دافقة متعددة الاتجاهات "موجا من شرر"، لتبدأ فصلا آخر في ملحمة الفصل والارتقاء .

٣ . خلاصـــــة:

رأينا في ما تقدم اهمية الصورة المركزية في بناء القصيدة، كما رأينا أهمية شبكة علاقات الصور في تقديم الصورة الكلية للقصيدة . ولقد اتضح لنا انه، اذا ما كان للصورة المركزية ان تنمو في شبكة علاقات صور تنظم القصيدة وتنتظم القصيدة من خلالها، فلا بد لهذه الصورة المركزية من ان تحمل بذور امتدادها، اي ان تحمل وقعها العالي من الحركة الداخلية . وبهذا تكمن نقطة الانطلاق . فاما ان تتحقق امكانيات امتدادها او لا تتحقق ويعطينا عدم تحقق الامتداد شبكة علاقات غير متحققة، مما يترك القصيدة تبدو امامنا جزءا من الصور المنكفئة على ذاتها، دون ان يكون لها امتداد عضوي كل بالاخرى . فاذا ما تحقق للصورة المركزية امتدادها عبر الصور الفرعية للقصيدة، فقد رأينا كيف يمكن لهذا الامتداد ان يأخذ اشكاله المتعددة، ويعتمد هذا بدوره على نوع العلاقة القائمة بين الصور. فاذا ما كانت العلاقة آلية (٣٣)، تتكون لدينا في النهاية صورة كلية / لوحة ساكنة محددة الابعاد، برغم ما نراه من الحركة في اجزاء صورها الداخلية . اما اذا كانت العلاقة بين الصور علاقة عضوية، بحيث يتأثر الكل بالجزء كما يتأثر الجزء بالكل، فاننا، عندئذ، لا نرى لوحة محددة الابعاد، وانما نرى مسارا لانها في الحركة نستطيع، به، ان نضع القصيدة في اية نقطة في الزمان اردنا : الآن او غدا او في ماضي تاريخنا فالقصيدة، عندئذ، لا تشكل الا أحد البراهين اللا نهائية التي تموج امامنا وتتدفق،

Digitized by Birzeit University Library

برهانا على لا نهائية أبعاد تأثير الفعل في مسار عملية التغيير، بما فيها الفعل نفسه.

ما آمله هو ان تكون هذه الدراسة، بآلية البحث المستخدمة فيها، جزءا من "صفصافة" وسيم و "ومتراس" توما و "اميرة" برغوثي و "صباح" اسعد الاسعد.

الهوامش:

١) مقاليع، قصائد من وحي الانتفاضة ١٩٨٨ -منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، القدس.

٢) الطاهر مكي ١٩٨٠، الشعر العربي المعاصر، دار المعارف ص٧٥.

٣) نفس المصدر ص ٨١،٨٣.

غالي شكري ١٩٦٨، شعرنا الحديث الى أين. دار المعارف ص١٧٦.

٤) الطاهر مكي ص٨٢.

4) Jameson, Fredric. 1974. Marxism and Form. Princeton University Press. p. 169; 184.

5) Frye, Northsop. 1973. Anatomy of Criticism. Princeton University Press. p. 245.

٦) روبرت ديبوغراند، ولفجانج درسير، الهام أبو غزالة، علي خليل. مقدمة في علم لغة النص. تحت الطباعة.

٧) غالي شكري، ص٦٤.

8) Leitch, Vincent B. 1983. Deconstructive Criticism. Columbia University Press. p. 177 ff.

٩) المصدر رقم (٦) - الفصل التاسع.

10) Van Dijk, Teun. 1977. Text and Context: Explorations in the Semantics and Progmatics of Discourse. p. 190 ff.

11) Lyons, John. 1978. Semantics. Cambridge University Press. p. 250 ff.

١٢) المصدر رقم (٦)

١٣) محمد علي الخولي، ١٩٨٢، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان ص٢٧٥.

14) Tanen, Debora L. 1979. What`s in a Frame? Surface Evidence for Underlying Expectations in Discourse Processing Vol. II. pp. 138 ff.

١٥) مازن الوعر. ١٩٨٧. نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الاساسية في اللغة العربية. خلاص للدراسات والترجمة والنشر. دمشق. ص١٠٥

١٦) المصدر رقم (٦)

17) Mc Carus. Earnest N. 1976. A Semantic Analysis of Arabic Verbs. Michigan Oriental Studies. An Arbor. Michigan. p.4 ff.

١٨) المصدر رقم (٦) الفصل السادس.

19) Dillon, George. 1977. Introduction to Contemporary Linguistic Semantics. Princeton Hall. p.109.

٢٠) المصدر نفسه.

٢١) المصدر نفسه.

Digitized by Birzeit University Library

22) Abu- Ghazaleh, Ilham N. 1983. Theme and Function of the Verb in Palestinian Arabic Narrative Discourse. (Unpublished Dissertation) University of Florida.

23) Buberik, Vit. 1979. Thematization and Passivization in Arabic Lingua 49. pp. 304.

24) Halliday, M.A.K. and Ruqaya Hasan. 1979. Cohension in English. Longman p.245.

٢٥) نفس المصدر.

٢٦) المصدر رقم (٦)

٢٧) المصدر رقم (٦)

28) Saad, George N. 1975. Transitivity, Cousation and the Derivation of Passives in Arabic University of Texas. Unpublished Dissertaotion. p. 38.

٢٩) نفس المصدر.

30) Sawaie, M. 1980. Discourse Reference & Pronominalization in Arabic. Ph.D. Dissertation. The Ohio State University. p.26. ff.

٣١) انظر المصدر رقم (١٧).

٣٢) انظر مفهوم باولو فريد عن العلاقة بين العمل والفكر في كتابيه:

Freiri, Paul. 1985. Education for Critical Consciousness. Sheed and Ward. London. (Pedagogy of the Oppressed). 1972.

33) Jameson, Fredric. Penguin. p.185.

Digitized by Birzeit University Library

فيرا أولوفا - سكرتيرة اتحاد الكتاب في تشيكوسلوفاكيا

نؤيد نضال الشعب الفلسطيني من أجل الحرية والاستقلال

أجرى الحوار: محمود شقير

السؤال الأول

اعط فكرة عن بدايتك للكتابة؟ كيف ومتى بدأت بالكتابة؟ ما هو المؤثر الذي دفعك للكتابة؟

لقد ابتدأ ميلي للكتابة في طفولتي المبكرة، وكان الدافع في البداية نزعات طفولية وليس بهدف منظم. ملكت عائلتي الكثير من الكتب التي قدم من أجلها الأصدقاء والضيوف. وكان لوالدي عادة: وهي أن يقرأ لنا. وكان يعاقبنا عندما كنت وأخي نتشاجر، فيوقف القراءة. مما أضطرنا للقراءة بأنفسنا. لقد ذهب أخي للمدرسة. وعندما كنت في الصف الأول كنت أستهزأ "بالأطفال الأغبياء" الذين يجهلون الأحرف، وحتى لا أكون على شاكلتهم حملت كتبي الخاصة.

لقد كان لمدينتي الأم براغ أثر كبير على خيالي الأدبي. الأمر المستغرب أنني لم أكتب شعر بالرغم من أن الشعر كان محببا لدي كبنت شابة. ومن حسن حظي في "الثانوية" وفي الجامعة لاحقا أن مدرسي لم يكونوا معلمين فقط وانما خلقوا لدي الموهبة والرغبة بالاهتمام بكل شيء من حولي، الأهتمام بالتاريخ الحافل لوطننا وبالقيمة الغنية للثقافة التشيكية. لقد قادني كل ذلك الى أن أحاول، فكانت تجربتي الأولى في "الرواية التاريخية" وكان عمري آنذاك ٢٠ عاما.

السؤال الثاني

ما هي المواضيع الأساسية التي تطرحيها في رواياتك؟ كيف تنظري لوضع "الحرب والسلام"؟

لقد عشقت مدينتي الأم براغ، الموضوع الأول كان براغ في فترة "رودولوف الثاني" في منتصف القرن السادس عشر. حيث بدت لي هذه الفترة نموذجية في الرومانسية والحضارة ثم اهتممت في الروايات البيوغرافية الخاصة بالقرن العشرين، هذا القرن الحافل بالأفكار

Digitized by Birzeit University Library

والأكتشافات والأختراعات. والأمر الذي اهتممت به غالبا هو قضايا العلاقة بين الوالدين والأطفال ، قضايا المرأة المعاصرة وحقوقها، وعلاقة المجتمع بالأطفال وكبار السن.

لقد عشت الحرب الثانية بمشاقها وتجاربها عندما كنت فتاة صغيرة وكانت بالنسبة لي ذاكرة مستمرة، ولذا عدت لها في رواية "قبضات عنق الخريف" حيث أعتقد انها تكتسب أهمية في الحياة اليومية الراهنة. ومرة أخرى بواسطة الأدب أعود لتصوير مشاهد الحرب وفظائعها، والتي يتوجب أن تكون الأخيرة في فترتنا الحالية والآن تتكرر المشاهد وعلى شكل آخر. على شكل حرب الموت المسمى بحرب النجوم، المشاكل الأيكولوجية وتدمير البيئة، الارهاب، وكل المظاهر التي تهدد البشرية.

■ السؤال الثالث

اعط فكرة عن الأدب التشيكوسلوفاكي الخاص بالأطفال. ما هي خبرتك الذاتية خلال كتابتك عن الاطفال؟

■■ يملأ أدب الأطفال والشباب في بلادنا تقاليد قديمة وعريقة، وهناك اجماع واسع للعمل من أجل سعادتهم ويستند هذا الأجماع على أنهم قسم مهم في الحياة ولذا يجب الاهتمام بتطورهم الحسي والروحي. ووفق ذلك فان الذي يكتب للأطفال مؤلفون ذوي خبرة عالية ومستوى فني يملك أثرا تربويا وثقافيا عاليا ومثلا أساسية . للحقيقة يمكن القول ان من يكتب للطفل عندنا "أسياد الكلمة" أسوق على سبيل المثال الكاتب الكبير " كارل شبكا" المتخصص فقط في الكتابة للأطفال.

في اعتقادي ان كتابة مؤلفات جيدة للأطفال لهو أمر أصعب بكثير من الكتابة للبالغين، حيث باستمرار يوجد هاجس لأي أطفال تكتب. اذ يوجد فرق كبير بين جيل ٥ سنوات وجيل ١٠ سنوات بالرغم من أن الطرفين يعتبروا اطفالا. واذا كان المؤلف يكتب للأطفال والكبار فمن المحتمل أن يقع في مخاطرة هو أن يكتب شيئا لا يستصيفه الطرفان.

شيء آخر يتعلق بالأدراك الخيالي، اننا نملك كتبا صورية رائعة، وهي مهمة جدا لصغار الأطفال، الذين لا يستوعبون ولكن الصور تساعدهم. وهنا يتوجب على المؤلف ان يكون بمستوى فني راق حتى يجعل الأطفال يعيشون مع الكتب. ان وجود التلفزيون يجبر المؤلف ان يكون مبدعا حتى يتسنى للأعمال الأدبية هذه منافسة التلفزيون لدى الأطفال.

■ السؤال الرابع

هل قرأت بعضا من الأدب الفلسطيني؟ ما هو رأيك فيه؟ كيف تشعرين أزاء الشعب الفلسطيني من خلال معاناته لأجل حريته واستقلاله؟

■■ الأدب الفلسطيني منتشر الآن عندنا، الا ان المعرفة به ليس بشكل منظم، فعندما يصدر شيء فان اهتمام القراء به كبير، الأمر يتعلق في الألمام بحياة غير معروفة لدينا، لها جذورها الثقافية وتقاليدها البعيدة عن تلك الموجودة في بلدان وسط أوروبا. يوجد روايات وقصص غير معروفة يفتقر لها القراء. لقد أقيمت لدينا فرص في اتحاد الكتاب التشيكوسلوفاكيين بالألتقاء بوفود من الكتاب والأدباء الفلسطينيين، وكنا نحرص دائما أن نطلب منهم ارسال كتب ومؤلفات وروايات فلدينا دور نشر قوية، الا انه يوجد عقبات، فالأمر يتعلق بشعب يقاتل ولذا لم تصلنا الكتب المطلوبة. لذلك لا أستطيع بالتحديد أن أحكم بدقة على أدبكم ويؤسفني

Digitized by Birzeit University Library

القول أن ذلك خسارة لمبادىء التعاون الدولي المشترك وتقريب التفاهم بين الشعوب ونشاطاتهم السلمية.

ان نضال الشعب الفلسطيني من أجل حريته الوطنية هو نضال عادل. ان بلدنا عاشت لأكثر من قرن تحت حكم الأمبراطورية النمساوية-المجرية ولذا ندرك ظروفكم بشكل جيد ونكن الاحترام والتضامن لنضال الشعب الفلسطيني ونثق بأنه سيحقق أهدافه.

اصدارات جديدة
لاتحاد الكتاب الفلسطينيين

القدس - يواصل اتحاد الكتاب الفلسطينيين، اصدار عدد من ابداعات أعضائه، فقد صدر مؤخرا، الجزء الثاني من "ابداعات الحجر"، متضمنا، العديد من القصائد وا لقصص القصيرة والخواطر الأدبية، كما صدر للكاتب سامي الكيلاني ديوان "قبل الأرض واستراح" وقد تصدر ديوان الكيلاني، تقرير لعصبة حقوق الأنسان والمواطن، بقلم يوسف الغازي، وهو التقرير الذي قدمته العصبة دفاعا عن الكيلاني الذي اعتقل في حينه بسبب كتابته للشعر، وأما يوسف المحمود، فقد صدر له ديوانه الأول، "زغاريد على بوابة الصباح". وكان صدر عن الاتحاد رواية "الهمج" للدكتور عبدر الرحمن عباد، يتناول فيها دخول الهكسوس الى مصر، والاستيلاء على أراضي الفلاحين، وتسخيرهم عبيدا لهم، وثورة المصريين عليهم،

من جهة أخرى، يستعد الأتحاد لاصدار مجموعة أخرى، من الأعمال الأدبية، حيث من المقرر أن يصدر الاتحاد خلال شهر آذار الحالي عددا من الكتب لعبد الحميد طقش، ماجد أبو غوش، محمد أيوب، وسيم الكردي، حسين جميل البرغوثي، ومحمد شحادة وآخرين.

Digitized by Birzeit University Library

قراءة في " موتى بلا قبور"

ماذا سيفعل "جان" بعد تحرره من الأسر

صافي صافي

قدم "مازن غطاس" و"نبيل عازر" مسرحية "موتى بلا قبور" المأخوذة عن "جان بول سارتر" نماذجا من الشخصيات التي وقعت في أسر الفاشية الهتلرية عشية انتهاء الاحتلال النازي لفرنسا، وبغض النظر عن مكان الحدث (فرنسا)، فان "الورشة الفنية" قدمت هذا العمل هنا لما تنطوي عليه تلك الشخصيات من أبعاد انسانية مقارنة بأوضاع أخرى تجري في العالم، واذا كانت فكرة المسرحية قد استندت الى مقولة التحدي وضرورته، سواء جاء هذا من عوامل خارجية (اعتقال) فان هناك تحد آخر في داخل الانسان نفسه، وهذا الصراع لهو من الأهمية بمكان بما فيه الجانب الانساني والذاتي بحيث اذا حسم نحو قبول التحدي فانه لقادر على مواجهة العامل الخارجي وتغييره، ولست هنا معني بمناقشة كل تطور وتغير وحسم لكل شخصية على حدة ولكنني معني الآن بدراسة احدى هذه الشخصيات، ألا وهي شخصية القائد، "جان".

لقد خرج "جان" من الأسر، باعتبار أنه اعتقل بالصدفة وعلى أنه شخص آخر، غير ذلك الذي يبحثون عنه، خرج محطما نفسيا ومنهارا جسديا، لا يقوى على السير، باكيا، منتحبا ودون أن يودع رفاقه، خرج وقد استشهد كل من "فرانسوا" و"سوربيه" في السجن، "فرانسوا" قتله الفاشيون بأيدي رفاقه حين قرر الاعتراف قبل استدعائه للتحقيق، و"سوربيه" القى بنفسه من الشباك حين أيقن أنه لا يستطيع احتمال مزيد من التعذيب، خرج بعد ما لم يعترف عليه أحد، حرا طليقا الا من أزمة نفسية عميقة لا نعرف كيف سيتغلب عليها.

ان ما حدث معه داخل الأسر لم يكن الشيء الوحيد الذي أثر في نفسيته، فهناك تراكمات قبلها، والسجن هو استمرار للحياة بطريقة أخرى، لكن السجن لم يجعله يستمر كقائد، وانتقلت زمام الأمور ل"هنري"، فزوجته كانت قد توفيت حاملا، والمعركة الأخيرة خسرها، وحين

Digitized by Birzeit University Library

دخل غرفة الاعتقال، لم يفعل ذلك كقائد، دخل بصفته رجل عادي يريدون التحقق من شخصيته، وان ستين رفيقا سيأتون للقرية يوم الثلاثاء دون معرفتهم باحتلال القرية، وبالتالي عليه أن يخرج ويخبرهم، دخل الغرفة وقد فوجيء بحبيبته "لورا" أمامه كعضوة في احدى مجموعاته لمقاومة الاحتلال النازي، والثلاثة الآخرون هم "هنري"، "سوربيه" وأخيها الشاب الصغير "فرانسوا"، لقد شاهد وعن قرب العذاب النفسي الذي يعاني منه المعتقلون، وعزى كل شيء لذاته، لينعكس تأنيبا لضميره. في الوقت الذي استقبله الجميع كقائد، بمن فيهم "هنري"، الا أن زمام الأمور انتقلت ل"هنري" باعتباره ذا تجربة سابقة في المعتقلات، هذا واذا أخذنا بعين الاعتبار ان القيادة العسكرية ل"جان" قد انتهت حال دخوله السجن لتنتقل للقيادة السياسية، وبهذا الخصوص لا نستطيع القول بأن القيادة متمثلة فقط في "جان" ولكنها فقط في "هنري" أيضا وباختلاف المواقع، "هنري" يقول بأنه اذا كان لا بد من الموت سواء بالاعتراف (الموت جماهيريا) أم بالصمود (الموت قتلا) فانه ليس مقبولا الموت جماهيريا، هذا وان هناك احتمالا ضئيلا بعدم الموت اذا لم يتم الاعتراف، وهكذا اصطدم "هنري" مع "جان" ونفذ حكم الاعدام ب "فرانسوا" رغم معارضة "جان" لذلك، وحين هم بأن يسلم نفسه ليخلص هو من تأنيب الضمير وليخلص الباقي من بعض عذاباتهم. "هنري" هذا نافس "جان" على علاقته ب"لورا"، ف"جان" يعتقد أن "لورا" تحبه وستصمد أمام التحقيق في سبيله، بينما يرى "هنري" ان صمودها من أجل ان تنتصر لنفسها، ان تقبل التحدي، فالمحققون يريدون تحطيم نفسية الأسرى بالاعتراف، ورغم ان المسرحية تناولت الاعتراف من هذا الجانب (التحدي) الا أن اختلاف مفهومي "هنري" و"جان" يبرز احد جوانب الصراع ورؤية الواقع، "جان" لم يحتمل كذلك انتهاك "عرض" "لورا" بينما هنري يتقبل الأمر ضمن رؤيته العامة للأمور.

الغريب في أمر"هنري" مقارنة ب"جان" هو أن الأول "مقطوع من شجرة" ، لا أب ولا أم ولا أخوة، لا حبيبة حقيقية، وهو يناضل من أجل كل الناس دون ربط ذلك بوضعه الذاتي، دون أن يملك علاقة انسانية بهؤلاء الناس، علاقاته الاجتماعية بالأهل والأصدقاء والأرض والشجر وكل شيء حوله، والا فما معنى النضال؟! وهذه مفارقة لا يمكن قبولها على أرض الواقع، فالذات في النهاية ليست سوى مجموع العلاقات الاجتماعية المتركزة في ذلك الشخص، فالمناضل مناضل من أجل مجتمعه الا اذا أراد الكاتب ان يبرر صفة المنتقم ل"هنري" اذا كان قد فقد كل هؤلاء بسبب الاحتلال النازي، وهذه لا يمكن قبولها أيضا لأنه اذا فقد هؤلاء الناس جسديا فلا يمكن ان يفقدهم معنويا، "هنري" يملك "ولاحدا" وبالتالي فهو مناضل مثالي، ليس لديه ما يخسره، بينما جان فقد أشياء كثيرة، لذلك للانهيار مكانا في داخله!!! بينما هذا النموذج لا يمكن قبوله في أي حال من الأحوال، ان هذا النموذج مقبول عند "سارتر" لكن ليس على أرض الواقع، ولا يمكن قبوله كقائد ميداني حتى لو كان ذلك في المعتقل، فالمعتقل هو الحاضنة المكبوتة

Digitized by Birzeit University Library

والاجترارية لكل العلاقات الانسانية للفرد، وهو ترجمة كل العلاقات الانسانية ليعكسها في مرآة النضال وليواصل الصمود.

بنفس القدر الذي فوجئت "لورا" بحبيبها "جان" الذي اعتقدت قبل مجيئه أنه يفكر في كل واحد منهم، فان "جان" هو الآخر فوجيء بأحدى مجموعاته وخاصة "لورا" في المعتقل، وحتى يخلص حبيبته وأخيها "فرانسوا" من الاغتصاب والعذاب، فان النتيجة كانت ان حاول ان يندفع للاعتراف لولا هنري الذي منعه من ذلك وبكل قوة، بقوته الجسدية أكثر مما كان بقوة منطقه، رغم ان "جان" هو القائد العسكري، لقد جن "جان" فعلا بعدما انتهك "عرض" حبيبته ليكون الحد الفاصل في الانهيار شبه الأخير، "لورا" انتصرت على التحقيق ليس من أجل "جان" كما يقول "جان" وانما من أجل قبول التحدي كما يقول هنري، واذا كان "جان" قد اعتقد ان ما يقوله "هنري" صحيحا فان ذلك حطم نفسية "جان" أكثر مما قبل.

وما علاقة "جان" مع كل من "سوربيه" و"فرانسوا"؟ لقد قبل "سوربيه" التحدي ولم ينطق بحرف واحد،ومن أجل ذلك وحتى لا ينطق بحرف واحد ولئلا يرى التعذيب التالي (قلع الأظافر)، طلب ان تفك القيود من حوله والقى بنفسه للانتحار، ان تحطم رأس "سوربيه" وتناثره قد ولد عقدة أخرى في نفسه، ولقد اقترف ذنبا حين أعلم "فرانسوا" بذلك، بل أراه اياه، لم يبق أمام "فرانسوا" حتى يخلص من الموت ولأنه يعرف بأنه ليس بطلا سوى الاعتراف أمام المحققين، حين أصر "فرانسوا" على ذلك، وأيقنت "لورا" جدية ذلك، وحين أتخذ قرار اعدامه، وقف "جان" بكل قوته لمنع "هنري" من ذلك، طالت جولات العراك بين "هنري" و"جان" حتى انهك الأخير، وبذلك استفرد "هنري" ب "فرانسوا" الذي استسلم هو الآخر للموت.

"جان"، "القائد" لم تقم بينه وبين المحققين أية علاقة في المسرحية، فبحكم المنطق خرج، واختصرت العلاقة بينه وبين السلطة الفاشية بأن القى "الشرشوح" به الى غرفة أسر المجموعة، ولا أجد مبررا لذلك حتى تكتمل الصورة، الا اذا أكملت بصورتها المنطقية، وهو أنه انسان عادي، اعتقل بالخطأ، لكننا لسنا متأكدين انسجاما مع تطور شخصية "جان" في العرض والذي بدأ بالقول بأنه خسر معركة وسيعيد الكرة مرة أخرى وانتهى بالانهيار، لسنا متأكدين بأنه سيصمد، صحيح أنه لم يبق أحد ليعترف عليه بعد اعدام "فرانسوا"، لكن حبيبته ستتعذب أيضا حتى حين خروجه، واذا كان منطقيا أنه لم يعترف وبالتالي خرج فهل هذه بداية لبناء شخصيته القيادية من جديد وقبول التحدي؟ (لا يناضل أحد من أجل ان يتحدى، بل يتحدى كأحد أساليب النضال، وحتى التحدي لا يمكن اختصاره شخصيا (ذاتيا)، وبالتالي هل سيستمر بعد خروجه؟

نحن بالتالي أمام طريقين لم تحسم نهاية المسرحية أيا منهما اختار "القائد"، خرج دون أن يودع أحدا ودون أن يعاهدهم على انقاذ حياتهم وأهاليهم، خرج دون أن يهنئهم على صمودهم، دون أن يشكرهم (اذا كان الأمر ذاتيا لهذه الدرجة)، منهارا، محطما، بالكاد يستطيع المسير، ينتحب بصوته كما لو كان مضطرا للخروج لأنهم فقط أفرجوا عنه. هل سيواصل الرسالة

Digitized by Birzeit University Library

للستين رفيقا الذين سيأتون للقرية؟ هل سيخبرهم فقط وينزوي يعاني ويعمق أزمته النفسية وحيدا؟ هل سينضم اليهم؟ لم تبن المسرحية أيا من الاتجاهين ولكنها في النهاية شخصية لقائد منهار غير أهل لقيادة معركة التحرير، قائد اختصر كل ما حدث في ذاته ولم يستطع الخروج منها، مقابل "هنري" "القائد" الجديد الذي ذاب ذاتيا في ما حوله، ليس لأنه يريد ذلك، بل لأنه هكذا!! نزل من "السماء" مناضلا، بدون تاريخ مسبق سوى أنه كان طبيبا، يحترق من اجل غيره دون ذاته.

ضابط اسرائيلي في فيلم "وضع خطير"

أنتج ضابط اسرائيلي يدعى "حاييم برشيث" فيلما عن الانتفاضة الفلسطينية، كان من المقرر أن تعرضه شبكة التلفزيون البريطانية ال "بي.بي.سي." ليلة ١٩٨٩/٣/١٤. ويقول هذا الضابط بأنه خدم كضابط في وحدة جولاني.

وعلم أن هذا الفيلم أنتج بعنوان "وضع خطير" لصالح لجنة حرية الرأي للفلسطينيين والاسرائيليين وهي حركة تعمل في لندن لأجل التعايش بين اليهود والعرب. ويقول الضابط بأنه تم قتل واصابة مئات الأشخاص الفلسطينيين في معسكر جباليا للاجئين الفلسطينيين.

وعندما سأله مراسل "معاريف" فيما اذا كان هذا الرقم مبالغ فيه، قال الضابط "انني متأكد من أن الرقم صحيح". ويستعرض الفيلم بواسطة أعضاء في منظمات يسارية وحركة "السلام الآن" ونواب من الكنيست الاسرائيلي القضية الفلسطينية، ويعطي انطباعا عن وحشيه ولا انسانيه من جانب اسرائيل. ويصور الفلم طفل فلسطيني جريح وجنودا اسرائيليين يطلقون الغازات المسيلة للدموع، فيما تظهر نساء فلسطينيات يستصرخن من أجل النجدة.

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

يوم غائم

حليمة جوهر

دقت اشارة ضبط الوقت تمام السادسة صباحا وانطلق صوت المذيع جهوريا "سيداتي سادتي أحييكم وأقدم لكم نشرة الأخبار الأولى لهذا اليوم العاشر من شباط، تفيد الأنباء ان درجة الحرارةاليوم ارتفعت ارتفاعا شديدا اعلى من معدلها السنوي، حيث سطعت الشمس وكست الأرض والجدران بحلة حمراء جميلة ..."

وانساب صوت المذيع، يتلو الأخبار برتابة وملأ صوت ارجاء البيت فامتزج بصراخ "أمونة الصغيرة" معلنة عن جوعها .

تركت هذه الضجة الصاخبة وهرولت الى السطح، فاليوم درجة الحرارة عالية وهذه فرصة لا تعوض يجب أن نتمتع باشعة الشمس بل يجب ان ننصهر بحرارتها المرتفعة حتى العظم .. والكل صغارا وكبارا نساء ورجالا في حركة دؤوبة سريعة، وراحت اطارات الكاوتشوك تتدحرج على الطرقات، لحظات.. ترتفع حرارتها ويتأجج لهيبها، " هاج الناس وماجو" غلى الدم في عروقي، امتلأ صدري غضبا وحماسا، اقفلت باب السطح، وركضت نحو الباب الخارجي، لا تزال "أمونة" تصرخ ..

- أمونتي حبيبتي، أهذا وقت البكاء ؟!!.

أعددت زجاجة الحليب بسرعة واعطيتها اياها.. حملت كيسا وزجاجة عطر وخرجت .

توسطت الشمس السماء وارتفعت درجة الحرارة شيئا فشيئا، ازداد اللهيب، لحظات .. تحركت غيمة نحو الشمس، التهب الناس.. التحموا.. كروا .. وكروا، دلقوا الماء فوق كريات تساقطت حولهم في الطرقات وتصببوا عرقا ودموعا ودما . مدوا ايديهم نحو الغيمة، عشرات الأيادي امتدت كيد واحدة، انحسرت الغيمة .. مدوا اياديهم..تقلصت.. مدوا .. تلاشت .. تلاشت و.. اختفت هلل الناس مسحوا عيونهم وانوفهم تزودوا بالعطر ومدوا .. مدوا كالبحر، علا صوتهم ومدوا، ارتفع الصوت، وعلا، سجلته آلات صغيرة وكبيرة وتناثرت موجاته عبر الأثير ليطوف العالم . و .. غيمة سوداء كبيرة كبيرة، غيوم زحفت بكل ثقلها، حجبت بعضا من أشعة الشمس وتقدمت، ازداد مد الناس وازداد ثقل الغيوم، نزلت كريات الثلج بمختلف انواعها، تبللت وجوه الناس ولم يعد العطر ينفع، ولا الأكياس الممتلئه .. و ... بدأوا بالجزر ... الجزر .. لا يهم فالبحر يعيش حالة الجزر استعدادا لمد عميق .. خطوة خطوة الى الوراء من أجل اثنتين الى الأمام .. هيا فالجزر الآن مطلوب، وكفتا الميزان غير متعادلتين ...

غيوم كثيفة تغطي السماء .. هدرت وأرعدت ونزلت ثلوجها كثيفة غزيرة في كل اتجاه .

Digitized by Birzeit University Library

طرقت باب البيت خلفي واغلقته جيدا، ازدادت دموعي داخل البيت.. فهو مليء بالرائحة الكريهة .. وتهادى الى سمعي صوت أمونة وقد تحول الى أنين .. هرعت الى غرفة الأولاد .. صدمني المنظر، امتلأت غضبا.. ماذا أفعل ؟!.. وددت لو أطير .. أقفز من الشباك وأنادي أحد مصوري التلفزيون في الخارج، ليرى ويسمع قيس بن الخامسة، يمسك برأسي بصل، يضع أحدهما عند أنفه، والآخر على أنف أخته أمينة، أبنة السبعة شهور .

اللعنة على كل الفيوم .. يا الهي ماذا أفعل الآن، الأولاد في خطر والفيوم كثيفة خارج البيت. دلقت العطر على وجهيهما، ناولت قيس الزجاجة واوقفته قرب النافذة .. حملت أمونة .. طرق الباب بعنف .. سعلت الصغيرة بقوة.. تقيأت.. ازداد الطرق .. تساقط الزجاج..و.. "ماذا تقول الريح لطفل يصيح " هرع قيس، أمسك بثوبي والتصق بي بقوة .. علا الصوت في الخارج مهددا.. ازداد سعال أمونه والتصق قيس بي :

- لا تفتحي يا أمي .. قولي لهم انا لا أذهب الى المدرسة.. قولي لهم أمونه كانت في بطنك صغيرة لا تمشي .

- لا تخف يا حبيبي لا بد من فتح الباب .

اندفع أولهم كالثور في حلبة المصارعة مرعدا .. ومحملقا بشراسة .. دفعني وهرول داخل البيت.. أين هم ؟... أين هم ؟... تبعه بقية القطيع .. لحقت بهم، لا بد وان أتابع تحركاتهم في مثل هذه الحالة، فهم كالحية لا أمان لهم .

صعد أحدهم الى السطح ووقفنا جميعا في انتظار عودته، مد أحدهم يده باتجاه أمونه أراد مداعبتها :

- حلوة .. وشعرها كثيف وجميل، كم عمرها ؟؟

ابتعدت بها بحركة غاضبة: "ملعونة عظام جدك، ألك عين ترى جمال الأطفال .. قلت ذلك لنفسي ثم أشرت الى وجه الصغيرة:

- ألا يعجبك هذا المنظر ايضا .. دموع وسعال وقيء وأنين.. حقا أنه منظر جميل، اذهبوا وحدثوا نساءكم واطفالكم عن هذه المناظر .

تكلم باللغة الأخرى هذه المرة كلاما لم أفهمه لكني شممت منه رائحة الشتيمة والزجر . نزل من كان على السطح ملوحا بعصاه وقال :

- هات بوية واخرجي - ترجمها لي من يتكلم العربية .

- وماذا أفعل بهؤلاء ألا ترى ؟!!!.

فهم ما أقول .. بصق .. شتم.. ضرب عصا .. اثنتان.. دفع قيس .. تساقط لوحان من الزجاج .. اندلغت تنكة الزيت ..و... خرجوا.

زاروا بيوت القرية بيتا بيتا، وحيوها بنفس التحية، ولما لم يجدوا أحدا مسحوا ونظفوا .. زمجروا وهددوا .. وغلوا كالمراجل من الغيظ ... بينما كان الشباب في طرف القرية بعيدا يجلسون بهدوء يقيمون اليوم ويخططون لليوم التالي.

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

طقوس عادية جدا

لن أكتب لسماء سطرا بعد اليوم كي
أضمن حقي في أن يكتب فوق القبر
يحوي هذا عظم فلسطيني

(عبد الحميد طقش)

محمد رجب

* مع صيحات الديك الاولى معلنا قدوم يوم جديد، كانت المرأة تنهض من فراشها لتتوضأ أو تصلي وتجلس بعدها مسبحة مصلية على النبي وصحبه ورسله ثم تزلف للحاكورة لتلتقط مما نضج من ثمارها وتضعها في سلة صنعت من القش وتذهب قبل بزوغ الشمس عابرة أزقة المخيم الى الطريق الترابي ثم الى الطريق المعبد الذي يتقاطع مع خط السكة الحديد ثم الى الطريق الترابي مرة أخرى لتصل الى المقبرة مع ظهور أول شعاع لأشعة الشمس.

××××

حكاية.... طقوس أصبحت جزءا من المخيم فتلوث بلونه واصطبغ بصبغتها حكاية تعودها الكبار وحدثوا بها صغارهم، وصغار كبروا وحدثوها لصغارهم وجاء مراسلو الصحف المحلية والاجنبية التقطوا الصور للمرأة العادة والمرأة الحكاية حاولوا أن يأخذوا احاديث صحافية منها وأن يعرفوا سبب عادتها اليومية ولكنها لم تدل بأكثر من بضع كلمات تبدو وكأنها تحفظها عن ظهر قلب.

××××

هل رأيت وجها يشع بفرح حزين؟ وهل جربت حزنا فرحا؟.. هذا ما كتبه صحفي محلي عندما تحدث عن تلك المرأة فقال ان هذا المعنى ليبرز بشدة على تجاعيد ذلك الوجه، عندما تسألها عن سر حكايتها. تلمع حبات دمع ماسية في عينيها وتقول بانفعال عادي وبصوت يبدو هادئا "ما الغرابة في أن أزور ابني وآخذ له ما نضج من ثمار حاكورتنا". تتغير نبرة صوتها وتبدو وكأنها تكلم نفسها. "عندما عادوا به محمولا... نظرت الى ظله فرأيته يمتد.. ويمتد ليلتقي بالأفق، ونظرت الى شقوق جدران البيت فرأيتها تذوب وتتلاشى.... ونظرت الى أشجار حاكورتنا فرأيتها تخضر وتثمر.. هل يستحق اذن أن أهديه

Digitized by Birzeit University Library

بعض ثمارها؟؟!!

××××

وفي لحظات ما قبل الفجر... أفاق العمال كعادتهم وأثار نعاس وبقايا شهوات الليل في عيونهم... يستعدون لرحلة العبودية اليومية داخل نقطة (ايرز).

أفاق العمال ومعهم أهل المخيم جميعا على صوت مكبر الصوت مختلطا بنباح كلاب ضالة (ممنوع التجوال حتى اشعار آخر ومن يخرق هذا المنع يعرض نفسه للخطر). وبدأ الحديث بأصوات تشبه الهمس تحت السقوف الكرميدية (والحاضر يعلم الغائب) فمن الناس من عاد لفراشه وراحة اقتحمت قلبه ومنهم، من بدا متوترا الا تلك المرأة العادة التي بدت وكأنها لم تسمع شيئا فبعد أن توضأت وصلت نزلت للحاكورة وبدأت ممارسة طقوسها اليومية.

××××

وقبل بزوغ أول شعاع من أشعة الشمس كانت المرأة تخرج من باب الدار تحمل سلتها حاوية مالذ وطاب لابنها هناك في المقبرة، كان صباحا عاديا ككل صباح بالنسبة لها، التوقد في العينين والطمأنينة تكسو تجاعيد الوجه الأسمر فيبدو أكثر شبابا، متجهة الى شرق المخيم تستقر هناك عصافير الجنة تنعم بخيراتها وتنتظر الخيرات التي تجلبها المرأة العادة.

××××

مادت الأرض تحت أقدامها، ترنحت المرأة حاولت أن تمسك نفسها ولكن الجسد الجاف ارتطم بالارض محدثا صوتا اختلط بأزيز الطلقة وصرير تدحرج سلة القش على الأرض، ونز الدم حارا لزجا حفر، رسم خارطة للوطن، وعصافير الجنة طافت مغردة تزف العروس الى عريسها، كانت المرأة تفتح عينيها بهدوء وابتسامة تستقر على شفتيها، وظلت الابتسامة عالقة حتى بعد أن لفوا الجسد الجاف بقماش أبيض وواروه التراب.

××××××

Digitized by Birzeit University Library

شعر

عاج الشقي على شعبي يغالبه

علي الجريري

أنا مِلكُ يَدَّيكِ
يا أميرةُ فاسلمي
ما هِمتُ يوماً على رسمٍ أُسائِلُهُ
ولا عَرَجْتُ أسأل عن خمارة البلدِ
فلقد دَرَجْتُ على الطريق
يقودني اليكِ الهوى حيثُ الهوى يَجِبُ
حتميةُ العَصْرِ أنا سَنَنْتَصِرُ
وَمَشَيْتُ مُذْ عَرَفتُكِ
حَامِلا رُوحي على كَتِفي
فأسألي عني شوارع غَزَّةَ والمخيمَ والقُرى
واسألي عني الحواري والشواطيءَ والندى
ومدينةَ القدسِ تسهرُ فوقَ خاصرةِ الليل
تطاردُ الذئابَ في عرينها
هي قبلةٌ أولى ولا غَيْرها
أولى بِها من رباط الخيل يا عَرَبُ
أنا دولةٌ وشَعْبٌ في كل حرفٍ
من أبجدية رحلتنا الجَديدة
هي انتفاضَةُ شَعْبِنا تُقَرِّرُ النتيجة
عبروا يوم "عشرة اثنين" وفاصلة عنيدة
لا ديرة الاردن دَاري
ولا أهرامُ مصر توقفُ رحلتي
والقدس عَاصمتي العَتيدَة
عاج الشقيُّ بحقدِهِ
على شَعْبي يُغالِبُهُ
وأمضي بدَرْبي أبيّا
لِيَبْقى شَامِخًا عَلَمي

Digitized by Birzeit University Library

شعر

الحلم العنيد

مالك قطينة

مرأً كحرقة أدمعي !!
دوما أحسك في دمي

صلباً، كجذع المدفع !!
يا حلميَ الباقي معي !

لَفَظَتْك ألسنةُ الحريقْ
فحملتُ همَّك، كيف لا؟!

ورماك أسفلتُ الطريقْ
اذ أنتَ لي أغلى صديقْ!

ومضى بنا موج البحار
نمشي على الامنا،

في النوء، يخترق الحصارْ
لنعبَّ من نور النهار

ومضى بنا هوجُ الرياحْ
فوجدتَ، يا هذا الشقي

عصفاً، ينُزُّ بكل ساح
بصخبه، عذبَ الصداح!

فصرختَ: لن يبقى الفسادْ!
ووقفتَ تهتف منشدا :

يا من تذلون العبادْ!
هبوا ضحايا الاضطهاد!!

سمعوك تشدو بالنشيدْ
وجدوك، حين أتوا به،

صرخوا: له زرد الحديدْ
صلباً، كأرض لا تميد

صاحوا بايلام حقودْ:
فأجبتُهم : سخفاً لكم،

في وجهه سُدُّوا الحدود!
فالحلم لا يخشى القيود!!

Digitized by Birzeit University Library

اصداء ثقافية

"بدأت الحدوتة"
لعبد الحميد طقش

عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين، صدرت مؤخرا مجموعة شعرية للاستاذ عبدالحميد طقش في ١٢٨ صفحة من الحجم الكبير، كتبت في سنة ١٩٨٦، وقد جاءت على شكل ألوان شعرية في اطار روائي.

صمم غلاف الديوان وخطوطه ولوحاته، الفنان ابراهيم المزين.

القنبلة الشرقية
لمصطفى مرار

عن دار الأسوار في مدينة عكا، صدرت الطبعة الأولى من المجموعة القصصية "القنبلة الشرقية" للكاتب المعروف مصطفى مرار، وكان صدر للكاتب اثنتا عشرة مجموعة قصصية.

اشتملت المجموعة الجديدة، على خمس وعشرين قصة قصيرة، في مئة وثلاث وعشرين صفحة من الحجم المتوسط.

الموت على الاسفلت
لعبد الرحمن الابنودي

صدر الديوان الشعري الجديد "الموت على الاسفلت"

للشاعر المصري عبد الرحمن الابنودي. ويقع الديوان في ٨٦ صفحة. وتزين رسوم ناجي العلي. وقد أهدى الشاعر الابنودي ديوانه الجديد "الى ناجي العلي الفنان الشهيد والى شهداء فلسطين في الماضي وفي المستقبل، في الذكرى الأولى للانتفاضة".

اصدارات جديدة

غزة .. غزة

في طبعة على جانب كبير من الاناقة، صدر حديثا ديوان «غزة .. غزة» للشاعر الفلسطيني المعروف هارون هاشم رشيد في تونس، وقد توزعت صفحات الديوان نخبة من رسوم الفنان الفلسطيني برهان كركوتلي التي تالقت كل التالف مع قصائد الشاعر.

هارون هاشم الرشيد، اسم يرادف الكثير من اسماء الشعراء الفلسطينيين الذين نكبر عطاءهم ونكبر دورهم، والذين كان لنا من شعرهم ومن مكابدتهم ما نظل نفتخر به.

والقصيدة عند هذا الشاعر لا تقف عند شكلية معينة. انها تبدا من مضمونها في تسجيل لغتها الشعرية، فقد تبدا من القصيدة العمودية، او تبدا من الشكل الجديد للقصيدة الحديثة، اسوة بغيره من شعراء جيله من الذين يؤمنون بان للمضمون ان يتحكم في شكل القصيدة فيخرج بها الى ما يعزز كثافتها التعبيرية.

«المرأة العربية»

انه عنوان الكتاب الجديد الذي صدر عن دار «رياض الريس للكتب والنشر» في لندن لمؤلفته الكاتبة الفلسطينية نادية حجاب، وكتابها هذا، مثل كتبها السابقة ودراساتها ومحاضراتها، متسم بالعمق والدقة في معالجة شؤون المراة العربية.

Digitized by Birzeit University Library

"حكايات شعبية"

عن منشورات دار الفتى العربي صدرت ثلاثة كتب جديدة هي:

١) "حكايات شعبية من فلسطين، من اعداد نمر سرحان ورسوم سليمان منصور، يقع الكتاب في ٨٠ صفحة بالالوان. ومن الحكايات التي يضمها الكتاب: بلبل الصباح، اقريعون، فروة ابو الحصين، ابو العدس، الشاطر حسن، والشاطر محمد...الخ

٢) حكايات شعبية من العراق، من اعداد وداد حسين حسني ورسوم على المندلاوي، يقع الكتاب في ٦٤ صفحة.

ومن الحكايات التي يضمها الكتاب: الصياد والحية، العنقود الذهبي، ابن الأمير والحصان الطائر، الحطاب، دم البقرة الصفراء...الخ

٣) حكايات شعبية من مصر: من اعداد عبدالفتاح الجمل ورسوم ايهاب شاكر، يقع الكتاب في ٨٨ صفحة بالالوان.

"زغاريد على بوابة الصباح" ديوان شعر ليوسف محمود

صدر عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين بالضفة والقطاع الديوان الشعري "زغاريد على بوابة الصباح" شعر يوسف المحمود.

ويحتوي الديوان على مجموعة من القصائد، سبق ان نشر الشاعر قسما منها في الجرائد والمجلات المحلية.

الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر للدكتور محمود امين العالم

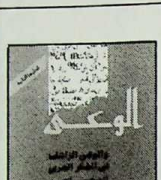

● القاهرة ـ صدرت حديثا الطبعة الثانية لكتاب «الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر» للباحث الكبير الدكتور محمود امين العالم. يقع الكتاب في ٣٢٠ صفحة من القطع الكبير، وهو صادر عن «دار الثقافة الجديدة».

يقول المؤلف: «يمكن اعتبار هذا الكتاب الجزء الثاني من كتاب قديم للمؤلف هو معارك فكرية. ذلك ان الكتاب القديم وهذا الكتاب يلتقيان في انهما يضمان طائفة من المقالات المتنوعة التي تعالج ـ رغم تنوعها ـ موضوعا واحدا هو نقد الفكر النظري والاجتماعي في حياتنا العربية المعاصرة، وخاصة فيما يمس قضايا العلم والحرية والاشتراكية، كما انهما يلتقيان في معالجتهما لهذه القضايا على اساس منهجي واحد هو المنهج المادي الجدلي والتاريخي او الرؤية الماركسية عامة».

وقد اهدى الدكتور العالم كتابه الهام هذا الى روح شهيد الطبقة العاملة اللبنانية والثورة العربية، المفكر والمناضل سهيل طويلة.

«نزعة الحداثة في القصة العراقية» ـ لمحسن جاسم الموسوي

● نيقوسيا ـ و.ص.ف ـ صدر عن «المؤسسة العربية للدراسات والنشر» كتاب «نزعة الحداثة في القصة العراقية» لمحسن جاسم الموسوي وفيه مدخل وستة فصول وخاتمة ووثائق نقدية.

ويتناول الكتاب الادب القصصي المعاصر واتجاهات النقد من عام ١٩٢١ الى عام ١٩٥٨ وفيه يبحث المؤلف في الرؤى والحس الوطني ويتناول متنوري العصر ومواقفهم وبعض الاتجاهات الفنية والذوقية والعلاقة بين النقد والواقعية وسمات المجتمع الثقافي ومداخل النقد الادبي.

ثم يتطرق الى موضوع الريادة الفنية في الخمسينات ويتوقف عند الجدل الذي رافق قضية الريادة وظروف المزاج الخمسيني والاجاسيس الطاغية والهاجس الفني وشروط الريادة واشكالات الذوق. ويتناول ايضا النزعة الاجتماعية ومواضيعها والوعي السياسي.

ويعالج الموسوي ثنائي الريادة الفنية.. «عبد الملك نوري وفؤاد التكرلي» و«شخوص التكرلي الاشكاليون» و«العلاقة المحيرة في قصص التكرلي واشكالية الغربة ومحنة الاغتراب».

ويتضمن الكتاب ايضاً ملحقاً فنياً بجمل وثائق نقدية.

Digitized by Birzeit University Library

ملحق

لشؤون الفكر
وقضايا السلم والاشتراكية

- يجب وضع حد للعنف بأسرع وقت ممكن
- الحزب بروح الصراحة والعلنية والواقعية
- المثل الاشتراكية ! وجهة نظر شخصية
- الشيوعيون ، الثقافة، الثورة.
- هل تحسنت معيشة العامل الأمريكي ؟

Digitized by Birzeit University Library

يجب وضع حد للعنف باسرع وقت ممكن

كريس هاني *

يبدي رئيس الجناح العسكري للمؤتمر الوطني الافريقي في حديثه لمجلة "قضايا السلم والاشتراكية" رأيه في الاوضاع في جنوب افريقيا وقضايا الدول المستقلة الفتية وتأثير العمليات الجديدة الجارية في السياسة الدولية عل اوضاع المنطقة .

- ما الذي يحدد اختيار اساليب النضال ضد النظام العنصري ؟ واية اساليب تفضلون بوصفكم رجلا عسكريا ؟

تتوقف اشكال اجراء كل ثورة على الظروف الموضوعية والاوضاع الملموسة . لقد كانت بداية حركتنا بعد تأسيس اتحاد جنوب افرقيا في عام ١٩١٠ سلمية وخالية من العنف . وكانت آنذاك تطرح مسألة تبلور وعي الجماهير الوطني وتأسيس منظمة مشتركة . ان الاقلية البيضاء، دون ان تتنازل عن شيء امام السود ، اقدمت على توسيع ممارسة العنف المتستر بالدستور .

ومنذ وصول الحزب القومي الى السلطة في عام ١٩٤٨ تطبق في جنوب افريقيا سياسة الابارتهيد - الفصل العنصري واعمال التنكيل السافرة التي ابتدأت على اثر حظر الحزب الشيوعي في جنوب افريقيا الذي يشكل جزءا لا يتجزأ من الحركة الوطنية. وحين تم حظر المؤتمر الوطني الافريقي في عام ١٩٦٠ اتضح تماما ان الشعب لا يستطيع ان يدير خده الاخر للصفعة ايضا . وقد شكلنا جيش "رمح الامة" ، ومنذ ذلك الحين تقترن الحركات السياسية الجماهيرية باعمال مسلحة .

وانني شخصيا اقف الى جانب الوسائل السلمية وضد اراقة الدماء، والحال ان وعي الناس يتغير في اثناء الثورة . فهم يشاركون في الحركة لانهم يتوخون استئصال الفقر واستغلال الانسان للانسان وبناء مجتمع جديد وان يصبحوا اسيادا لمصيرهم الخاص . ولن يقول احد في هذه الحال ان النضال المسلح يعتبر الشكل الافضل ، ناهيكم عن الشكل الوحيد لتحقيق هذا

* عضو اللجنة التنفيذية الوطنية للمؤتمر الوطني الافريقي في جنوب افريقيا، رئيس الاركان العامة لجناحه العسكري

Digitized by Birzeit University Library

الهدف. الا ان الظروف الموضوعية هي التي اجبرتنا على حمل السلاح: لا يفكر رئيس العنصريين بوتا في الديمقراطية ، بل يشدد اعمال التنكيل. واعلنت في جنوب افريقيا حالة الطوارىء ، ويسود الارهاب والعنف . ولا وجود فيها لاية حريات - لا حرية الكلام ولا حرية الاجتماع . وزج في السجن بزعمائنا: نيلسون مانديلا ، وولتير سيسلو، واحمد كاتهرادا وغيرهم . ويعاني الوف الوطنيين الامرين في غياهب السجون بدون محاكمة . ولذا اعتبر المقاومة المسلحة مبررة تماما . ان تنشيط الجناح العسكري من المؤتمر الوطني الافريقي ضروري لنهوض كل الحركة وازدياد فاعليتها .

ولكنني اعود واكرر ان الاساليب المسلحة تستخدم باقترانها بالاساليب السلمية ، وهي متنوعة . وفي الاونة الاخيرة تتحرك المنظمات الجماهيرية بحزم متزايد . وقد تأسس اكبر اتحاد في تاريخ البلاد للشغيلة هو مؤتمر النقابات في جنوب افريقيا ، الذي وحد في صفوفه في خلال فترة وجيزة معظم العمال ويخوض نضالا لا اقتصاديا فحسب ، بل سياسيا ايضا . وتشكل الطبقة العاملة في البلاد قوة قائدة في حركةالتحررالوطني على الرغم من كل انواع الحظر ، ولدت وتعمل الجبهة الديمقراطية الموحدة التي تضم حوالي ثلاثة ملايين شخص .

- هل تفضلتم بالتحدث عن نفسكم كيف انضممتم الى الحركة ؟ وما الذي اثر في تبلور نظرتكم الى العالم ؟

- انني نتاج لبيئة جنوب افريقيا ، ولدت في مجتمع مضطهد . وترعرعت في الريف . ان والدي عاملان انحدرا من الفلاحين . وغالبا ما كان والدي يغيب عن البيت . وبقينا نحن الاطفال مع الام التي قامت بتعليمنا . وكانت الطفولة صعبة . ولم نأكل حتى الشبع. وكنا نتردد على مدرسة دينية على بعد كيلومترات عديدة . ولم يكن لاحدنا حذاء حتى بلوغ السن العاشرة . وعانينا الحرمان في كل شيء تقريبا . فان غالبية الشبيبة في جنوب افريقيا لا تحصل على التعليم الكامل لان الاباء لا يمتلكون اموالا كافية . والامراض ؟ انني لا استطيع ان اتذكر مستوصفا لا يقع على اقل من ٨٠ كيلومترا من منطقتنا . وان نسبة الوفيات بين الاطفال كانت ولا تزال عالية جدا . في هذه الظروف كنت اترعرع .

لقد شارك عمي ووالدي في النضال التحرري الوطني ، وكانا يأتيان الى البيت بمنشورات سرية . وهكذا كنت اطلع على افكار المؤتمر الوطني الافريقي واتعرف على قادته في قاطعتنا واثرت هذه اللقاءات في وفي اترابي تأثيرا قويا . وكان من الطبيعي ان تبنيت افكار المؤتمر الوطني الافريقي: ميثاق الحرية الذي ينص على ضرورة اعادة توزيع الثروات وعلى الديمقراطية وحقوق العمال وتأسيس النقابات وضمان المسكن للناس وتوزيع الارض على الفلاحين وما شابه . وكل ذلك محروم على شعبي ، وأسرت احكام الميثاق قلبي وانطبعت في عقلي . ان الحرية الوطنية ليست مجرد تبديل للعلم. ولا اثق الا في تغيرات جذرية توفر للشعب امكانات المشاركة في الحكومة وادارة الاقتصاد وشؤون البلاد كافة .

في المؤتمر الوطني الافريقي اناس من مختلف الاراء السياسية ، ويوحدهم السعي الى الحرية والديمقراطية ورفض سيطرة الاقلية البيضاء . وقد لا يقف هؤلاء الناس جميعا الى جانب الاشتراكية . مثلا ، يسير في صفوفنا مسيحيون انخرطوا في النضال انطلاقا من قناعتهم بان دولة جنوب افريقيا غير مسيحية وغير عادلة . الا ان برنامج المؤتمر الوطني الافريقي - ميثاق الحرية - قد وحد جميع المشاركين في الحركة .

لقد مارست ثورة اكتوبر - اعظم حدث في تاريخ البشرية - تأثيرا قويا في بلورة قناعتي الايديولوجية . وقد تحولت الاشتراكية الى نظام

Digitized by Birzeit University Library

عالي جبار . وتتسم التحولات الثورية في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى، في رأيي ، باهمية عامة . وكانت تلهمنا وتستنهضنا للنضال دائما . وانني متأثر بافكار الماركسية اللينينية والمفكرين الديمقراطيين التقدميين .

- لقد حاولوا اغتيالكم اكثر من مرة . فما هو موقف اطفالكم من كونكم تخوضون المعركة وتخاطرون بحياتكم ؟

- نادرا جدا ما التقي مع اقاربي . والحال ان اطفال مقاتلي المؤتمر لا يترعرعون الا تحت رعاية امهاتهم او حتى بدون الاهل . وبالطبع ، يترك ذلك اثرا سلبيا في تربيهم. ولكننا نقاتل في سبيل مستقبلهم النير . فلنكن متفائلين :انني على يقين من ان هذه الايام ستأتي قريبا وسيتمتع اطفالنا بحياة جديدة . وعندما يكبرون ،ينخرطون في صفوف المقاتلين من اجل قضية نبيلة ...

لقد رأى اطفالي كيف حاولت المخابرات قتلي . وليست محاولة اغتيالي سوى حدث في النضال . ونحن نقاتل نظاما اضفى طابعا قانونيا على القتل والعنف والارهاب . لقد استشهد عدد كبير من رفاقنا. وترسل السلطات عملاءها يجولون، في دروب العالم لاغتيال الوطنيين من جنوب افريقيا ، وليس من يخوضون نضالا مسلحا فحسب ، انما يقتلون الممثلين السياسيين للمؤتمر الافريقي ايضا . ولا ننتظر شيئا آخر من الفاشيين الذين يشعرون بحتمية هزيمتهم . ومحاولات اغتيالي واغتيال رفاقي تجعلنا نفهم بشكل اعمق: ينبغي القضاء على الفصل العنصري باسرع ما يمكن واقامة جنوب افريقيا حيث لا يموت في سجونها زعماء يعترف بهم الشعب مثل نيلسون مانديلا .

- ما هو رأيكم في مستقبل جيش المؤتمر الوطني الافريقي بعد الفوز بالحرية ؟

- ان الجيش يكلف كثيرا. فهذا شيء بديهي . وتصرف البلدان النامية اموالا طائلة لضمان الامن وشراء الاسلحة .

وان مليارات الدولارات والجنيهات والروبلات صرفت ولا تزال تصرف على احدث انواع السلاح والجو العالمي مسمم حتى الان نتيجة سعي الامبريالية الى الهيمنة . واعتقد ان قيام الاتحاد السوفييتي في حينه بتعزيز قوته العسكرية كان صحيحا ، لان الامر كان يتعلق ببناء النظام الاشتراكي . غير ان الاوضاع تتغير الان، اذ اكتسب الاتحاد السوفييتي قدرة اقتصادية وسياسية ودفاعية قوية . وعلى الامبريالية ان تفكر مليون مرة قبل ان تسلم بفكرة الاعتداء على الاتحاد السوفييتي او على بلد اشتراكي آخر . ويعتبر النظامان الاجتماعيان السياسيان العالميان والتكافؤ العسكري الاستراتيجي بينهما واقعا من وقائع اليوم الراهن .

ان مسائل السلم ونزع السلاح تشغل مركز الصدارة في الحوار بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، واصبحت اليوم قضية لا تشغل بال السياسيين والدبلوماسيين والعسكريين وحدهم ، بل ملايين الناس في كل البلدان ايضا . ولم يعد العسكريون يستطيعون اهمال ارادة الشعوب في السلام ونزع السلاح النووي والامن العام . وتضم الحركة المناهضة للحرب قوى اجتماعية كثيرة ، وليس الشيوعيين والاشتراكيين وحدهم ، بل ممثلي الاحزاب البرجوازية ايضا . ويدرك الناس اكثر فاكثر ان القدرة الاقتصادية المستخدمة لبناء الالة العسكرية يجب ان تستخدم لتلبية حاجات الناس الاجتماعية .

فلمصلحة من سباق التسلح النووي وغير النووي ايضا ؟ انها الاوساط الامبريالية التي تفهم الامر على الشكل الاتي : على اثر تقليص الاسلحة النووية ستتقلص النفقات على الجيش ، وبالتالي ، ستتوفر ظروف ملائمة للنضال من اجل

Digitized by Birzeit University Library

الديمقراطية . ولذا ارى في المستقبل وضعا سينخفض فيه دور الجيش بشكل ملحوظ، غير انه، ما دمنا نتعرض للخطر من قبل الامبريالية ، تبقى الحاجة الى السلاح .

- لننتقل الان الى المسائل الاكثر عمومية . كيف تقدرون الوضع الراهن في بلادكم وفي افريقيا الجنوبية عموما ؟

- لقد بلغ نضال شعبنا ذروته . ولم يسبق ان تكون موجة من الاحتجاجات في جنوب افريقيا كالموجة التي نشهدها اليوم. لقد انخرط ملايين الشغيلة في الحركة . ويضطر نظام بوتا الى استخدام تدابير قصوى . والاماكن التي يقيم فيها السود مراقبة من قبل الجيش. وتقوم بريتوريا باعتداءات مسلحة على الدول الافريقية المجاورة .

غير ان جدار الفصل العنصري يتصدع. وفي تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٨٨ اجرى النظام العنصري انتخابات لهيئات السلطة المحلية على اساس اثني . ولم يكن من المسموح للناخبين الا التصويت للمرشحين من مجموعتهم العرقية. وقامت بريتوريا بحملة دعائية واسعة ، معلنة ان هذه الانتخابات ، او بالاحرى ما يسمى ب "الانتخابات" ، ستبرهن على ان " عملية الاصلاحات " تلاقي تأييدا بين السكان السود . ومنع نظام الفصل العنصري المنظمات والمؤسسات والشخصيات غير الرسمية من الدعوة الى مقاطعة الانتخابات . وعلى الرغم من الملايين المصروفة على الحملة واعمال التنكيل بنشطاء الحركة الديمقراطية والتدابير الرامية للحفاظ على الاوضاع الطارئة، قاطع السكان السود الانتخابات التي تحولت الى تظاهرة جبارة للشعب الرافض للفصل العنصري . ودوى مجددا المطلب القائل ب "شخص واحد صوت واحد في جنوب افريقيا ديمقراطية موحدة " . واخذت تظهر الان بين سكان بلادنا البيض منظمات معادية للحكومة ايضا . ويزداد عدد الحالات التي يرفض فيها الشباب الخدمة في الجيش . وقد تكون وضع متأزم عام يعتبر بالنسبة للمؤتمر الوطني الافريقي عاملا ايجابيا موضوعيا هاما . ولا يستطيع العنصريون التغلب على الحركة التحررية الوطنية . ويعاني النظام ازمة سياسية واقتصادية لم يسبق لها مثيل . ولكننا نحن ايضا لا نملك قوة كافية لاسقاطه . وان كان بعض فصائلنا مستعدا للهجوم الفاصل، فانه ينبغي تنظيم الجميع ورص صفوفهم .

ان الفصل العنصري مصدر لعدم الاستقرار في افريقيا الجنوبية . وهو يستخدم ترسانة عسكرية هائلة وقوة اقتصادية لتقويض استقلال انغولا وموزمبيق وزيمبابوي وزامبيا وبوتسوانا وبلدان اخرى / وعلى امتداد سنوات طوال لا يهدأ هنا ، النزاع الاقليمي بفضل عنصريي بريتوريا .

ومنذ عدة سنوات تخوض جنوب افريقيا حربا ضد الشعب الانغولي بدعم من الامبريالية ولا سيما الامبريالية الامريكية . وقد دمرت مئات القرى والحقت بالهياكل الارتكازية الاقتصادية في البلاد خسارة هائلة . ان تشكيلات "اونيتا" اللصوصية لم تكن تستطيع ان تعيث فسادا ، لولا دعم ادارة ريغان ونظام بوتا . ويواصل جيش جنوب افريقيا احتلال ناميبيا ، خلافا لرغبة الشعب الناميبي وقرارات الامم المتحدة .

ان الاعمال العدوانية التي تقوم بها السلطات العنصرية ضد شعبنا وناميبيا وغيرها من دول المجابهة ادت ببريتوريا الى افلاس سياسي . ومني نظام جنوب افريقيا بهزيمة نكراء في معارك كفيتو - كفانافالي واضطر الى سحب قواته من انغولا والشروع في مفاوضات حول استقلال ناميبيا . واجبرته على ذلك المقاومة المتزايدة للعدوان والوضع الحرج جدا في جنوب افريقيا ذاتها ، علما بان موقف العنصريين غير البناء يثير مخاوف جدية على مصير التسوية .

Digitized by Birzeit University Library

وارى من الناحية المبدئية ان عملية حل النزاعات الاقليمية حلا سلميا يجب ان تتحول في كل مكان على النحو الاتي : من انظمة دكتاتورية وحكومات الاقلية الى سلطة الاكثرية .

ويضطلع المجتمع الدولي بدور هام في عزل جنوب افريقيا العنصرية . واننا ننتظر ان يضمن تنفيذ العقوبات الشاملة والالزامية . وان الفصل العنصري جريمة ضد البشرية وهذه العقوبات مفروض ان تساعدنا للقضاء عليه .

- ما هو ، في رأيكم ؛ دور الرافعات الاقتصادية في نيل الاستقلال ؟

- ان الحركة من اجل الديمقراطية وثيقة الارتباط بوضع افريقيا الاقتصادي الذي يرثى له. ففي غضون السنوات الاخيرة لم يتغير اي شيء يذكر . ولا تزال قارتنا ، كالسابق ، تابعة للامبريالية ومصدرا للخامات الرخيصة لصناعة الدول الرأسمالية . وتنتج افريقيا ما يكفي من الخامات والمواد الزراعية ، ولكننا لا نحدد نحن الاسعار ولا نتمتع بثمار عملنا . ويتوقف تطور مجتمعاتنا على من يسيطرون على وسائل الانتاج ويستثمرون الثروات الوطنية .

ويقوم في القارة النضال، بمختلف اشكاله، من اجل تصفية مخلفات الاستعمار وفي سبيل الاستقلال الاقتصادي. والدول التي تسعى الى التخلص من قيود الاتحادات الاحتكارية تقع، كالعادة ، ضحية الابتزاز من قبل الاحتكارات الرأسمالية . وتستخدم ضدها عقوبات تجارية وضغوطات سياسية ومالية . ويتدخل صندوق النقد الدولي في حياة البلدان الافريقية ويفرض تحكمه عليها ويجبرها على تحديد اسعار عالية للسلع الرائجة، مثيرا استياء غالبية السكان ومستفزا الناس ، بالتالي ، للوقوف ضد الحكومة والمؤسسات المالية في العالم الرأسمالي برفض منح الانظمة التقدمية قروضا، ما دامت لم تتراجع امام الابتزاز ولم ترضخ للشروط الجائرة .

ان النضال غير المتكافىء من اجل الاستقلال الاقتصادي لدول افريقية عديدة يتفاقم ، ولا ارى هنا سوى مخرج واحد هو توسيع وتعزيز العلاقات الاقتصادية مع الدول الاشتراكية . وتشمل الحرية بالنسبة لجنوب افريقيا ، كما نفهمها نحن ، لا المفهوم السياسي فحسب ، بل النضال قاسيا ضد الشركات فوق القومية والاحتكارات التي تحصل الان على فائض الارباح من استغلال ثروتنا الطبيعية والبشرية. والمليارات هنا من الاستثمارات تعود الى بريطانيا والولايات المتحدة واليابان والمانيا الاتحادية وفرنسا ، وهي مستعدة لخوض معركة من اجل كل دولار ، كي تحول دون حصول تغيرات اقتصادية جدية .

- ما هو رأيكم في التغيرات الحاصلة في العالم الاشتراكي؟ وهل تترك اثرها على العمليات الجارية في افريقيا ؟

- لقد تفاقم اليوم النضال من اجل الحرية والاستقلال والسلم والشامل واصبح متعدد الاشكال ، وهو يجري في ظل نفوذ عميق للاشتراكية المتطورة . ولقد تقدم الحزب الشيوعي السوفييتي بمفهوم البيريسترويكا والتغيرات الجذرية والتطور المتسارع للمجتمع. ويزداد عدد الناس الذين يقتنعون بان الاشتراكية وحدها ، دون غيرها ، تستطيع ان توفر للشعب طائفة واسعة من الامكانات للمشاركة في ادارة شؤون المجتمع .

وبفضل الاشتراكية بالذات احرز الاتحاد السوفييتي نجاحات في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . ويبرهن الحزب الشيوعي السوفييتي في ايامنا على ان الحزب الماركسي اللينيني قادر على القيام بتحليل جريء وموضوعي للطريق الذي تم اجتيازه وليس ذلك مجرد بحث عن الهفوات المرتكبة في الماضي. فلا بد من تحليل نزيه للتاريخ من اجل السير الى الامام وتحسين رفاهية الجماهير .

ان البيرويستويكا ، في رأيي ، هي مواصلة

Digitized by Birzeit University Library

اغناء مذهب بناء المجتمع الجديد وسلاح نظري جديد في اتقان تنظيم النضال من اجل التحرر الوطني . وتعلمنا التجربة ان الحزب يجب ان لا يسمح بتكون وضع يتمتع فيه فرد بنفوذ مطلق ويتخذ القرارات دون مشاركة . ويقدم الاتحاد السوفييتي اليوم درسا للعالم في الحكم الجماعي والتطور الديمقراطي للمجتمع . ان تحليل اسباب الاخلال بمبادىء الديمقراطية في مرحلة ستالين يتسم باهمية بالنسبة لجميع من يناضلون في سبيل الحرية ويحلمون في بناء مجتمع عادل .

Digitized by Birzeit University Library

الحزب بروح الصراحة والعلنية والواقعية

كاتورغي بابليس سيلفا

السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي في سري لانكا

- ماذا يمكن القول حول تطور الحركة الشيوعية العالمية في المرحلة الراهنة؟

• ليس بمقدور احد حتى الان دحض قوانين الفلسفة الماركسية اللينينية التي نسترشد بها. الحديث يدور بالدرجة الاولى حول مادية العالم وتطوره الموضوعي ، والقوى المحركة ، والقوانين الاساسية للعملية التاريخية ، ان الماركسية هي الاساس الفكري للحركة الشيوعية والمستقبل لها.

ان الحياة نفسها تقود الكثيرين ممن يعتنقون مختلف الافكار الى الماركسية. فهم يستوعبون نظريتنا رغم تأكيدهم احيانا على انهم غير ماركسيين. غير ان المسألة لا تتعلق طبعا بالادراك. تجري - وهذا الاهم - عملية انتشار الماركسية وتوسيع مواقعها في اوساط الجماهير.

في كل بلد يتطور الحزب الشيوعي والعمالي ضمن ظروف خاصة وتتحدد الفوارق فيما بين الاحزاب بمجموعة من القوانين التاريخية والاقتصادية والثقافية. في السابق ، عندما كانت حركتنا "ممركزة" ، لم تجر محاولات جدية من اجل تحليل الاوضاع في هذا البلد او ذاك وتحليل الظروف الملموسة لعمل الاحزاب. لنسم الاشياء باسمائها. كان التناول دوغمائيا واثر بشكل كبير على وحدة الشيوعيين.

اما الان فان القضايا السياسية ومسائل التطور الاجتماعي تطرح بشكل جديد. وتؤثر التغييرات الكبيرة في الاقتصاد والعلم والتقنية على تفكير الناس. ومن واجبنا بحث تطور الحركة الشيوعية في سياق التحولات الديالكتيكية الجارية في الحياة.

تتعالى اصوات تطالب بالحاح في اعادة النظر بالماركسية. اما انا فاعتقد انه يجب اغناؤها وليس اصلاحها. واكرر لم يستطع احد حتى الان الاثبات بصورة نظرية او عملية ان الماركسية قد شاخت. ان البيرسترويكا (اعادة البناء) والعلنية واشاعة الديموقراطية والتفكير الجديد تتعرض

Digitized by Birzeit University Library

للانتقاد من جانب الايديولوجيين البرجوازيين ويزعمون ان الشيوعية فشلت. ويفسر اعترافنا الصريح بخطأ تقديراتنا على انه شكل من اشكال افلاس النظرية الماركسية اللينينية وتقهقر الحركة الشيوعية. وهذا كله ليس بالجديد. ومستمر في جوهر الدعاية لصالح التطور الرأسمالي للمجتمع.

والشيوعيون مدعوون الى دفع النظرية الماركسية اللينينية الى الامام دون خشية من الجديد وعلى اساس التحليل العميق لتطورات العصر الراهن الاجتماعية. واذ ذاك لا بد لهم من الاستخدام الخلاق للمبادىء اللينينية.

- كيف تقومون اهمية التفكير السياسي الجديد؟

• لقد قام الحزب الشيوعي السوفييتي بطرح مفهوم التفكير السياسي الجديد، غير ان ظهوره املته الحاجة الموضوعية للبشرية جمعاء. كما ان التطور الديالكتيكي للعالم بالذات بحاجة الى مثل هذا الموقف، الذي يجب ان يصبح اساسا لتطور العلاقات بين دول المنظومتين، الاشتراكية والرأسمالية. لقد اصبح بامكان الشعوب حل المسائل الدولية بالوسائل السياسية وليس العسكرية. وقد اخذ ذلك يعطي نتائج ملموسة: فعدد الصواريخ يتقلص، ويجري البحث عن تسويات للنزاعات الاقليميةوكبح سباق التسلح، مما سيؤثر، بالتأكيد، على الحياة الاجتماعية الاقتصادية ايضا. ويؤيد هذا النهج عندنا في سري لانكا حتى الحزب البرجوازي الحاكم.

لقد اسفر التفكير السياسي الجديد في الفترة الاخيرة، وخاصة بعد المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي، عن امكانية تقارب مواقف الاحزاب الشيوعية والعمالية حول المسائل التي تثير الخلاف. ومن الممكن ملاحظة ذلك بالتغييرات التي تجري في العلاقات بين الحزب الشيوعي الهندي والحزب الشيوعي الهندي (الماركسي)، وبين الاحزاب الشيوعية في كوريا الشمالية والصين والحزب الشيوعي السوفييتي والحزب الشيوعي الصيني..الخ. واعتقد انه من الضروري تجسيد التفكير السياسي الجديد ليس في مجال العلاقات الدولية فقط.

- لماذا تبدو الاحزاب البرجوازية في بلدان اسيا اكثر شعبية - اذا انطلقنا من نتائج الانتخابات - ويفقد الشيوعيون مقاعدهم في عدد من البرلمانات؟

• يعود ذلك في تقديري لعدة اسباب. لنتذكر اولا اعوام الستينات فكم من الانشقاقات وقعت في الاحزاب الشيوعية انذاك، في الهند ونيبال وباكستان وعندنا. كان الوضع صعبا جدا، واثرت في سير الاحداث عوامل موضوعية.

واستغلت الايديولوجية البرجوازية ذلك. لقد كانت البرجوازية الكمبرادورية نشطة في بلدان اسيا خلال مرحلة النضال في سبيل الاستقلال وبعد انجازه. كما قويت البرجوازية الوطنية التي ناضلت من اجل التطور المستقل. وفي محاولة منها للعمل بشكل حر قامت بطرح شعارات شعبية جدا، وناضلت بنشاط ضد الاستعمار والاستعمار الجديد. ولكن لو تحدثنا عن بلدان منطقتنا، فان الرأسمالية هنا لم تتكون بشكل تام في اي وقت من الاوقات تقريبا. وقويت جدا في الهند فقط، اما في سري لانكا مثلا، فان الرأسمالية كانت ضعيفة بسبب مستوى تطور القوى المنتجة المتدني انذاك.

ونظرا لان البنى الانتاجية لم تبلغ التطور المطلوب، بقي وعي جماهير الشغيلة متدنيا جدا. وتمكنت البرجوازية الوطنية من كسب هذه الجماهير الى جانبها واخضاعها لايديولوجيتها.

Digitized by Birzeit University Library

والان غالبا ما تسمع من الشغيلة: نعم الشيوعية جيدة ، غير انها لا تبني في القريب العاجل. وخلال مشاركتهم في الانتخابات يظهر منطقهم الانتخابي على الشكل الاتي: نعرف ايها الشيوعيون انكم مخلصون وتعملون بشكل صحيح ، ولكن رغم ذلك سنصوت لصالح الحزب الحاكم. ولكم فيما بعد..

ان قسما هاما من شعبنا يؤيد نهج البرجوازية الوطنية وشعاراتها ضد الامبريالية وفي سبيل التأميم وانشاء قطاع الدولة. ويعتبر الشغيلة ان بامكان هذه القوة الحاق الهزيمة بالبرجوازية الكومبرادورية. لهذا غالبا ما يتحد الشغيلة مع البرجوازية الوطنية ويلحق بها بعض فصائل الطبقة العاملة. هذا برأيي احد الاسباب الرئيسية لتقلص عدد اعضاء الاحزاب الشيوعية او نموها بشكل بطيء ، ونحن نفقد الاصوات خلال الانتخابات . الا ان ثمة اسبابا اخرى.

فالقسم الاساسي من العمال في سري لانكا يعمل في المزارع ولديهم نقابتان الا ان الذي يعيق نشاطهما هو انقسام قوى اليسار. مثلا لا يجد الحزب الشيوعي في سري لانكا والحزب التروتسكي لغة مشتركة مع نقاباتهما. ان الانقسام يعرقل وحدة هذه القوى في الهند ونيبال وباكستان وبنغلاديش ايضا.

اضافة لذلك ، يجب الاعتراف اننا لم نتمكن دائما ، نتيجة التعصب للجمود العقائدي من تطبيق الماركسية الخلاقة في الظروف الملموسة. احيانا نتخذ مواقف دوغماتية والشغيلة يشعرون بذلك. انهم يلاحظون وعن حق ان الكلمات والوعود كثيرة لكن الاعمال قليلة. يمكن ان تكون لدى الحزب شعارات كفاحية ، لكنها غالبا ما تكون بعيدة الحياة ، كونها لا ترتبط بالواقع بشكل جيد ، وغير مفهومة من قبل الجماهير بصورة كافية. وفي مواجهة الصراع الايديولوجي الحاد وفي مواجهة العملية الدينامية لتطور المجتمع بجميع صعوباتها وقضاياها وتناقضاتها تظهر الحاجة الى الدقة والدقة فقط وفي الافعال قبل كل شيء.

عندما نوضح ، مفهوم التعايش السلمي ، فان ذلك لن يجد صداه الا اذا ساعد عمليا على تطوير العلاقات بين الدول ، وتطوير الروابط الثقافية ، وتوسيع الصلات بين الناس. وهنا نبرهن ان لدى الايدولوجية الماركسية والحركة الشيوعية ما تقدمه للعالم. الا انه ما يزال في صفوفنا مشككون يعتقدون ان هذا الموقف يتناقض مع مهام الصراع الطبقي ، لا بل يشكل تراجعا عن الاعمال المعادية للامبريالية.

- هل يمكن القول ، استنادا الى الاراء التي طرحتموها ، ان الحزب لم يكن احيانا على صواب وارتكب اخطاء؟

o بالطبع ، في الستينات ، على سبيل المثال ، مارسنا سياسة خاطئة تجاه المسألة الاثنية واعترفنا بذلك بعد ثلاث سنوات. وخلال الاحداث التي جرت في تشيكوسلوفاكيا اتخذنا موقفا متأرجحا ،ثم صححناه فيما بعد. ولكن ذلك كله حدث انذاك داخل الحزب ، اما الان ، وفي عصر العلنية ، فاننا ننتقد الاخطاء التي نرتكبها علانية.

يحتاج العديد من الاحزاب الشقيقة الاخرى الى القيام بتحليل معمق للماضي. وهذا من مؤشرات التفكير الجديد. ان اسلوب اصدار الاوامر للاحزاب من المركز خلال المرحلة الستالينية كان يعتبر بحد ذاته خطأ. وقد ذكرت سابقا انه لم يتم في حينه ايلاء الاهتمام الكافي بتحليل خصائص نشاط كل حزب ، وكان كل شيء "ممركزا" . وبدا وكأننا نسينا اللينينية . نسينا ان كل حزب يعمل في الظروف الملموسة لبلده. والان اطرح على نفسي السؤال الاتي: كيف نسينا تعاليم لينين؟

يجب القول ان الشيوعيين السيريلانكيين

Digitized by Birzeit University Library

كانوا دائما مخلصين في الاخذ بسياسة الحزب الشيوعي السوفييتي والاعتراف بها. وبطبيعة الحال قبلوا بقرارات ستالين في وقتها. وبودي الاشارة ايضا الى ان ما اقلقنا بشكل خاص في تلك المرحلة المعقدة هو تأثير الحزب التروتسكي الذي كان انذاك قوي نسبيا في سري لانكا.

- يدور الحديث اكثر فاكثر الان حول ضرورة تعدد الاراء في الحركة الشيوعية. كيف تفهمون ذلك؟

• فعلا ، ثمة في الاحزاب الشقيقة اراء مختلفة حول العديد من القضايا. ولا يجوز اخفاء ذلك او الخوف منه. ولا يمكن ان يكون الامر غير ذلك اذا كان الحزب حيا ويعمل. ولكن من الهام مناقشة مثل هذه القضايا والخلافات بجو رفاقي. في السابق كان التعبير عن الاراء المختلفة يعتبر دليلا على ضعف الحزب ثم يجري السكوت عن القضايا. ان عدم تطابق الاراء لا يعتبر ابدا عقبة امام الوحدة وامام التقدم نحو الاهداف المشتركة والنضال المشترك. فقط النقاش بهدف البحث عن حلول صحيحة يساعد على تحقيق ذلك وعلى زيادة التقارب في الاراء. وينبغي مراعاة هذه المباديء في العلاقات بين الاحزاب ايضا. يمكننا نتيجة النقاشات وحتى الجدل تطوير النظرية الماركسية بنجاح وربطها مع الممارسة ، وجعل ذلك علنيا وصريحا. المهم في ذلك كله هو توطيد وحدة الشيوعيين امام اخطار الامبريالية.

اعتقد ان من الواجب استخدام المؤتمرات الاقليمية والمشاورات من اجل بحث المسائل الملحة او اي موضوع اخر هام. لقد كان حدثا هاما للمنطقة في عام ١٩٨٧ اللقاء الاستشاري للاحزاب الشقيقة في اسيا وحوض المحيط الهاديء في اولان باتار. ولو حضر اللقاء ممثلو الحزبين الشيوعيين الصيني والياباني وحزب العمل الكوري لكانت نتائج اللقاء اكثر فعالية. وناقشت الاحزاب الشيوعية في اميركا اللاتينية عام ١٩٨٨ في مونتفيديو قضايا النضال المعادي للامبريالية والاستعمار وسبل تعزيز العلاقات مع القوى الديموقراطية والثورية في المنطقة. وقد تعزز التضامن نتيجة ذلك. ارى ان مثل هذه المؤتمرات مفيدة جدا وتساعد على تنشيط حركتنا.

لم تجر عندنا ، لفترة طويلة ، نقاشات ديموقراطية تعمق وتوسع الديموقراطية داخل الحزب. اما الان فقد اخذنا نطور الانتقاد ونطرح الاقتراحات والاراء بجرأة وصراحة. اما في سنوات المرحلة الستالينية بل وبعدها ، فقد كان يسيطر جو نفسي اخر. لقد حضرت المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي حيث يطرح نيكيتا خروشوف برنامج بناء الشيوعية. وقتها بدا تقريبا لجميع الضيوف الذين كانوا يمثلون الاحزاب الشقيقة بان هذا البرنامج "بيان شيوعي" جديد. واستقبله مناضلون مجربون وماركسيون لينينيون موهوبون بحرارة. ونعترف الان بان هذا البرنامج لم يكن واقعيا بل كان بمثابة هروب الى الامام من الوضع الحقيقي.. اعتقد لو انه جرت وقتها مناقشات علنية لامكن تجنب الكثير من الاخطاء..

- وماذا يمكنكم التحدث الان حول طرق التحول الاشتراكي؟

• لقد استنبط العلم الماركسي اشكالا واساليب كثيرة لبناء الاشتراكية في مختلف البلدان ، ولكن على اساس قوانينه العامة بالطبع.

ونرى الان كيف تبحث البلدان الاشتراكية عن الطرق الافضل للتقدم نحو الامام. ان الاشتراكية ليست بحاجة الى تحسينات بنيوية بل الى تغييرات ثورية كلما اقتربت من مرحلة معينة

Digitized by Birzeit University Library

من التطور. وسوف توصل اشاعة الديموقراطية والعلنية والبيروسترويكا بالتأكيد الاشتراكية الى مدار جديد. وهذا ليس اختيارا وانما تطبيقا.

اعتقد انه لا توجد ، ولن توجد اشتراكيات "متعددة". هناك طرق متعددة لبنائها. لقد رفعنا نحن في سري لانكا ، على سبيل المثال ، وفي مرحلة معينة مهمة الانتقال الفوري الى الاشتراكية ، ونتحدث الان حول التوجه الاشتراكي. فماذا يعني هذا؟هذا يعني ان السلطة يجب ان تكون في ايدي الطبقة العاملة والشغيلة والقوى الديموقراطية الاخرى على ان تلعب الطبقة العاملة الدور الحاسم. كما ستكون قطاعات الاقتصاد الاساسية مؤممة من قبل الدولة ، مع الحفاظ على القطاع الخاص بدرجة معينة. اما بالنسبة لمسألة الارض فنعتقد انه لا يجوز اقامة ادارة للدولة في جميع الاراضي الزراعية، ويمكن للاصلاح الزراعي ان يؤدي الى تشكيل تعاونيات في مختلف المزارع. هكذا يظهر برنامجنا التقريبي للتوجه الاشتراكي.

لا يجوز في هذا المجال عدم التطرق الى مسألة الطبقة العاملة المعاصرة. اذ تجري في داخلها تغيرات بنيوية هامة نتيجة تطور الثورة العلمية ـ التقنية. ويتقلص عدد الذين يمارسون اعمالا جسدية ، وتتسع بسرعة صفوف العمال المهرة كما تتغير ظروف الانتاج. لكن شيئا واحدا لم يتغير هو استمرار الاستغلال ونضال الطبقة العاملة بنفس الاصرار السابق في سبيل تحررها الاجتماعي. رغم ان ذلك يتم في ظروف تاريخية مغايرة.

- ما هو موقف الشباب من ذلك كله؟

• يختلف الشباب عنا وهم يعيشون بشكل اخر. ويفتشون عن الطرق التي تناسب روح العصر. اعتقد باننا لا نصغي باهتمام الى الشباب واحيانا لا نفهمهم. الشباب المعاصر هو اكثر انفتاحا وينجذب نحو الجديد ويريد منا ان ننتبه اليه ونقدره. نحن محافظون بعض الشيء. ويجب اخذ مجمل هذه الظروف بعين الاعتبار.

وللاسف قلة اولئك الشباب الذين يستوعبون افكارنا. ويخيل اليهم ان بامكنهم تحقيق النجاح في اطر الرأسمالية. كما تؤثر تأثيرا كبيرا النفسية الاستهلاكية التي تدفع نحو السعي الى الكسب واحتلال مركز مرموق.. الخ ان سياسة "الابواب المفتوحة" تساعد على ظهور شباب وصوليين في سري لانكا.

طبعا يوجد في اوساط الشباب من يسير على خطانا. وانني سعيد لان ابني اختار هذا الطريق. وهناك العديد من الشباب لا يتصورون بوضوح افكار الشيوعية ومهام نضالنا ، ويرفضون الرأسمالية ، ولكن يقتربون من الماركسية بصورة تلقائية. لقد اتخذنا الكثير من الحلول والقرارات لكن الافعال قليلة. وتبين التجربة ان من الصعب جدا جذب الشباب الى جانبك عن طريق الاساليب الايديولوجية فقط. من الضروري ان تطرح عليهم شيئا ما عمليا مرتبطا بالنضال من اجل مستقبل افضل والمشاركة في قضايا المجتمع والحياة الثقافية والرياضية على حد سواء. بكلمة ، يجب النضال من اجل كسب الشباب وابعادهم عن تأثيرات البرجوازية.

واعتقد ان عمليات النقاوة والصراحة والعلنية التي تدخل الى الحركةالجديدة من التفكير السياسي الجديد ستساعد الشباب على الانضمام الى صفوفنا.

Digitized by Birzeit University Library

المثل الاشتراكية : وجهة نظر شخصية

ان الاشتراكية على الصعيد العالمي تتطور وتتجدد وهي تجتاز التعقيدات وتحل مهام لم تكن موجودة سابقا مطلقا . وقد توسعت اعادة البناء في بعض البلدان الشقيقة . والمثال الاشتراكي، التطور الحر لكل فرد هو شرط التطور الحر للجميع، يتحول على ايدي الناس بثقة متزايدة الى افعال عملية . ولكي نحصل على تصور حول كيفية انعكاس هذه العملية في وعي انسان المجتمع الجديد، تقوم مجلتنا استفتاء عالمي . وننشر في هذا العدد اجوبة وردت من الاتحاد السوفييتي .

- ما الذي يمثل اعلى قيمة في حياة البلاد حسب تصوركم، وما الذي لا يرضيكم فيها؟ - ما هي القضايا الملحة التي ينبغي ان تحلها بلادكم في المستقبل القريب كما تعتقدون ؟

- ما الذي يعنيه بالنسبة لكم انتماء بلادكم الى عالم الاشتراكية ؟ هل ثمة امكانية للمشاركة المباشرة في تحقيق الاهداف والمصالح المشتركة ؟ ما هي مقترحاتكم وتنبؤاتكم في مجال تطوير التعاون بين البلدان الاشتراكية ؟

كم من الوقت أضعناه ؟

نيكولاي ترافكين
نائب رئيس مجمع بناء

اعتقد ان اعلى قيمة ينبغي ان تقدمها الاشتراكية الحق هي الانسان من كل النواحي ابتداء من حق ابداء رأيه الخاص حتى حق المشاركة في اعداد القرارات والرقابة على تنفيذها. فالفرد الحر قيمة اساسية في الاشتراكية. الا انه لا يمكن الحديث عن الحرية ، بما فيها حرية الفرد، بدون التعرض لقضية الملكية. وبالتالي فاني اعتقد ان امتلاك الشغيلة لكل وسائل الانتاج هي من بين القيم العليا في الاشتراكية .

اما تشويهنا لهذه القيمة عندما ابتعدنا عن المبادىء اللينينية فهو امر آخر. وجوهر النظام الاشتراكي ذاته هو بالتحديد تنظيم كل شيء الى ايدي الشعب لكي يقوم بتوزيع الخيرات التي ينتجها .

Digitized by Birzeit University Library

ولا ترضينا تشويهات المبادىء الاشتراكية التي حصلت عندنا. وقد عممنا الملكية الى حد انها اصبحت وكأنها "بلا مالك" . وهذا ما لا يحدث في الطبيعة . فاذا لم يطالب المالك الحقيقي بملكيته ، فان شخصا ما سوف يستولي عليها . فمن الذي استول على الملكية التي "لا مالك" لها ؟ لقد كان النظام الاداري الاوامري الممركز يتصرف بها مستفيدا من انعدام الرقابة الكامل من جانب المجتمع .

عندما يتناقش الناس: " اهذا الانسان بيروقراطي ام لا ؟ اهذا النظام بيروقراطي ام غير بيروقراطي "؟ اعتقد انه يمكن فهم الامر بصورة سهلة جدا ، اذ ينبغي المضي في درجات التسلسل الهرمي والنظر الى حيث يجري "انقلاب" المسؤولية . ولاوضح من خلال مثال مأخوذ من صناعة البناء . فعلى مستوى فريق العمل كل شيء واضح: بمن يرتبط الرئيس ؟ بفريق العمال . اذ يمكن الا يعيدوا انتخابه مستقبلا . ولنتتبع السلسلة حتى نصل الى مؤسسة الدولة. وهي في فرع البناء مجمع، وحدة انتاجية قوية كبيرة . ولكن مدير المجمع ينتخب في كونفرنس، اي يمكن الا ينتخبوه اذا كانت ادارته سيئة او اخذ في "المداجاة" على سبيل المثال. وهو في الاجر كذلك يرتبط بمرؤوسيه : كلما ازدادت اجورهم حصل هو ايضا على اجر اكبر .

ولنأخذ الحلقة التالية . وهي في البناء ، عادة ، المراكز التي اصبحت تسمى الان اتحادات. ثم نصل الى الوزارات . وهكذا، ابتداء من المركز "تنقلب" المسؤولية . فبمن يرتبط رئيس الاتحاد؟ بالاعلى. من الاعلى يعينونه، وهناك يحاسبونه وهناك يستبدلونه ايضا. وهو يستلم راتبا وليس اجرة عمل. والقائد في هذا المستوى لا يرتبط بالقواعد، وهذا يعني ان هذه البنية بيروقراطية .

ونحن منذ ايام لينين نناضل ضد البيروقراطيين والبيروقراطية. وقد قال لينين ان هذا هو العدو رقم واحد. وعددهم لا يتناقص، ويزداد عدد المكاتب. ومن السهل التفكير هكذا: غدا ، في ظروف الحساب الاقتصادي الكامل يمكن ان تعلن بعض المؤسسات الافلاس. ونحن نتقبل هذا بكل هدوء: ليست لدينا بطالة، والكل يستطيعون ايجاد عمل ما. ولكن ما ان مسوا الماكنة البيروقراطية وبدأوا بتقليص الملاك، حتى بدأ الاضطراب يحصل، واخذوا يعترضون: اين الانسانية في كل ذلك ؟

لماذا لم يتحرشوا بالبيروقراطي خلال فترة طويلة ؟ لان الهيئات الحزبية لم تكن تستأصل البيروقراطيين والبيروقراطية. لانهم تعايشوا والتحموا من خلال عملهم كتفا لكتف كل يوم. وهذه جزية مخيفة دفعها الحزب عندما اخذ على عاتقه قيادة الاقتصاد مباشرة.

وتغيير الوضع ممكن. وهذه الامكانية موجودة في واقعية قرارات اجتماع نيسان (ابريل) الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي في عام ١٩٨٥ والمؤتمر السابع والعشرين. القرار الاول: اجراء اصلاح اقتصادي جذري لا يستطيع احد فيه الهيمنة على الانتاج، ويبنى كل شيء على اسس اقتصادية .

والاتجاه الثاني: البيريسترويكا السياسية الفكرية. والنجاح هنا محسوس ، فالحياة الروحية حققت تقدما كبيرا لا بل انها سبقت الاصلاح الاقتصادي. ومن هنا، في الحقيقة، برزت الظاهرات السلبية . فما الذي اعنيه بالسلبية؟ انه عدم الثقة الذي يظهر في الاحاديث عندما يقول البعض ان "كل شيء ليس سوى مجرد اقوال" . وهذا ينبغي عدم السماح بالانقطاع، فالحساب الاقتصادي والانتاج يجب ان يدعما العملية الايديولوجية. وقد اكد الكونفرنس الحزبي التاسع عشر ان تحويل النظام السياسي كان اهم شيء في المرحلة الحالية من البيريسرويكا. فاذا لم يجر تحطيم النظام

Digitized by Birzeit University Library

الاداري الاوامري الممركز جداء فمن الصعب على الاقتصاد ان يتنفس .

ما الذي ننتظره من الاشتراكية؟ ان هذا حديث طويل جدا. ولا يمكن ان يكون نهائيا. ولا يمكن رسم نموذج نهائي لمجتمع الغد. ونحن نرى سماته الرئيسية . ولكن مناقشة متى وفي اي يوم سيصبح المجتمع انظف والحياة افضل، امر لا معنى له بالطبع. ولكننا نعرف ما سنصل اليه نتيجة الاصلاح الاقتصادي. فكل شيء يجب ان يقوم على العلاقات الاقتصادية . والامر مفهوم من الناحية السياسية كذلك. سيكون هناك تجمع ديمقراطي وديناميكي يقوم على ادارة ذاتية ويمثل مجموعة افراد احرار. وثمة حاجة للبيريسترويكا في الحياة الحزبية ايضا، كما اعلنا ذلك .

ثمة تحولات ... وكونفرنس الحزب الشيوعي السوفييتي شكل مرحلة انعطاف .

ومن المفرح ان الطبقة العاملة تظهر على الحلبة السياسية. ويلاحظ ذلك في كل مكان: وخاصة في الانتاج. ولكنني قليلا ما اثق بالاجتماعات والمظاهرات. ففيها كثير من الزبد. ولكن ، عندما يبدأ العامل في المعمل بالظهور، وعندما يطالب ولا يرجو ، فان الامر سيختلف. احيانا توجد حتى اثار حقد في بعض المطالب ، ولكن هذا يعود الى البيروقراطية المفرطة وانعدام النظام .

واعتقد ان العامين التاليين للكونفرنس سيكونان انعطافيين. والعلم يتنبأ بعشرة اعوام تقريبا لاعادة البناء، ولكن التاريخ لن يوفر وقتا كهذا. وستجري في غضون سنتين تحولات. وانا واثق من انه بعد مرور عام على الكونفرنس ستكون ثمة نتيجة اذا استطاع الحزب التخلص من الشؤون الاقتصادية الجارية والتوجه فعليا نحو القيادة السياسية والايديولوجية والتربية .

وبالنسبة للاصلاح الاقتصادي كذلك لا يجوز تبذير الوقت/ وقد اضعنا عام ١٩٨٨: فلم يصبح قانون المؤسسة نافذ المفعول، وكنا نتفرج على ذلك صامتين. واعتقد انه يجب الان التركيز فقط على الاولويات في الخطط. فما هي هذه الاولويات؟ قبل كل شيء حل المعضلة الغذائية. فهنا يجب تنفيذ المؤشرات تماما. وللمساكن اولوية ايضا. وبالنسبة لصناعة المكائن، اعتقد انها بحاجة الى مؤشرات اولية عامة كما ورد في قانون المؤسسة. ويمكن الاسترشاد بها، ولكن بدون تحويلها الى تعاليم جامدة. والا فسنضيع عام ١٩٨٩ ايضا، وعندها سيكون الضرر المعنوي شديدا بصورة خاصة: اذ ستفقد جماعات العاملين الثقة بان يصبح قانون المؤسسة نافذ المفعول.

ولنتحدث عن العلاقات مع الاصدقاء. لقد تعرفت بصورة مباشرة على حياة البلدان الاشتراكية الشقيقة مرتين: مرة عندما سافرت في وفد حزبي الى تشيكوسلوفاكيا، واخرى عندما سافرت الى المانيا الديمقراطية وبلغاريا ضمن وفد النقابات السوفييتية. وتوصلنا الى استنتاج ان الاصدقاء قد تجاوزونا في مجالات كثيرة. ولنأخذ ، على سبيل المثال، القرية: انهم يسبقوننا في كل شيء ، بدءا بثقافة الزراعة وانتهاء بثقافة حياة القروي وخاصة في تشيكوسلوفاكيا والمانيا الديمقراطية. وربما نتأخر عنهم في مجال البناء. اما في العلوم الاساسية وخاصة المرتبطة بالفضاء وفي البحوث العسكرية فنحن في المقدمة. ولهذا من الهام ان نكون معا لكي يكمل احدنا الاخر. ولكي يتعلم بعضنا من البعض الاخر خلال ذلك .

نقول لبعضنا الحقيقة

سبرغي زليغين
رئيس تحرير مجلة "العالم الجديد"

قبل كل شيء اود ان اشير الى قدرة النظام

Digitized by Birzeit University Library

الاشتراكي على التجديد الذاتي . فقد توجب عليه ان يتغلب على مصاعب وظاهرات ازمة كثيرة جدا. ولكن مجتمعنا السوفييتي، الذي مر عبر الحرب الاهلية وايام الخراب وعبر مرحلة عبادة الفرد والتجارب الاخرى، كان يثبت دائما انه يتمتع بقدرة على تجديد قيمه وافكاره .

ولنتحدث عن مثل الاشتركية. ان الحياة الجيدة في ظروف الحرية هي ما يريده كل انسان عموما. واعتقد ان ثمة مثالا انسانيا عاما يمكن تحقيقه بطرق مختلفة وقبل كل شيء بالطريق الاشتراكي وهكذا سنحقق على الاقل شعار الحرية والمساواة والاخوة الذي ظهر منذ فترة بعيدة نسبيا .

فاية مثل اخرى يمكن ان تكون لدى الاشتراكية ؟ ان جوهر الاشتراكية: التوجه نحو الانسان. ولكن الطريق المؤدي الى الهدف تختاره الامم والشعوب والدول بصورة مختلفة. واعتقد ان الرأسمالية اثبتت انها تستطيع تحقيق الكثير ولكن هذا المثال الاعلى لا نستطيع بلوغه من حيث المبدأ. اما نحن فلدينا امكانات عظيمة لم تستغل بعد وينبغي تجريبها .

والان حول المهمات الملحة التي ينبغي حلها فورا في البلاد السوفييتية. اذا فكرت تفكيرا براغماتيا ، فانني اعتقد ان القضية الغذائية هي الاولى والاساسية. واذا نظرنا نظرة شاملة، فينبغي ان نهتم فعليا بالايكولوجيا لاننا لا نستطيع حتى تصور الازمة، التي تمر بها البشرية بكل حدتها. وبما اني قريب من هذه المسألة كثيرا ، فاني اشعر تماما بالاهمية العالية لهذه المعضلة. وحتى الكارثة الايكولوجية المحلية ، التي لا يمكن نفي احتمالها، لا تعني ان الخطر سيشمل بلدا واحدا او بضعة بلدان. فالوضع في كل مكان متشابه كثيرا او قليلا. ولا تعرف الامطار الحامضية حدودا. والوضع خطير جدا.

وعند التطرق الى المجالات الاخرى اود ان اشير الى الضرورة الحيوية للحرية الروحية بالنسبة لكل فرد. واذا لم تكن هذه القضية قد حلت بعد، فاننا على عتبة حلها. والدليل على ذلك الكونفريس التاسع عشر للحزب الشيوعي السوفييتي وكل حياتنا اليوم. ولكن، لا يكفي منح الحرية الروحية ، فالحرية يجب ان تكون فعالة. وانا لا اريد ان احس بحريتي الخاصة فقط ، بل واريد ان افهم ان اعمالي تعطي ثمارها. فالزاهد كذلك يتمتع بحرية روحية ، ولكنه لا يؤثر في العالم المحيط به. ان القدرة على التفكير بحرية والتحدث بما يجول في ذهن المرء ليسا كل شيء على الاطلاق. يجب ان يستخدم الانسان حريته الروحية في اتجاه ما يعتقد انه هام، وهذا الاتجاه عادة ذو طابع اجتماعي وضروري اجتماعيا .

لقد انتقل كثير من كتابنا في اثناء اعادة البناء الى النشاط الاجتماعي. وهذا طبيعي. وكان هذا يجري غالبا في روسيا. خذوا تشيرنيشيفسكي وكورولينكو وتولستوي وتشيخوف - فهم جميعا كانوا يمارسون نشاطا اجتماعيا هائلا. ومن الصعب ان احدد ما حققناه فعليا نحن الادباء السوفييت. ولكن لدي احساس بانه لولا الادباء لكان الوضع الايكولوجي، على سبيل المثال، اسوا وهذا ليس قليلا، كما يبدو.

اعتقد اننا، مواطني العالم الاشتراكي، جميعا نحقق باستمرار الاهداف والمصالح الاممية المشتركة. وبأي شيء غير هذا اهتم انا شخصيا عندما احرر "العالم الجديد" المجلة الادبية الفنية والسياسية الاجتماعية او بوصفي رئيسا لقسم "الايكولوجيا والعالم" التابع للجنة السوفييتية لصيانة السلام وعندما ادعو لحل المعضلات الايكولوجية؟

وبهذه الصفة اقيم ، بالطبع ، علاقات مع الاصدقاء في البلدان الاشتراكية . ومع المجربين اكثر من غيرهم. هكذا جرت الامور، فقد كتبت كثيرا عن ادب المجر وغالبا ما سافرت الى هناك

Digitized by Birzeit University Library

وحتى شاركت في حل بعض مسائل الايكولوجيا. وفي الحقيقة ان الاختلاط والعلاقات مع البلدان الشقيقة ليست امرا عرضيا بل اصبحت جزءا من حياتي.

ما هي تنبؤاتي حول آفاق صداقتنا ؟ انها متفائلة ، وهذا مفهوم. الا انه يجب الا ننسى ان كل العلاقات في المنظومة الاشتراكية قامت عندما كان هناك في البلدان الشقيقة وضع اجتماعي مختلف تماما. ومن الواضح ان علاقاتنا ستتغير حتما، وافترض نحو الاحسن مع العلنية واشاعة الديمقراطية.

وتتوجب ازالة ما يعيق اليوم تطور العلاقات الكامل في العالم الاشتراكي. واحد الاسباب، وربما حتى موضوعيا ، هام وجوهري تماما: وهو قلة الوقت لدينا جميعا. نحن يبتلعنا الوقت ، مشغولون باعادة البناء وقضايانا الخاصة بحيث اننا احيانا، لا نجد الوقت الكافي لنرفع رؤوسنا وننظر الى ما هو خارج سياجنا، كما يقال . وهكذا هي الحال لدى كثير من اصدقائنا. وعموما اصبحت العلاقات بيننا في الظروف الجديدة اكثر صفاء وانفتاحا وطبيعة. ونقول لبعضنا الحقيقة ، ولا يلاحظ خلال ذلك ، حسب اعتقادي ، فهم ضيق للمصالح الوطنية .

الشغيل يصبح مالكا

ميخائيل فاغين
رئيس كولخوز لينين من منطقة كوفيرنين التابعة لمقاطعة غوركي

ان حرية العمل والابداع وغنى وتنوع اشكال الكشف التام عن شخصية الانسان تمثل اعلى قيمة في حياة بلدنا الاشتراكي، حسب اعتقادي. واذ تهيء انسانية النظام الاشتراكي ظروف كشف افضل الصفات البشرية ، فانها تفتح امكانية التطور اللاحق للناس والمجتمع عموما .

ولكن الجهود الواعية لكل فرد لا تقل اهمية عن ذلك. فبفضل الاعمال الواعية بالذات يصبح الانسان اكثر انسانية وطيبة وعقلا. ويسعى الناس ، كما هو معروف، الى تكريس انفسهم لاعضاء المجتمع الاخرين. والاخلاص يقتلع نواقص الحسد والانانية ويوحدنا اكثر فاكثر، ولا حدود لذلك حقا... وبهذه الطريقة فقط يستطيع احترام وتقدير ذاته ، لانه لم يعش بلا جدوى وانه ترك اثرا في سيل الاجيال اللانهائي.

انا شخصيا لست راضيا، فان هذه العملية تجري ببطء، للاسف، بسبب ظروف كثيرة (البقايا السلبية في وعي الناس وتأثير العالم الرأسمالي وغير ذلك). ومن الواضح انه لا يزال ثمة كثير مما يعيق استيعابنا لافضل ما حققته البشرية في مجال العلم والتقنية والثقافة والاخلاق. ويتوجب مضاعفة القيم المادية والصفات الاخلاقية والروحية لدى الانسان وتثبيت طراز الحياة الحر والديمقراطي بكل معنى الكلمة .

ومن زاوية التطبيق استطيع ان اقترح تقويم ما يجري موضوعيا والتربية بالموقف المسؤول من القيم الاخلاقية والمادية عن طريق تعميق الوعي الذاتي لدى كل عضو في مجتمعنا. اما اهمالها فهو لا اخلاقي وتشويه معنوي يلحق الضرر بالمجتمع. واقصد اعادة تقدير القيم لكي يصبح الانسان السوفييتي عندنا مالكا فعليا لكل شيء. وعند ذاك فقط سنقضي على سوء التدبير والخسائر غير المبررة . وعدا ذلك يجب زيادة الانضباط واحلال النظام. وان البيريسترويكا التي بدأها الحزب الشيوعي السوفييتي وسكرتيره العام ميخائيل غورباتشوف هي الفرصة الوحيدة لحل هذه المعضلات وغيرها. مزيدا من الاشتراكية/ هذا هو الشعار الذي يتضمن الاجابة عن مسائل التطور اللاحق في الاتحاد السوفييتي .

اعتقد ان المعضلة الغذائية هي واحدة من اهم

Digitized by Birzeit University Library

القضايا التي نضمن بحلها - وهو ما ينبغي القيام به فورا - حتمية تأثير البريسترويكا في المجالات الاخرى. وهذا الحل ممكن في ظل تحالف متين بين الطبقة العاملة والفلاحين. ولن نحصل على شيء حسن مطلقا اذا لم ننظر الى المدينة والريف بوصفهما وحدة واحدة من كل الجوانب

ثم يجب تغذية الانسان بشعور المالك لارضه. لكي يستطيع الشغيل ، مستأجر الارض نفسه، ان يرسخ اقدامه فيها، ولكي يواصل ابناؤه واحفاده قضيته .

ويقلقني كذلك سير الاصلاح المدرسي الذي ذكرته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي في الاجتماعات الكاملة مرتين، ومع ذلك لم تتحقق النتائج المرغوب فيها حتى الان. ومن الصعب ان احدد كم من الوقت نحتاج لتحقيق التحولات المذكورة ، ولكني اعتقد ان التعجيل هنا ضروري جدا .

ان انتماء بلادنا الى عالم الاشتراكية سعادة عظمى للناس السوفييت ولي شخصيا. والرغبة عظيمة في المشاركة النشيطة والمباشرة في تحقيق الاهداف والمصالح المشتركة لشعوب المنظومة الاشتراكية . ولكن امكاناتي هنا محدودة للاسف. واعتقد ان المساهمة في القضية العامة واجب حزبي، ولكن كيف وبم؟ هذا ما افكر فيه حاليا. وافهم امرا واحدا بوضوح ، وهو ان تطور كولخوزنا يجعل البلاد اكثر قوة ، الامر الذي يرسخ الاشتراكية اكثر فاكثر، وهذا سيساعد على صيانة السلام على الكرة الارضية كلها .

وسيتطور التعاون والصداقة بين شعوب الدول الاشتراكية على اساس عملي قبل كل شيء، لكي ندرس وننفذ افضل ما لدينا واكثر تقدمية. فمن المفيد ، على سبيل المثال، بناء مؤسسات مشتركة وتبادل الخبرة حول مسائل الحركة التعاونية . ونحن بحاجة الى جهود مشتركة في المجال الروحي ايضا .

وسيكون من الجيد توسيع الصلات الشخصية وتطويرها: صداقة مقاطعة مع مقاطعة ومنطقة مع منطقة وكولخوز او تعاونية مع ما يماثلهما، وتبادل الوفود وتعلم البعض من البعض الاخر والمساعدة في كل شيء.

اعتقد ان تعزيز معسكر الاشتراكية يعني ايجاد طرق عقلانية غير خاطئة لذلك، مع اعلاء كرامة وهيبة كل بلد شقيق. وينبغي ان نثبت من جديد للعالم كله ان لدى النظام الاشتراكي كثيرا من الافضليات على النظم الاخرى لان الانسان الشغيل ومصالحه وخيره تحتل المرتبة الاولى عندنا .

Digitized by Birzeit University Library

الشيوعيون ، الثقافة ، الثورة

فولوديا تيتيلبويم

عضو اللجنة السياسية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الشيلي

لقد احسن بابلو نيرودا القول عن دور افكار الاشتراكية وثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى والشيوعيين في الثقافة الامريكية والعالمية ، وذلك في رده في كانون الاول (ديسمبر) عام ١٩٧٢ على الحملة الاستفزازية التي شنها صحفي شيلي من جريدة "ميركوريو". فعشية الانقلاب الفاشي الذي قضى ، بعد هذه الحادثة باقل من سنة ، على الديمقراطية في شيلي واصبح سببا لوفاة الشاعر ذاته قبل الاوان ، شتم الصحفي المأجور الشيوعيين بكلمات بذيئة وسماهم ب "الجهلة" و "الحساد الحاقدين" و "التعساء المهوسين" . وردا على ذلك اكتفى نيرودا بذكر اسماء اكثر الناس "جهلا" في قرننا ، الذين اعلنوا انفسهم شيوعيين منهم : غوركي وغاغارين ، توبوليف وجوليو كوري ، بيكاسو وماتيس ، اناتول فرايس وباربوس ، مایاكوفسكي وآراغون ، آليوار وبريخت ، مارياتيغي وفاليخو ، وبالطبع مفكرون وسياسيون بارزون امثال لينين وديمتروف وغرامشي وهو شي مينه ومؤسس الحزب الشيوعي الشيلي ريكابارين. وكتب استاذ الشعر المعروف في العالم باسره قائلا باعتزاز مشروع: " واجيز لنفسي ان اضع نفسي بكل تواضع ضمن هؤلاء "الجهلة" ايضا.

ان الاشخاص الذين عددهم يجسدون ثورة الروح الانسانية، التي لا تقدر بثمن. لقد وهبوا كل حياتهم لقضية الحرية والثورة. فهذه هي جريمتهم ازاء النظام الرأسمالي ، وهذه هي عظمتهم ايضا بنظر الاجيال المعاصرة والسابقة .

كما يمكن ايراد الوف الاسماء الاخرى الجديرة بنفس التقدير والتبجيل. ويجمع بينهم ميزة واحدة قال عنها مكسيم غوركي : " الانسان الذي يصدح بكل فخر! " فاذا كان الانسان بالنسبة للشيوعيين " الف باء " تفانيهم ونكران ذاتهم ومقياسا لكل همومهم ، فان الانسانية ايضا تتأكد كمبدأ ماركسي رئيسي في الموقف من العالم وثقافته .

الحاضر والماضي لا ينفصمان

لا تولد الثقافة خارج الزمن والمكان.

Digitized by Birzeit University Library

وبامكانها ان تموت وان تستمر في الوقت نفسه بشكل ديالكتيكي ، ان تقطع صلاتها بالماضي وتستوعب خير ما ابدعته الاجيال السابقة. اننا ورثة اسلافنا ومدينون لهم في الوقت نفسه في كل ما بذل بالامس القريب لازالة كل ما كان يردع الاندفاع الابداعي وسبر اغوار جديدة للانسان والكون. وما يحتفظ باهميته في عملية التطور واغتناء العالم الحي لافكارنا ومشاعرنا .

ان الثقافة التي تعتبر بامتياز معاصرة دائما من حيث طبيعتها ونتاجا للبشرية التي تزداد طابعا امميا ، يجب ان تبقى مع ذلك امينة لجذورها القومية. ولا يليق بالثوريين الانغلاق على الذات ، وينبغي عليهم ان يكونوا فوق التكتلات والطوائف وان يسلكوا سلوك مواطني العالم . ولا يمكن للشيوعيين ان يكتفوا بالمصالح الحزبية فقط. انهم مدعوون للتأثير في الشعوب والامم باكملها ، ليس لان الافكار الشيوعية تشكل التيار الاساسي للفكر المعاصر فحسب ، بل ولان الثورة لا يمكن ان تقوم بقوى الطليعة وحدها . وذلك لانه تندوي قوى الكوكب المندفع الى المستقبل لا اصواتنا فحسب ، بل اصوات عديدة للاصدقاء ايضا او ، بكل بساطة ، اصوات من يثقون بالانسان والجماهير الشعبية والحياة والسلم .

هكذا تجري الامور في كل مكان . وبالطبع ، عندنا في امريكا اللاتينية ايضا . والدليل الساطع على ذلك ماثل امامنا: ان جميع حائزي جائزة "نوبل" للاداب في امريكا اللاتينية، جابريلا ميسترال (١٨٨٩ ـ ١٩٥٧) وميغيل انخيل أستورياس (١٨٩٩ ـ ١٩٧٤) وبابلو نيرودا (١٩٠٤ ـ ١٩٧٣) وغابرييل ماركيس (ولد عام ١٩٢٨) ـ بينهم كان نيرودا وحده شيوعيا ـ ان هؤلاء جميعا دون استثناء فنانون ذو الهام اجتماعي متميز يعتبر الادب بالنسبة لهم ، شأنهم في ذلك شأن غوركي ، قضية هامة كونه يخدم الانسان .

ان الذي سيجروء على الزعم ، وهو يستعد للاحتفال بعد ثلاث سنوات بالذكرى الخمسمائة ل "اكتشاف" امريكا ، بانه مع مجيء كولومبس الى القارة ولدت الثقافة الامريكية اللاتينية ، انما يقترف خطأ فادحا ، اذ سيشطب بجملة واحدة كل الحضارات العريقة للهنود الحمر. اننا نرى تزايدا في عدد الناس الذين لا يقبلون تعريف "الاكتشاف" ويفضلون الحديث عن اللقاء والاصطدام التنابذ او الاغتناء المتبادل بين الثقافتين العائدتين الى نصفي الكرة الارضية المختلفين. اذ ان السكان الامريكان الاصليين في ذلك العهد البعيد كانوا يكتشفون اوربا ايضا . ولعل المغزى الاعلى لهذا الحدث كان يكمن في ان وعي البشرية آنذاك وممارستها الاجتماعية اخذا يستوعبان العالم بوصفه شيئا متكاملا. وتم البرهان على ان الارض كروية وان الناس في العالم " القديم " والعالم " الجديد " هم على شاكلة واحدة .

وفي البلدان التي قاست النير الاستعماري على امتداد ثلاثة قرون ، وقاست فيما بعد اعباء الاستعمار الجديد وضعف التطور والامية ، تلك الاعباء الملقاة بالدرجة الاولى على كاهل الجماهير المعدمة والرازحة تحت الاستغلال ، كان المثقف ـ عادة ـ خادما للحكام والطبقة المسيطرة ويبرر عدم المساواة الاجتماعية . ولكن حتى في سياق الاستيطان تولدت ثقافة اخرى وطراز آخر من الانسان المثقف . وشيئا فشيئا كان يجعل معارفه ، سلاحا في خدمة الحقيقة وريشته نصلا من اصلب الفولاذ . وجرت هذه العملية احيانا بشكل غير مرئي ، الا انها لم تتوقف في الواقع الفعلي مطلقا .

وبعد مرور قرون طوال على ذلك، اي في نهاية القرن التاسع عشر وفي سياق النضال ضد السيطرة الاجنبية مع احتدامه الطبقي والتحرري الوطني الذي لم يستثن كذلك وجود تناقضات عرقية ، اصبح خوسيه مارتي (١٨٥٣

Digitized by Birzeit University Library

- ١٨٩٥) بشيرا بعهد جديد بالنسبة لسكان امريكا اللاتينية وانسانا جسد بلحمه ودمه السياسة والثقافة ، الفكر والعمل ، الحرية والشعر . الادب والحياة . ان خوسيه مارتي سبقنا بمثاله في تجسيد شعار " الوطن ام الموت ! " . واستشهاده في القتال جعله خالدا . ولم تكن هذه التضحية بلا جدوى ، اذ ان الارض التي احتضنت البطل اهمرت نباتات ثورية . وبعد فترة تاريخية وجيزة نسبيا نبتت على دمه اجمل زهرة ليس في تاريخ الوطن فحسب ، بل في تاريخ كل امريكا اللاتينية ايضا . وكان مارتي رائدا سباقا للثورة الكوبية التي نعتبرها نحن جميعا اعظم حدث سياسي وثقافي في تاريخ قارتنا .

وامثال مارتي من الانبياء لم يكن قليلا . فارنستو تشي غيفارا احد ابرز المناضلين والمفكرين الامريكيين اللاتينيين في القرن العشرين نظر من اعلى عمة اخلاقية الى المستقبل ووهب حياته له . واذ كان يستعد في جبال الاند البوليفية للحمته ، وهو على يقين من ان الموت الجسدي لا يستطيع النيل من عظمة حلمه وعمله ، كتب قائلا : " سيكون انسان القرن الحادي والعشرين نتاج ايدينا نحن بالذات " .

صدى اكتوبر

لقد ابتدأ القرن العشرين ، من وجهة النظر السياسية في عام ١٩١٧ ، وليس في عام ١٩٠٠ . وثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى كانت هزة روحية لا مثيل لها بالنسبة للايين الشغيلة والشباب الجامعيين والمثقفين الطليعيين في امريكا اللاتينية . وقد كتب خوسيه اينخينيروس الفيلسوف الارجنتيني (١٨٧٧ - ١٩٢٥) في معرض تقويمه لنتائج هذا الحدث قائلا : " ها جميع الشعوب قد ولجت طريق التجديد الكامل . ولا نستطيع الا ان ننهل من اهميته السياسية والاخلاقية والاقتصادية غير العابرة ". وبعد مرور بضعة اشهر فقط على اكتوبر عام ١٩١٧ تحولت قاعات الطلبة في مدينة كوردوفا (الارجنتين) الى ساحة للحركة من اجل الاصلاح الجامعي ، التي انسحبت على امريكا اللاتينية كلها تقريبا . وكتب الارجنتيني أنيبال بونسيه (١٨٩٨ - ١٩٣٨) المشارك الشاب في هذه الاحداث ، البالغ ٢٠ سنة من عمره ، وهو من المع الماركسيين في حينه ، عن احداث روسيا آنذاك قائلا: " ان اللهيب الاحمر الذي شمل الشرق اشعل النار في جامعتنا القديمة ايضا " .

ومن المعروف جيدا ان الثورة في روسيا ، التي مهدت لنشوء الاحزاب الشيوعية وانتشار الماركسية في العالم باسره ، سجلت انعطافا حاسما في مصير منطقة امريكا اللاتنينة ايضا . واننا نقرأ بين اسماء الشيوعيين البارزين في القرن العشرين الذين ذكرهم نيرودا في قوله الوارد في بداية هذه المقالة اسمي خوسيه كارلوس مارياتيغي (١٨٩٥ - ١٩٣٠) من بيرو ولويس اميليو ريكبارين (١٨٧٦ - ١٩٢٤) من شيلي. ولا شك انهما يستحقان اهتماما خاصا، لانهما كانا لا مفكرين سياسيين عميقين فحسب، بل منظمين للطبقة العاملة ومؤسسين للحزبين الشقيقين في بلديهما ايضا.

ويعتبر مارياتيغي، عن حق، اول ماركسي كبير في امريكا اللاتينية. وقد تغير الكثير في بلاده وفي امريكا اللاتينية والعالم منذ وفاة هذا الثوري البارز قبل الاوان في عام ١٩٣٠. والاعمال العديدة التي كتبها هذا العالم الاجتماعي والصحفي يجب ان تقرأ كما تقرأ مؤلفات اي كلاسيكي: اي بعيون معاصرينا وبابراز ما هو غير عابر، ولكن دون اخذ الاراء الانية في الواقع المحيط على انها الكلمة الاخيرة للحكمة الانسانية. وتتلخص مأثرة مارياتيغي الرئيسية في انه قد قام ، في ضوء ثورة اكتوبر

Digitized by Birzeit University Library

الباهر وقبل غيره، بمحاولة جدية لتحليل الوضع في بلاده وفي امريكا اللاتينية تحليلا ماركسيا. لقد كانت تلك مأثرة ابداعية حقا. وبقيت مجلة "اماوتا" التي كان يصدرها علامة بارزة في ثقافة القارة الى الابد . ان كتاب "سبع نبذات لتفسير واقع بيرو" الذي اصدره في عام ١٩٢٨ يفتح امام القارىء آفاقا جديدة ويوقظ الفكر الابداعي ويدعو الى العمل الجماعي. وفي ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) من العام ذاته صرح مارياتيغي لصحيفة "فاريداديس" الصادرة في ليما: "ان امريكا الاسبانية او امريكا اللاتينية"، مهما كان اسمها، لن تجد وحدتها في ظل النظام البرجوازي. وتتلخص قضية امريكا الشمالية الانكلوسكسونية في تتويج واستكمال الحضارة الرأسمالية. اما مستقبل امريكا اللاتينية فهو الاشتراكية ".

وبعد مرور ثلاثين سنة سجل انتصار الثورة الكوبية نصرا عظيما للماركسية في نصف الكرة الارضية الغربي. لقد غيرت هذه الثورة تاريخنا. وضمن هذا النجاح الارتباط الوثيق بين النظرية والممارسة اللتين تواصلان اغناء بعضهما البعض وتصبان في اعمال جماعية يقوم بها الشعب بأسره. وفيديل كاسترو القائد الامريكي اللاتيني البارز بجسدهما ويلهمهما بشكل حي وعميق بعمله اليومي وكلمته النافذة الى القلب .

والى جانب مارياتيغي ورياكابارين المؤسس المعروف للحزب الشيوعي في شيلي (ان طريقه يذكرنا في الكثير من النواحي بسيرة حياة زعيم بيرو بوصفه مفكرا سياسيا ومناضلا) سمى نيروردا شخصا آخر من امريكا الجنوبية ومن مواطني مارياتيغي عاش في العقود الاولى من قرننا ، هو سيسار فاليخو (١٨٩٢ - ١٩٣٨) الشاعر الشيوعي ذو الموهبة الكبيرة جدا ، الذي عاش مع شعبه من النظام الاستغلالي ، آلاما قاسية جدا الى حد انه كان يستحي من قرض الشعر ، بل واحيانا ادانه ، ويعتبر ابداعه مساهمة هامة في الادب العالمي . والشاعر بالرغم من الطابع المأساوي جدا لاحساساته بالعالم ، وجه انظاره الى الحركة الثورية العظيمة التي اخذت تحدد آنذاك التاريخ العالمي . لقد رفض ان يعترف بانتصار الفوضى واللامعقول المجسدين في النظام الرأسمالي اللانساني ، وزار الاتحاد السوفييتي وكتب قبل وفاته بزمن قصير مؤلفات متفائلة في نظرتها الى الحياة ، بما في ذلك عن الحرب الثورية في اسبانيا .

ان العقود السبعة التي تفصلنا عن اكتوبر العظيم كانت شاهدا في امريكا اللاتينية على التأثير الهائل - المباشر او غير المباشر - الذي مارسته الثقافة الثورية والايديولوجية الماركسية . وتظهر مساهمة الشيوعيين وممثلي سائر تيارات المثقفين الثوريين الطليعيين واللاحزبيين في الحياة الروحية في القارة بشكل ساطع سواء على صعيد الشعب "البسيط" او بين اناس العمل الابداعي - في الادب والفن والعلوم الاجتماعية والطبيعية . وليس ثمة في القارة بلد لم يبرز فيه الشيوعيون ، وفي ارفع مستوى ، في الحياة الاجتماعية والساسية والثقافية . وفي الواقع، فان كل شعب من شعوب امريكا اللاتينية والكاريبي - من المكسيك الى شيلي - قد قدم فنانين وقادة ثوريين من بين ابنائه . والواجب التاريخي والثقافي يطالبنا بجعل تراثهم ملكا ليس للدائرة الضيقة من مواطني البلد فحسب ، بل ولسائر الامم الشقيقة ايضا .

منذ حوالي ربع قرن فقط اكد الكاتب الغواتيمالي كاردوسا - اي - أراغون (ولد عام ١٩٠٤) بان "الرسوم الجدارية المكسيكية تعتبر مساهمة امريكية وحيدة في الفن العالمي " . وفي ايامنا ينسب هذا المستوى العالي جدا الى الرواية الامريكية اللاتينية المعاصرة . ويرى

Digitized by Birzeit University Library

بعض المؤلفين في مثل هذه الانطلاقات الابداعية قانونا معينا . لقد ظهر الرسامون الجداريون وابدعوا افضل صورهم الجدارية في بوتقة الثورة المكسيكية في اعوام ١٩١٠ ـ ١٩١٧ .

ان ازدهار الرواية الامريكية اللاتينية في العقود الاخيرة يتطابق ، بشكل معبر والحالة النفسية التي اسفرت عنها في القارة الثورة الكوبية ، هذه الثورة التي اصبحت دليلا آخر على ازمة الاستعمار الايديولوجي واستيقاظ الوعي الوطني . وعلى غرار المزاج الفردي الاصيل ، يلهم الوعي الوطني فنانين مثل الاكوادوري غواياسامين (ولد ١٩١٩) والكوبي لام (١٩٠٢ ـ ١٩٨٢) والشيلي مابا (ولد عام ١٩١٢) ، اذا لم نتحدث الا عن هذه القمم الشامخة الثلاثة فقط " من السلسلة الفنية في امريكا اللاتينية . ونرى الشيء ذاته في الموسيقى والمسرح والسينما والرقص وفي جميع انواع الفن الاخرى . كما لا يقل اهمية نجاح الفن المعماري الذي تمثله اسماء معروفة في العالم بأسره ، مثل ، نيمبير (ولد عام ١٩٠٧) باني مدينة برازيليا . ويمكن لاسماء الثوريين الذين ساهموا بقسطهم في ثقافة بلداننا ان تشكل كتابا ضخما . غير ان المقالة ليست دليلا "نلفونيا ، وقد اشرنا الى بعض الاسماء فقط من اصل الوف المبدعين على سبيل المثال لا الحصر ، كي نعطي صورة عن مدى العملية ذاتها .

العمال والمثقفون

لقد سبق لماركس ان كتب عن دور الطبقة العاملة الطليعي في المجتمع المعاصر . وانه ينبغي ان تتكون الاحزاب الشيوعية من البروليتاريين قبل غيرهم او ، بمعنى اوسع ، من الشغيلة الذين يشكلون فئة اصطلح على تسميتها ، بشكل ليس موفقا تماما ، ب "شغيلة العمل الجسدي والذهني" ، الا انه في بعض الاحزاب ظهرت احيانا نزعات معادية للثقافة ، كما برزت النزعة العمالية الضارة والسخيفة التي تلازم ، مهما كان ذلك غريبا ، بعض المثقفين والتي الحقت بالحركة الثورية ضررا ليس بالقليل . ان الحركة الثورية تستحيل بدون العمال ، ولكنها تحتاج كذلك الى مثقفين ، اذ ان مساهمتهم في الثورة لا تعوض والبرهان الساطع على ذلك هو مثال ماركس وانجلز ولينين . ونحن في امريكا اللاتينية لا ننسى دور المفكرين السياسيين الذين استلهموا فكرة النضال من اجل الاستقلال والمبشرين به والقادة امثال ميراندا وبوليفار . ولا يحتاج المرء لكبير ذكاء لتقويم دور المثقفين في الثورتين في كوبا ونيكاراغوا بشكل صحيح .

وقد يؤدي شح النظرية والفقر الايديولوجي في النشاط الثوري الى عواقب وخيمة جدا . وسيؤثر ذلك ، اول ما يؤثر ، في القيادة وسيضعفها وسيجعلها عاجزة عن التلبية الصحيحة لحاجات النضال ومتطلباته وسيعرقله وسيفقره امام العدو الذي يلجأ ، لتحقيق اهدافه ، الى تزوير الواقع بشكل يزداد تفننا ونية سيئة ونفاقا .

ان بلدان امريكا اللاتينية غارقة الان ، بكل معنى الكلمة ، في شتى انواع "المؤسسات" التي تنظم ندوات علمية واجتماعات ومؤتمرات وتنشر اطروحات علمية وبحوثا وموضوعات وما شابه ، وتعطي كما يحلو لها تأويلات لمختلف الشخصيات والاحداث التاريخية والاراء وترفض هذه المفاهيم او تلك . ولا يندر ان يكون وراء هذا النشاط دوافع تقدمية ، ولكن ليس دائما مع الاسف . ومن الهام ان نصوغ ، نحن الشيوعيين ، وعيا ثقافيا تاريخيا خاصا من شأنه ان يساعد على ان نحدد ، دون خطأ ، ما ينبغي ان نرى فيه عنصرا تقدميا وثوريا وما ليس ، سوى شيء تقليدي ورجعي في غلاف كاذب من "التجديد" . لقد انجز الثوريون الامريكيون اللاتينيون غير

Digitized by Birzeit University Library

القليل في مجال الثقافة ، الا انه ينبغي عليهم ان ينجزوا في المستقبل اكثر من ذلك . ومشاركتنا في الانتقاد والمناقشات النظرية التي تجري في شتى الاتجاهات يمكن ان نعتبرها حتى الان متواضعة ، وتتم الاستدلالات الايديولوجية احيانا عن انعزالية او ليبرالية .

واذا اعترفنا بان السياسة تعتبر في الوقت نفسه فنا وعلما ، لتوجب علينا ان ندرسها ونعد انفسنا لادارتها . ولا يمكن الاهتداء ، والعمل في متاهات المجتمع المعاصر والادراك الصحيح للديالكتيك المعقد في الحياة التي تطرح كل يوم قضايا صعبة جدا وتؤدي الى المجهول وتطالبنا بالرد على مسائل بالغة التعقيد ، بالاستناد الى الغريزة الطبقية والحدس او الوصفات البالية فقط . فلا بد من معارف جدية وحكمة جماعية لا تنشأ الا كنتيجة لحكمة الافراد . فلا نزدري العقل والتعليم ، ولا نقلل من اهمية الثقافة . الا يكفينا ما حدث من مآسي عاشتها الحركة الشيوعية مدة طويلة ، حين كان شخص واحد يفكر نيابة عن الجميع وبدت كل فكرة حية مثيرة للارتياب وكانت تكلف احيانا حياة صاحبها ؟

كان لينين يعترف بالدور القيادي لعمال روسيا وفلاحيها في تطوير القضية الثورية العظيمة . وفكرة التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين والفئات الوسطى المنخرطة في العمل الجسدي او الذهني تعتبر من موجبات العالم المعاصر الحاسمة . وبدون هذا التحالف الذي تحدث عنه كاسترو تطبيقا على امريكا اللاتينية ، مؤكدا ضرورة التعاون بين الماركسيين والمسيحيين ، يستحيل احراز انتصارات جديدة على الطريق الثوري عموما ، لا سيما اننا نعيش في مرحلة المحاولات المستمرة لعزل الاحزاب الشيوعية وافشال تأثيرها في الجماهير وفي وقت تكتب فيه الصحف البرجوازية بالحاح عن "ازمة" في الحركة الشيوعية . ونحن الشيوعيين ، بوصفنا جزءا مكونا للقوى الثورية ، ضروريون الان اكثر مما في اي وقت مضى . وتتلخص المسألة في قدرتنا على القيام برسالتنا التاريخية . ولكن ذلك يستحيل ، اذا لم نتخلص من الافكار الجامدة . ومهما بدت كلماتي مسيئة وغير عادلة للوهلة الاولى ، الا اننا قد نقع في اسر نزعتنا المحافظة القديمة الجامدة - هذا الخدر الذي لا بد من التغلب عليه ، دون ان نترك لها مكانا في الوعي .

وحتى ان الانظمة الاكثر افتراء والانظمة المغرقة في المحافظة والاصولية او الفاشية الجديدة تملك مدافعين مثقفين مهرة في التزيين والجراحة التجميلية يستطيعون ان يجعلوا الظلامية، التي ما بعدها ظلامية آخر صرعات للموضة . على سبيل المثال ، يتصرف بينوشيت بحاشية كاملة من "العلماء" الذين يتشدق بايعاز منهم عن سبعة "تحديثات". ويقال ان "الثورة اصبحت من الماضي" ، بيد انها لم تغادر مسرح التاريخ ، بل على العكس انها مطمح الجماهير .

ان عملية انتشار الوعي الثقافي لا تمس المثقفين وحدهم ، بل جميع الناس ايضا ، ولا سيما في مرحلة الثورة العلمية التقنية ، حيث يتمخض عالم العمل والانتاج المادي عن طائفة كبيرة من الاختصاصات التي تتطلب مستوى عاليا للثقافة . وبهذا المعنى من المبرر الحديث عن ان الانسان بحد ذاته يزداد وعيه الثقافي اكثر فاكثر . ويمكن قول الشيء ذاته عن الحزب الشيوعي . وبطبيعة الحال ، لا يدور الحديث حول حزب ما خاص بالمثقفين ، بل حول العقل الجماعي للمثقفين الحزبيين ، وهذا ليس نفس الشيء على الاطلاق . ولا بد من تغيرات في ثقافتنا السياسية والعلمية التقنية وتصحيح للاخطاء وتنوع في الاراء واستعداد للبحث في القضايا الجديدة وعمل دائم في صياغة مسائل الايديولوجيا وبحوث في مجال العلم

Digitized by Birzeit University Library

والادب والفن . ويتطلب كل ذلك انعطافا نحو مشاركة الشعب باسره في اجراء التغييرات ، حين يصبح كل انسان ذاتا وليس موضوعا للعملية التاريخية. وتفترض مثل هذه الاهداف ديمقراطية حقيقية وتبادلا حرا للاراء ومسؤولية عالية للمشاركين في النضال الجماعي من اجل مستقبل افضل . والعناية بهذا النضال تزداد وترتدي اشكالا ملموسة . وفي هذا الصدد نلفت النظر الى انه ابتداء عام ١٩٨٨ ، تحت رعاية اليونيسكو ، العقد العالمي لتطور الثقافة ، ومن واجبنا ان نولي هذه المبادرة اكبر التأييد .

الشيوعيون امام التغيرات

لقد قال ميخائيل غورباتشوف في خطابه بمناسبة الذكرى السبعين لاكتوبر العظيم ان الحركة الشيوعية بحاجة الى تغيرات نوعية . ومن الهام ، في رأينا ، اخذ هذه الكلمات على محمل الجد والشروع باسرع ما يمكن في العمل خاصة اننا قد ضيعنا وقتا طويلا . غير اننا ، كي نبدأ ، يجب ان ندرك بوضوح طريق السير وماهية العمل . فلا بد للحركة من تجدد، والا بقينا على هامش التاريخ ، علما بان الحديث لا يدور البتة حول استنساخ نماذج الغير. ان التقليد والقوالب الجاهزة والصور طبق الاصل ، المنتشرة جدا في الحياة الاعتيادية ، تصبح في السياسة سخافة مرفوضة ، ناهيكم عن انها تهين الكرامة الانسانية .

انني اعتقد ان جوهر آراء السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي يتلخص في ندائه الى التفكير الجديد، وفي ارادة تسليم الايقونات والاساطير البالية التي كانت تبهرنا زمنا طويلا الى المتحف ، والاستعداد لتقبل الحياة كما هي وبدون تزيينات ، بغية تحسينها واعطاء العملية الثورية حوافز جديدة . وهو اذ يحلل التجربة السوفييتية ، يصوغ مبادىء منهجية تخص الشيوعيين جميعا . كما ان معرفته كيفية تناول الظواهر بدون اي تحامل وبشكل ديالكتيكي ماركسي تستحق اعلى تقدير. فلنفتقد مثال هذا النقد والنقد الذاتي النابع من القلب ونقض على البيروقراطية ونلب متطلبات الحياة، متخلصين من الشعارات الفارغة والجمل التي لا تعني شيئا والقوالب الجاهزة والتعابير المنمقة ولنحل محلها لغة الواقع الجديدة والغنية والملموسة .

ولا يجوز في البحوث العلمية وفي الابداع الفني على حد سواء الاخلال بالقوانين الملازمة لهما واحتمال التدخل الاداري الغريب . لقد كنا دائما نرى ان الحزب لا يمكن ولا يجوز له ان يفرض مذاهبه ومدارسه الفنية والتوجيهات الرسمية في المسائل الجمالية. اذ ان الدافع الابداعي يتولد في وعي المؤلف وقلبه. واذا ما كرس هذا الوعي وهذا القلب للثورة فان وليدهما سيعود اليها ايضا .

كما ان القضية تكمن في انفسنا . فنحن نعاني بالطبع، نواقص عديدة في صياغة مسائل الثقافة ، وقبل كل شيء، في ممارسة السياسة الثقافية على الصعيد العملي . واحيانا لا يستوعب الشيوعيون الثقافة كما اراد انجلز الذي قال انها تعتبر كلا متكافئا لا ينفصم مع السياسة والاقتصاد ، بل نخصص لها دورا ثانويا ولا نعتبرها سوى اداة . ويوجد غير قليل من الخبراء الذين يعتقدون ان ثمة خطرا يهدد بتحويل الثقافة الى شيء يشبه "سيندريلا" او زهرة في عروة سترة او حتى " عجلة خامسة في العربة" .

وهذا ، علما بان الثقافة ليست حذاء يستطيع المرء تبديله على هواه . كما لا يمكن اعتبارها مجرد توابل للاصناف السياسية الحارة ، لانها بحد ذاتها سياسة بكل معنى الكلمة العميق . وفي اوقات معينة يمكن ان تكون الثقافة ، اذ تلبي حاجات الناس الطبيعية تسلية ومشهدا ، ولا

Digitized by Birzeit University Library

سيما اذا دار الحديث حول السينما والتلفزيون والفيديو. واحيانا ترتبط اجراءات بهيجة او دراماتيكية او مهيبة لاختتام المهرجانان الشعبية او الاعياد، على الرغم من ان وظيفة الثقافة هذه ليست الوظيفة الرئيسية الاولى . لا يمكن التلاعب بالثقافة او استخدامها لسد الفراغ . فهي شيء اكبر من عقد لؤلؤتين، لانها تخدم لا للتزيين ، بل قبل كل شيء ، للبحث عن الحقيقة والخير والجمال . ويندمج فيها الجمال والاخلاق وهي ضمير العالم مجسد في الانسان لجعله قادرا على تحويل البيئة بشكل واع ورشيد . والايديولوجيا والمعارف هي في اساس تكونها . وهي في نهاية المطاف نتاج لسلوكنا وعملنا اليومي، ليس في الجبهة الثقافية فحسب، بل في مجالات النشاط الروحي والمادي كافة ايضا ، بغض النظر عما هو المقصود - المصالح الحزبية او البشرية العامة ، المصالح الخاصة او العامة .

لا شك في ان الشيوعيين يجب ان يعملوا بشكل افضل وعلى نطاق اوسع. والحزب مدعو الى ان يكون بالنسبة لنا ، نحن اعضاءه ليس مجرد بيت ، بل جماعة اخوية مفتوحة مضيافة ومفعمة بالحياة ، اذ ان كل حياة الثوريين غير السهلة تجري في صفوفه في نهاية المطاف ، حياة الناس الذين يتخلون في ظل الرأسمالية عن الكثير ويسيرون ضد التيار ويخاطرون بحياتهم ويتعرضون لشتى انواع الاخطار . وبطبيعة الحال، يدور الحديث بالنسبة للشيوعيين حول ضرورة تطوير ثقافة العمل بين الجماهير والحس السياسي الى اقصى حد ، وتقدير عقل الغير حق التقدير ، وتقدير مواهب المفكرين والفنانيين والعلماء ومساعدتهم على النجاح في خدمة الشعب والمجتمع واحترام وقت عملهم ومساهمتهم العظيمة في القضية المشتركة .

وهذا لا يعني البتة نزع السلاح الايديولوجي او نهاية للجدال التاريخي مع الرأسمالية . ففي مجال المبادىء يجب ان تكون المناظرة اكثر حدة حتى مما في السابق ومعللة جيدا بالحجج والبراهين ، لان الثقافة تحتفظ بتناقضات عديدة . انها بالنسبة لنا ليست فهوما مجردا ، انها مفهوم مرتبط بالحياة ذاتها وبالنضال في سبيل الديمقراطية والاشتراكية . وتنبع من هنا ضرورة تطوير المؤهلات لممارسة سياسة بناءة تمكن من خوض المعركة في ظروف انسب . واعتقد انه ينبغي على الثوريين في قارتنا التي تعيش في جو من آمال لم تتحقق وجو توتر وقضايا معلقة ان يتقدموا ببرنامج مقبول من جميع فئات المجتمع التقدمية ، علما بانه لا يمكن اعتبار المثقفين والطلاب الجامعيين التقدميين مجرد عصاة عفويين او معبرين عن "النزاع بين الاجيال" ، اذ انهم مدعوون الى ان يشاركوا حتما في المعركة التي يعتبرونها معركتهم عن حق ، وليس بوصفهم "رفاق طريق" على الاطلاق .

ولعل الحركة الشيوعية والثورية تعيش وقتا خطيرا بشكل استثنائي . والمقصود هو جهل تفكيرنا يتناسب مع حاجات العالم على عتبة القرن الحادي والعشرين . والمطلوب ليس اعادة بناء الاقتصاد والسياسة والثقافة فحسب ، بل ونظريتنا وممارستنا ايضا .

والحال ان الشيوعيين وجميع القوى الثورية العالمية يواجهون الان رأسمالية تمتلك قدرة متفننة على تحديث شكلي صرف وكاذب من حيث الجوهر ، راسمالية مستعدة لاعطا اجوبة بمقتضى الاوضاع الناشئة . انها تستخدم لمصلحتها وبدون عائق منجزات الثورة العلمية التقنية . ولذا فقد آن الاوان لنا ان نعود الى ماركس ولينين ونطبق تعاليمهما على الاوضاع الراهنة .

في حوزة القرن العشرين المنتهي لا نجاحات مذهلة وتحولات عظيمة فحسب ، بل وكذلك مآسي لم تعرفها البشرية من قبل على الاطلاق ، بما في ذلك التي رافقتها اخطاء وتشويهات

Digitized by Birzeit University Library

خطيرة لمباديء الاشتراكية وروحها واخلاقها . وشهد هذا القرن اعظم حركات اجتماعية عرفها التاريخ وانتصار التقدم العلمي التقني (الذي لا يلغي البتة ضرورة الثورة الاجتماعية). اننا ننهي طورا تاريخيا وندخل طورا آخر نعتزم على ان نقوم في مجراه بثورة في الثورة .

اما الرأسمالية فانها تعلل نفسها الان بالادعاء ب "شبابها الثاني" وتعلن "تحديث" اليمين الذي يعارض ملكية الدولة في كل مكان . وقد زينت نفسها بكلمة "الجديدة" الاضافية التي استعارتها منها على الفور النازية والفاشية . غير ان الحيل التجميلية ، ايا كانت لن تحل معضلات عصرنا الجذرية الناجمة عن التناقضات التناحرية الملازمة للراسمالية . وليس ثمة في المجتمع ولن تكون تغيرات حقيقية بدون تغير في العلاقات الطبقية . ان الرأسمالية في بلدان امريكا اللاتينية لن تخطو خطوة واحدة نحو "تحسينها" بتخليها عن عدم المساواة الصارخ بين الثروة الصارخة للبعض والفقر المدقع للبعض الاخر .

لا وجود ل "افول" الايديولجيات ، الذي يجري الحديث عنه في الاونة الاخيرة .انها تتغلغل في حياتنا كلها . ولا يزال رأس المال الكبير ، كالسابق ، يطبق ايديولوجيته على اصعدة السياسة والدولة والاقتصاد والحياة الاجتماعية ، والتشريع ووسائل الاعلام العام ، ساعيا الى ان يمتلك ويستخدم كل الادوات التي تمكنه من اضفاء طابع قانوني على سيطرته ومن تخليدها . والحال ان المؤسسات التي تصنع التوجهات الايديولوجية ، تخضع لمراكز الحكم الرجعية بشكل صارم . ونحن الشيليين نعرف ذلك جيدا جدا ، اذ نرى كيف يدير الجنرالات جامعات البلاد .

لقد شهدت في اثناء اقامتي الاخيرة في شيلي تعبئة مثيرة لقوى الثقافة دفاعا عن الجامعات التي تقضي عليها الدكتاتورية الفاشية المتطرفة بالزوال بوصفها مصدرا للمعارف ومركزا للفكر الباحث . والنقاش بين الرجعية وانصار التغيرات يزداد حدة . ويحملنا على التفكير الضغط الذي يمارسه المحافظون الجدد وقدرتهم على الظهور بحلل جديدة وعلى التنكر .

مسايرة العصر

ان المهام التي حققتها الاحزاب الشقيقة على امتداد سنوات وجودها ، وقدوم الاف الجديدة تطالب بان تدرك بعمق من قبل الشيوعيين . ولا يستطيع احد التقليل من مساهمتنا في ثقافة القرن العشرين العالمية ، كما اظهر ذلك نيرودا استنادا الى الامثلة . ولقد تميزت هذه المساهمة بطابع ثوري وابداعي وابعاد غير اعتيادية ، الامر الذي ينفي مع ذلك انتقادا ذاتيا في تقديرها وتفهما لتعقيد القضايا الماثلة امام الحركة الشيوعية وضرورة اجراء تغييرات عاجلة .

وتزداد مؤشرات الازمة في العالم الرأسمالي . الا ان هذا العالم لا ينوي الانتحار. ويجب علينا ان ننتقل الى الهجوم ونستطيع تحقيق ذلك ، لان الثورة لم تتعب ، وهي تحتفظ بامكانات عظيمة

ان الماركسية التي اظهرت قدرتها على تحويل نظريتها الى اعمال ملموسة في جزء كبير من المعمورة لا تزال تيارا رئيسيا في الفكر الانساني العالمي . واليوم تمتلك حوافز جديدة ، وهي تعود الى مصادرها الثابتة ادراكا منها للاخطار التي تتضمنها نظرية الحتمية المطلقة والجمود العقائدي ونفسية " البراغي" الخالية من الارادة.

ان الماركسية تعرض على العالم افكارا اصبحت قوة مادية ، افكارا لا جدال في صحتها ومعقولة وبسيطة مثل النداء الى انقاذ البشرية من يوم القيامة النووي . وتستجيب هذه الافكار لغريزة حفظ الذات ومنطق الناس الاولي واستنتاجات العلماء ، خلاصة القول تستجيب

Digitized by Birzeit University Library

لقانون الحياة الطبيعي الى احد ان ميخائيل غورباتشوف نصيرها الحالي الاكثر سطوعا قد اعلن "رجل عام" (عام ١٩٨٧) في الولايات المتحدة وبلدان عديدة في اوربا الغربية وبالطبع ، فان رجل الدولة هذا لا يعبر عن نظرته الشخصية الى العالم . وليس هو البتة حالما ولا فيلسوفا مكتبيا يرسم خططا تأملية صرفا عن عالم بلا حروب. انه حامل راية مجتمع عظيم هو الاشتراكية وفكر عظيم هو السلام العام الثابت. ومن الهام ايضا ان نرى لا العظمة الاخلاقية للمبادىء التي يعلنها فحسب ، بل والموهبة والوضوح في عرضها ايضا ، الامر الذي يجب ان يتعلمه الكثيرون . اننا نحتاج، مثل حاجتنا الى الهواء ، الى انفجار للطاقة الثقافية الكامنة في داخل الشعب والحركة الثورية .

ان العلاقة بين مصائر كوكب الارض وامريكا اللاتينية ، بين السياسة والثقافة ، بين السلام العام التي راودت البشرية على مدى العصور بشكل عميق في الحديث الذي جرى بين ميخائيل غورباتشوف وغارسيا مارشيم في ١٥ تموز (يوليو) عام ١٩٨٧ . ولا بد للانسان العصري من تغيير تفكيره. ان صيانة الحياة وتصفية السلاح الذري وجميع انواع السلاح هي الوصية رقم واحد من "الوصايا العشر" الجديدة . ويرى غورباتشوف ان "العالم باسره بحاجة الى اعادة بناء" . اما الروائي البارز فيؤكد انه اذا انجزت البيريسترويكا ، اذا انجز ما تعملونه حتى النهاية ، فسيكون ذلك اهم حدث في التاريخ المعاصر" . ويعرب السياسي لا الكاتب عن التمني الاتي قائلا: " اننا بحاجة ماسة الان الى خيال ابداعي " . ويعلن الاديب الكولومبي بحماسة : "لا خطوة الى الوراء ! .. وكونوا على يقين من ان المثقفين في امريكا اللاتينية ايضا يقفون الى جانبكم. ويتلقى الناس فيها باهتمام بالغ ما يجري في الاتحاد السوفييتي ..." . وهذه الكلمات لا يقولها شيوعي ، بل ثوري لا حزبي ، وكلماته لا تعكس نفسية معظم المثقفين في امريكا اللاتينية فحسب بل ونفسية شعوبنا ايضا . ويضيف غورباتشوف قائلا : "انني اهتم كثيرا جدا بهذه القارة ومصيرها . انها قارة ذات امكانات كامنة هائلة وتقاليد عريقة . وعلى الرغم من كل المصاعب ، تتوق شعوبها بقوة الى مستقبل افضل . ولكن العوائق في هذا الطريق كبيرة ومعروفة لديكم . ان الطريق نحو الحرية وعر وصعب . الا انني على يقين مع ذلك من ان سير امريكا اللاتينية في طريق التقدم سيزداد سرعة " .

وتقوم شعوب امريكا اللاتينية بتنفيذ هذه المهمة . والهدف ذاته ماثل امام ثقافتها . والحوار الانف الذكر يعرب بهذا الشكل او ذاك عن افكارنا نحن جميعا . ونؤكد مرة اخرى قناعتنا باننا ، نحن الشيوعيين ، نشكل جزءا من الحركة العالمية دفاعا عن حياة الانسان ذاتها وعن حريته وازدهاره ، ودفاعا عن الانسانية . كما يقوم المثقفون الثوريون في امريكا اللاتينية بهذه المهمة ، مناضلين في الصفوف الاولى مع جميع من اعتادوا التفكير دونما التفات الى العقائد الجامدة .

Digitized by Birzeit University Library

هل تحسنت معيشة العامل الامريكي ؟

جورج كريكوريان

عضو اللجنة الاقتصادية للحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الامريكية

ان التغيرات البنيوية في الاقتصاد الرأسمالي للولايات المتحدة الامريكية تركت اثرا عميقا عل وضع وتركيب الطبقة العاملة والحركة العمالية في البلاد. ويتلخص هدفها في تخفيض كلفة العمل وزيادة درجة الاستغلال بغية توفير ظروف انسب لتراكم راس المال.

في بداية السبعينات حلت مرحلة الوتائر المتباطئة لنمو اقتصاد الولايات المتحدة ، هذه المرحلة التي تميزت بافلاس نظام "بريتون - وود" وارتفاع الاسعار السريع للوقود وعجز الميزانية والميزان التجاري المتزايد وتفاقم التناقضات الامبريالية الداخلية وهبوط معدل الربح. وابتدأت منذ ذلك الحين العملية المضادة لتلك التي ظهرت في سنوات ما بعد الحرب. لم يرتفع مستوى معيشة العامل ، بل اخذ على العكس من ذلك في الانخفاض. وفي الفترة الممتدة بين عام ١٩٧٢ وعام ١٩٨٧، انخفض دخله الاسبوعي المتوسط بنسبة ١٥ في المئة على اساس الحساب الفعلي . وانخفضت القدرة الشرائية الراهنة لاجمالي الاجر الاسبوعي الى مستوى ما قبل ٢٧ سنة، (عام ١٩٦١). وعلى ما يبدو، فان الدخل المتوسط للشغيلة قد هبط الى مستوى نهاية الخمسينات ، اذا اخذنا في الاعتبار الاعباء المتزايدة للضرائب المفروضة عليهم .

لقد ترافق انخفاض الاجر الفعلي مع انخفاض مداخيل العائلة . واذا كان دخل العائلة الاعتيادية قد تضاعف في المرحلة الممتدة من عام ١٩٤٧ الى عام ١٩٧٣، فانه قد انخفض منذ عام ١٩٧٣ حتى الان بنسبة ٥ في المئة . وليس هذا الانخفاض كبيرا بالمقارنة مع انخفاض الاجور جراء التحاق عدد كبير من النساء بجيش العمل .

لقد تميزت الخمسينات والستينات بعائلة ذات عامل واحد. غير ان هذا الوضع اخذ في التغير في السبعينات . ان مستوى المعيشة الذي كان يضمنه في الماضي عامل واحد، قد تطلب في الثمانينات عاملين على الاقل. فمنذ ٣٠ سنة كان ٦٠ في المئة من جميع الرجال المتزوجين

Digitized by Birzeit University Library

معيلين وحيدين لعائلاتهم . الا ان هذه النسبة قد انخفضت في الوقت الراهن الى ٣٢ في المئة. وثمة حوالي ٦٠ في المئة من جميع النساء المتزوجات اللواتي لهن اطفال دون ١٨ سنة يعملن في الصناعة وفي قطاعات اخرى. والادهى من ذلك ان مداخيل العديد من العائلات تتكون من اجور الاطفال ايضا. فابتداء من عام ١٩٥٠ ازدادباستمرار عدد الاحداث الذين تتراوح اعمارهم بين ١٤ سنة و ١٧ سنة والذين يذهبون الى العمل ويترددون الى المدرسة في الوقت ذاته. وثمة ما يزيد على ٤ ملايين تلميذ من الصفوف العليا (٢٥ في المئة من العدد الاجمالي) انتسبوا الى جيش العمل .

وقد ترافق تردي وضع الطبقة العاملة باعادة توزيع المداخيل في مصلحة الاغنياء . وفي مرحلة وجود ريغان في البيت الابيض كان ازدياد مداخيل رأس المال يسبق كثيرا ازدياد اجور الشغيلة ، على الرغم من اتساع التشغيل. ففي اعوام ١٩٨١ - ١٩٨٧ ازداد الحجم العام للاجور بنسبة ٧ر٤٩ في المئة ، بيد ان حجم المداخيل المذكورة والفوائد والريع قد ازداد بنسبة ٣ر١٤٢ في المئة .

كما لا يجوز ان يغيب عن بالنا ان الطبقة العاملة ليست متجانسة . فالدخل الاسبوعي المتوسط لعائلات البيض يساوي ٥٧٨ دولارا ولعائلات المنحدرين من امريكا اللاتينية ٤١٢ دولارا ولعائلات السود ٣٩٩ دولارا .

ويعيش حوالي ١٥ في المئة من الامريكان في عائلات مداخيلها ادنى من خط الفقر الرسمي وهذه اكبر نسبة منذ منتصف الستينات التي اخذت تنفذ فيها برامج الضمان الاجتماعي .

لقد تم انخفاض متوسط اجور الشغيلة الامريكان نتيجة التقلص الجماعي للتشغيل في الصناعة التحويلية ، ولا سيما بين اعضاء النقابات. وجرى في الوقت نفسه ازدياد التشغيل في مجال الخدمات الاقل اجرا. وفي الفترة الممتدة من عام ١٩٧٣ الى عام ١٩٨٥ نمت في القطاع الخاص تصفية ٣ر٢ مليون فرصة عمل وايجاد ٩ر٢ ملايين فرصة عمل جديدة . الا ان كل فرصة عمل من التي صفيت كانت تعطي العامل ٣ر٤٤٤ دولارا في الاسبوع بالمتوسط، بيد ان كل فرصة عمل جديدة تعطي ٤٩ر٢٧٢ دولارا فقط .

واصبح انتشار التشغيل غير الكامل اتجاها مميزا. ففي سنوات حكم ادارة ريغان كان عدد فرص العمل الجزئي يزداد بوتائر مضاعفة بالمقارنة مع ازدياد فرص العمل الكامل . ويعمل اليوم ١٧ مليون شغيل دواما غير كامل

ان التغيرات البنيوية في الاقتصاد ، التي تجسدت في تقلص التشغيل في الصناعة التحويلية ، انعكست على حياة ملايين الشغيلة . وفي المرحلة الممتدة من عام ١٩٨١ الى عام ١٩٨٥ وجد ١١ مليون عامل انفسهم في الشارع نتيجة اغلاق المؤسسات . وبقي حوالي ٤٦ في المئة منهم عاطلين عن العمل اكثر من نصف سنة، اما اجر غالبية الذين استطاعوا ايجاد فرص عمل فاصبح اقل مما في الماضي .

كان المستوى المرتفع من البطالة يؤدي الى انخفاض مستوى الحياة لانه كانت تتقلص امكانات الشغيلة في النضال من اجل رفع الاجور

وقد استطاع ارباب الاعمال ايجاد الايدي العاملة القليلة الاجر بدون عناء والتخلص من اعضاء النقابات .

ومنذ نهاية الستينات ظهر استشراء البطالة الطويلة الاجل، علما بان الحد الاقصى منها كان يرتفع دائما مع كل دورة اقتصادية وتخطى في عام ١٩٨٢ العشرة في المئة . وعلى الرغم من ان المستوى الرسمي من البطالة يصل في الوقت الرهن الى ٧ ملايين شخص او ٥ر٧ في المئة ، فان العدد الحقيقي للذين ليس لهم عمل يصل الى ١٢ مليون شخص او ١٠ في المئة من اجمالي عدد

Digitized by Birzeit University Library

العاملين . ومستوى البطالة بين السكان السود اعلى مما بين البيض مرتين .

ووراء المعطيات الوطنية العامة يختفي الفارق الكبير بين مستويات البطالة في مختلف المناطق. والمستوى الاعلى للبطالة يميز المراكز الصناعية حيث توجد نقابات الشغيلة الاكثر اتساعا. فعلى سبيل المثال، تتجاوز البطالة في منطقة بيتسبورغ ٢٠ في المئة وفي تشيكاغو ١٥ في المئة ، وذلك بعد مرور حوالي ست سنوات على بداية النهوض في الدورة الاقتصادية .

ومن العوامل الاساسية لانخفاض المداخيل الهجوم المباشر على الحركة العمالية عن طريق "تجارة التنازلات". حين دخل ريغان البيت الابيض كان متوسط ازدياد الاجور بمقتضى العقود بين النقابات وارباب العمل يعادل ٩ر٨ في المئة في السنة . وقد انخفض هذا المعدل الى ٢ في المئة . وان العقود المعقودة عام ١٩٨٧ في المؤسسات الكبيرة للصناعة التحويلية لم تسجل ازديادا في الاجور الا بنسبة ٢ر٠ في المئة . واذا اخذنا في الاعتبار ان التضخم المالي سيزداد في المرحلة المقبلة ، حسب التنبؤات ، بنسبة ١٠ ـ ١٥ في المئة ، فان الاجور الفعلية ستهبط مجددا بشكل حاد .

ان التفاوت الكبير بين ازدياد مداخيل رأس المال والاجور يظهر في الشركات الكبرى التي تبرز كقوة محركة للتغيرات البنيوية الاقتصادية. ويستفاد من معطيات مجلة "فورتشون" ان ارباح ٥٠٠ شركة كبرى قد ازدادت، من عام ١٩٧٧ الى عام ١٩٨٧ ، من ٤١ في المئة الى ٦٦ في المئة على الرغم من ان الحجم الحالي للمنتوج الذي باعته هذه الشركات والتشغيل في مؤسساتها قد انخفض. ويدل ذلك على ان التحولات البنيوية اصابت الهدف، اذ توقف انخفاض معدل الربح، الذي ابتدأ في السبعينات .

وجرت التحولات على شكل اندماج الشركات واستيلاء بعضها على البعض الاخر واغلاق المؤسسات والبرام العقود مع المقاولين الفرعيين ، والافلاسات ، الخ . واسفرت كل هذه الهزات عن نتيجة نهائية هي تقلص التشغيل في الشركات الكبرى. كما اثر في ذلك ازدياد انتاجية العمل في الاتحادات الاحتكارية الرئيسية. وتزداد هذه الانتاجية سنويا بنسبة ٥ ـ ١٠ في المئة بالمتوسط في الفروع التي تجري التغيرات البنيوية فيها بقوة كبيرة (ينفق ارباب العمل في الوقت الحاضر ١٧ مليار دولار سنويا على وسائل الاتمتة، ويزداد الاقبال عليها بنسبة ١٠ في المئة سنويا).

ان اكبر الشركات هي التي تتحكم بمؤشرات دفع الاجور وظروف العمل. ولكون التغيرات البنيوية والتسريحات في اكبر الشركات مستمرة ، فان الاقتصاد يتعرض للضغط باتجاه تخفيض الاجور .

ومن الاشكال الرئيسية للتغيرات البنيوية في الاقتصاد اندماج الشركات، الذي يؤثر سلبيا في وضع من يعملون في مؤسساتها. وحين تعيد الشركة تنظيم نشاطها في سياق الاندماج يفقد عدد كبير من العمال عملهم او يضطرون الى الموافقة على تخفيض اجورهم والحد من التسهيلات التي كانت تقدم لهم ، كي تستطيع الشركة ان تفي بالتزاماتها الائتمانية . ان عملية الاستيلاء على الشركات تعرض الاتفاقات التي عقدتها النقابات للالغاء: يعلن الاسياد الجدد انهم غير مرتبطين بالعقد الجماعي الذي عقده سلفهم وغالبا ما يفلحون في تخفيض الاجور بشكل ملحوظ او يغيرون كل ملاك العمل والمستخدمين .

لقد مارست التغيرات الاقتصادية البنيوية تأثيرا مهلكا جدا في وضع الشغيلة الاعضاء في النقابات ، فالاتحادات الاحتكارية الامريكية ، اذ توجه الضربة الساسية الى الحركة النقابية تتوخى تخفيض مستوى معيشة جميع الشغيلة .

Digitized by Birzeit University Library

لقد ادى الهجوم على النقابات الى تقلص اعضائها الى نسبة ١٧ في المئة من اجمالي عدد العاملين بالاجرة ، اي الى نصف ما كان عليه بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة. وعلى امتداد اغلب سنوات ما بعد الحرب كان عدد اعضاء النقابات الاجمالي يزداد ، بيد ان جيش العمل كان ينمو بوتائر اسرع . وهكذا ، فان نسبة اعضاء النقابات بين الاجراء كانت في انخفاض . واعتبارا من منتصف السبعينات ، حين انفجرت الازمة البنيوية ، اخذ عدد اعضاء النقابات في الانخفاض من حيث الارقام المطلقة ايضا ، ونزل من المستوى الاعلى الذي كان ٢٢ مليون شخص الى ١٦ر٩ مليونا. وتكمن اسباب ذلك في مقاييس التغيرات الاقتصادية المشار اليها اعلاه او في الاجراءات التي اتخذتها ادارة ريغان ضد العمال . وهكذا فان الاتحادات الاحتكارية والدولة قد وحدت جهودها من اجل تقويض قوة الحركة النقابية .

غير ان الطبقة العاملة لم تستسلم لهذه العملية . وتتصاعد في الحركة النقابية المقاومة والسعي الى الاستقلال ، عن طريق النضال ضد نهج الادارة ومن اجل عزل السياسيين ذوي الاراء اليمينية المتطرفة .

وتسعى النقابات الى استخدام اشكال جديدة للنضال ، منها الحملة "من اجل العمل في ظل العدالة" و وتستهدف هذه الحملة اعادة الوحدة وروح الكفاحية الطبقية ، اللتين كانتا في مرحلة تنظيم واستقرار "مؤتمر النقابات الانتاجية". وتشمل هذه الحركة غالبية الاتحادات النقابية وحلفائها - المناضلين من اجل الحقوق المدنية والسلم وحماية البيئة، وكذلك ممثلي الحركات النسائية والدينية . واتجاههما الاساسي هو تعزيز التضامن مع المضربين ومن يناضلون باشكال اخرى في سبيل توسيع حقوق الشغيلة وتحسين ظروف حياتهم .

ان السياسة العسكرية التي تمارسها الادارة الامريكية قد القت على عاتق الاقتصاد عبء الديون الهائلة وادت الى عجز الميزان التجاري. ويبدو ان الحكومة الجديدة ستواجه عدم استقرار اقتصادي ومالي متزايد . وقد جاء افلاس البورصة في تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٨٧ وكأنه ينذرنا بان ارث "الاقتصاد الريغاني" سيكلف غاليا. كما انه من الواضح ان الصراع الطبقي سيشتد في ظروف عدم الاستقرار. ان الحركة النقابية مصممة على بذل كل شيء من اجل الا تتحمل الطبقة العاملة اعباء الازمة المقبلة .

Digitized by Birzeit University Library

الى الكتاب

- تفتح "الكاتب" صفحاتها للدراسات والابحاث والآراء والاعمال الادبية التي من شأنها ان تسهم في بلورة ثقافة وطنية فلسطينية ، او تنبع من حس بها.
- يجب ان تتبع الدراسات المرسلة الى "الكاتب" الطريقة العلمية من حيث الدقة وذكر اسماء الاعلام كاملة لدى ورودها للمرة الاولى وذكر المراجع عند اعتمادها.
- في حال ارسال مادة طويلة يمكن نشرها في اكثر من عدد او الاقتصار على اجزاء منها.
- معلومات موجزة عن نفسه على ان تتضمن الاسم الكامل ، المهنة ، والعنوان ، والهاتف ان وجد.
- يتم اعلام الكاتب قرار النشر او عدمه خلال ٤ اشهر من وصول مادته المرسلة . علما بان ما يرد للمجلة لا يعاد سواء نشر او لم ينشر.
- المادة المرسلة الى "الكاتب" تكون خاصة بها وحدها.
- نرجو ان تكون الكتابة بخط واضح او مطبوع على الالة الكاتبة ، وعلى وجه واحد من الورقة ، مع ترك مسافة معقولة بين الاسطر.
- تعلون المراسلات باسم رئيس التحرير الى : مجلة الكاتب / ص.ب(٢٠٤٨٩) - القدس.

الى دور النشر

- تدعو "الكاتب" دور النشر والمؤلفين الى ارسال الكتب الجديدة او عناوين هذه الكتب لكي تختار المجلة منها ما تود مراجعته على صفحاتها.

* قسيمة اشتراك *

ارفق طيه صكاً / حوالة مصرفية بمبلغ ..... مدفوع لامر **مجلة الكاتب .**

قيمة اشتراك واحد لمدة على ان ترسل الى العنوان التالي:

الاسم _____ Name

العنوان _____ Adress

المدينة _____ City

البلد _____ Country

الكاتب

قيمة الاشتراك

للافراد	سنة	الاشتراك السنوي	للمؤسسات المحلية	٥٠ دولار
الاشتراك المحلي	٣٠ دولار		اوروبا	١٠٠ دولار
اوروبا	٦٠ دولار		بلدان اخرى	١٥٠ دولار
بلدان اخرى	٧٥ دولار			

ترسل قسيمة الاشتراك مع قيمته الى العنوان التالي:

AL - KATEB,P.O.BOX 20489 EAST JERUSALEM.VIA ISRAEL

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

● القدس يوم ٨٩/٢/٢٥.

(صورة خاصة من مكتب «الاتحاد» في القدس ـ تصوير عزام عبيد)

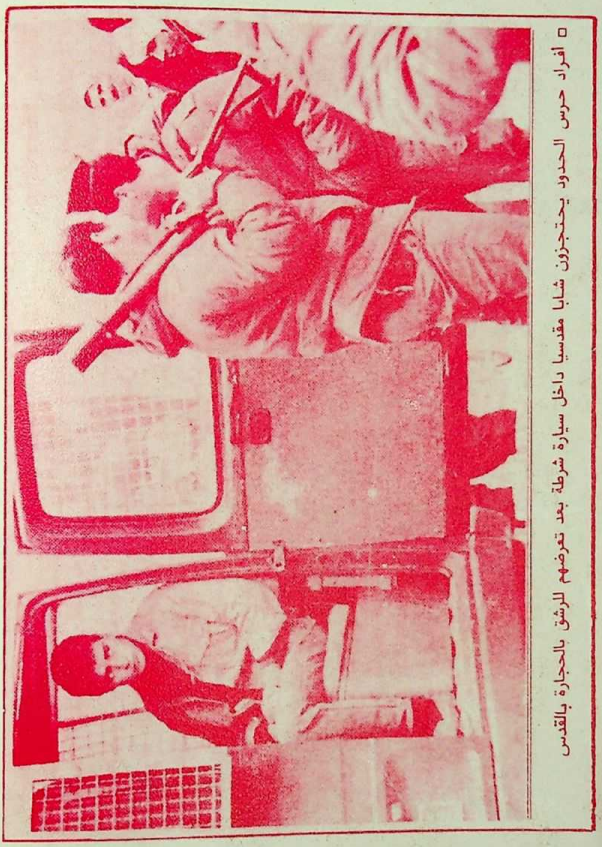

□ افراد حرس الحدود يحتجزون شابا مقدسيا داخل سيارة شرطة بعد تعرضهم للرشق بالحجارة بالقدس

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

108

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

Digitized by Birzeit University Library